

المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية  
كلية الدعوة والإعلام  
الدراسات العليا  
قسم الدعوة والاحتساب

# دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في مدينة الرياض دراسة ميدانية تقويمية

رسالة مقدمة لقسم الدعوة بكلية الدعوة والإعلام  
لنيل درجة الدكتوراه

إعداد

عبد الله بن إبراهيم اللحيدان

إشراف

د. أحمد بن سيف الدين  
رئيس قسم الإعلام

أ.د. مصطفى أبو سمك  
الأستاذ بقسم الدعوة والاحتساب

١٤١٧هـ

الجزء الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# المقدمة

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله الله على حين فترة من الرسل وانقطاع من الوحي فبلغ أحسن تبليغ وأكمله ، وظل يدعو إلى الله منذ أن أكرمه الله بالرسالة إلى حين انتقاله إلى جوار ربه الكريم وبعد :

فإن الذين دعاهم رسول الله ﷺ وبلغهم رسالته هم العرب وغيرهم ؛ لأن رسالته عامة إلى جميع البشر غير مقصورة على العرب . قال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾<sup>(١)</sup> .

وقال تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾<sup>(٢)</sup> ، وجعل الله تعالى محمداً ﷺ شهيداً على أمته وجعل أمته شهيدة على الناس ، قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقد ختم الله الرسالات برسوله محمد ﷺ فأكمل به الدين وأتم به النعمة ، قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾<sup>(٤)</sup> فالإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده قال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾<sup>(٥)</sup> وقال تعالى : ﴿ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾<sup>(٦)</sup> .

(١) سورة سبأ : الآية ٢٨ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٣ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٩ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ٨٥ .

ولكي تصل رسالة الله تعالى إلى الناس جميعاً في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته ، أمر الله تعالى أمته بالقيام بهذا الواجب ، قال تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ﴾<sup>(١)</sup> ، فكما جاء الرسول ﷺ من عند الله معلماً ومبشراً ونذيراً ، وكما أخرج الذين آمنوا من العمى إلى الهدى ، فإن على أتباعه أن يدعوا إلى ما جاء به وأن ينشروا رسالته إلى أم الأرض كلها .

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة ترغب في ذلك وتدعو إليه قال تعالى : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال لعلي ابن أبي طالب<sup>(٣)</sup> (رضي الله عنه) : « فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم »<sup>(٤)</sup> .

وقد فهم السلف الصالح مدلول هذه النصوص الشرعية وغيرها ، وعملوا بمقتضاها ، وكان شعورهم بمسؤوليتهم تجاه هذا الدين هو شغلهم الشاغل في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، حتى انتشرت دعوة الإسلام في أنحاء الأرض . ثم مر على بلاد المسلمين عصور عاشت فيها الدعوة بين مد وجزر ، ولكنها لم تخل في كل عصر من طائفة على الحق ظاهرة تدعو إلى دين الإسلام وتجاهد في سبيل الله .

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

(٢) سورة فصلت : الآية ٣٣ .

(٣) علي بن أبي طالب ، رابع الخلفاء الراشدين ، أول الناس إسلاماً في قول كثير من أهل العلم ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ عدا تبوك ، توفي عام ٤٠ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥٠١ ، وانظر : ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م ، ج ٤ ، ص ٩١ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، دار القلم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ ، ج ٣ ، ص ١٣٥٧ ، رقم الحديث ٣٧٠١ ، ورواه مسلم في كتاب الفضائل ، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، صحيح مسلم بشرح النووي ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ، ج ٨ ، ص ١٨٧ ، رقم الحديث ٢٤٠٦ .

وفي العصر الحاضر وفد إلى بلاد المسلمين مئات الألوف من غير المسلمين واستوطنوا فيها وربما مكث بعضهم عشرات السنين ، وتبليغ هؤلاء دين الإسلام وهدايتهم إليه واجب متحتم على المسلمين عامة وعلى الدعاة خاصة .

ومدينة الرياض من كبرى المدن ، التي يوجد بها عشرات الألوف من غير المسلمين ممن لم تبلغهم دعوة الإسلام كما ينبغي تبليغها .

وان مجئ هؤلاء لبلاد المسلمين يتيح فرصة كبرى لدعوتهم إلى الإسلام ، فيجب أن تتضافر الجهود في استثمارها ، بعرض الإسلام عليهم ودعوتهم إليه على هدى من قول الله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة والحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن »<sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي »<sup>(٢)</sup> .

وتتعدد الوسائل التي يستخدمها الدعاة في دعوتهم المسلمين إلى الله بوجه عام وفي دعوتهم غير المسلمين بوجه خاص .

— ولا بد للداعية من الإلمام بثقافات غير المسلمين وخلفياتهم الاجتماعية والعمل على تكوين شبكة علاقات اجتماعية تساعد من يدخل الإسلام في أن يشعر بالأمن والاستقرار . وإذا كانت للدعوة متطلبات ووسائل لا بد من تحقيقها فإن هناك عقبات تحول دون ذلك. ولعل الباحث في هذه الدراسة أن يوفق إلى الوقوف على حقيقة دعوة غير المسلمين في مدينة الرياض ومعرفة سماتها العامة وخصائصها الإيجابية والسلبية ومن ثم الحلول والمقترحات لذلك ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

(١) سورة النحل : الآية ١٢٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٥٦ .

## مفاهيم البحث

ويقصد بها المصطلحات التي سوف يستخدمها الباحث لشرح متغيرات البحث

وهي :

أ - مفهوم الدعوة :

الدعوة إلى الإسلام لا تحتاج إلى جهد يبذل في التعريف لحصول صورتها في الذهن لفظاً وللعلم بمقتضاها عملاً وبلاغاً ، وإن كان البعض يجعل الدعوة مرادفة للإسلام ويجعلهما شيئاً واحداً .

ولكلمة الدعوة معان لغوية متعددة يقال : دعا الرجل دعواً ودعاءً أي ناداه ، والاسم الدعوة ، ودعوت فلاناً أي صحت به واستدعيته ورجل داعية إذا كان يدعوا الناس إلى بدعة أو دين وأدخلت الهاء فيها للمبالغة<sup>(١)</sup> . وفي معجم مقاييس اللغة : « يدعو الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد وهو أن تُميل الشيء بصوت وكلام يكون منك »<sup>(٢)</sup> .

وأما في الإصطلاح فقد عرفها أحد المعاصرين بأنها « نقل أمة من محيط إلى محيط »<sup>(٣)</sup> . وعرفها غيره بأنها « تغيير واقع انساني قائم بآخر منشود »<sup>(٤)</sup> ، ومن أقرب التعريفات وفاء بمقصود الدعوة تعريف د. أحمد غلوش<sup>(٥)</sup> في كتابه الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها حيث قال : « هي العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق »<sup>(٦)</sup> وهذا التعريف هو

(١) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج٤ ، ص ٢٥٨ .

(٢) انظر : ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط٣ ، ١٤٠٢هـ ، ج٢ ، ص ٢٧٩ .

(٣) البهي اغولي ، تذكرة الدعاة ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط٦ ، ١٩٧٩م ، ص ١٧ .

(٤) فحي يكن ، مشكلات الدعوة والداعية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١٠ ، ١٤٠٨هـ ، ص ١٢ .

(٥) كاتب وداعية إسلامي معاصر ، وكيل كلية الدعوة بجامعة الأزهر سابقاً .

(٦) د. أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ووسائلها ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٢ .

الذي يختاره الباحث ويراه مناسباً لبحثه ، وسيأتي مزيد بيان لتعريف الدعوة في الفصل الأول . ومفهوم الدعوة في هذا البحث : معرفة كافة الطرق التي يتم بها إيصال الإسلام إلى غير المسلمين وإقناعهم به .

ب - غير المسلمين :

وهم الذين يدينون بغير دين الإسلام وينقسم هؤلاء إلى قسمين رئيسيين أهل الكتاب وأهل النحل الوضعية كالبودية والهندوسية وغيرها .

ولأهل الكتاب من بين غير المسلمين منزلة خاصة في المعاملة والتشريع والمراد بأهل الكتاب من قام دينهم على كتاب سماوي وإن حرف وبدل بعد ، كاليهود والنصارى الذين قام دينهم على التوراة والإنجيل<sup>(١)</sup> .

ويقصد بغير المسلمين في هذا البحث ، المقيمون في مدينة الرياض ممن لا يدينون بالإسلام .

---

(١) انظر : د. يوسف القرضاوي ، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ ، ص ٦ ، وسيأتي مزيد بيان لمفهوم الدعوة ومفهوم غير المسلمين في صلب الرسالة .



## أهمية البحث

إن الدعوة إلى الله هي مهمة الرسل جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم ، وهي ميراث النبوة بعد انقطاع الوحي ، قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾<sup>(١)</sup> ، والدعوة إلى الله واجب منوط بأعناق الأمة الإسلامية أفراداً وجماعات ، وهي مناط شرفها في هذه الحياة . قال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾<sup>(٢)</sup> .

والبشرية في حاجة قائمة وملحة إلى الدعوة في كل عصر ومصر ، وتشتد الحاجة في هذا العصر الذي نعيشه إلى الدعوة إلى الله وإلى استماع الناس كلهم إلى كلمات الله بسبب انحراف كثير من الناس عن فطرة الله وانغماسهم في الجهل والضلال .

وقد اجتهد الصحابة (رضي الله عنهم) ومن بعدهم من التابعين في نشر الإسلام وتبليغه إلى سائر الأمم ، وكانوا يرون ذلك فرضاً عليهم ، فساروا في الأرض شرقاً وغرباً لأجل ذلك ، ولم يكن الأمر مقصوراً على الجهاد والفتوحات بل كان التجار المسلمون يقومون بواجبهم في الدعوة ونقل الإسلام عبر سلوكهم ومعاملتهم لغير المسلمين ، وكان من آثار ذلك أن دخل الإسلام أفواج كبيرة من الناس لما رأوه من حسن معاملة المسلمين لهم .

وإذا كان المسلمون في السابق يتكبدون مشقة الأسفار إلى بلدان غير المسلمين للجهاد والدعوة والتجارة فإن أعداداً كبيرة من غير المسلمين اليوم قد جاءت إلى بلاد المسلمين ، فما موقفنا إذا علمنا أن منهم من يعود إلى بلاده دون أن يبلغ دعوة الإسلام ؟ ثم ماذا فعل المسلمون للذين يتطلعون منهم بكل شغف إلى التعرف على الإسلام ؟

(١) سورة النحل : الآية ٣٦ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

إن تبليغ دعوة الله للناس واستقبال الراغبين في الدخول إلى الإسلام ومن ثم الاهتمام والرعاية بكل مسلم جديد ، وتعليمه أمور دينه ، إن هذا كله يجب أن يتم بطرق مدروسة بعيداً عن الاجتهادات الفردية ، كما يجب أن تجند له كل الإمكانيات وتذلل سائر العقبات في سبيل تبليغ الناس الإسلام .

وإن مما يزيد هذا الموضوع أهمية ما يلي :

١ - أن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام وترغيبهم فيه يحقق مصالح عديدة منها .

أ - ما يحصل من أجر ومثوبة نتيجة هذه الدعوة وفي الحديث الصحيح أنه ﷺ قال لعلي (رضي الله عنه) « فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»<sup>(١)</sup>.

ب - تبليغ الرسالة قال تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته »<sup>(٢)</sup> ، والقيام بواجب الدعوة والبلاغ الذي فرضه الله على الأمة قال تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير »<sup>(٣)</sup> الآية . وقال ﷺ « بلغوا عني ولو آية »<sup>(٤)</sup>.

ج - تفويت الفرصة على هؤلاء من نشر ثقافتهم وعاداتهم وعقائدهم ، فمن أنجح السبل للتصدي خطرهم دعوتهم إلى الإسلام ، وما لم تتم دعوتهم إليه فمن الممكن أن يكون لهم أثر خطير على المجتمع الإسلامي في عقيدته وأخلاقه وعاداته .

(١) متفق عليه وتقدم تخريجه صفحة ج .

(٢) سورة المائدة : الآية ٦٧ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ج-٣ ، ص ١٢٧٥ ، رقم الحديث ٣٤٦١ ، ورواه الترمذي ، كتاب العلم ، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل ، مكتبة البابي الحلبي ، مصر ، ط ١ ، ١٣٨٢ هـ ، ج-٥ ، ص ٤٠ ، رقم الحديث ٢٢٦٩ .

٢- وما يزيد أهمية الموضوع الحصار الذي يقوم به النصارى للمجتمعات الإسلامية بهدف تنصيرهم ، فقد توالى عقد المؤتمرات لأجل ذلك بدءاً بمؤتمر القاهرة الذي دعا إليه زويمر<sup>(١)</sup> في عام ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م ... وحتى مؤتمر كلورادو الذي عقد في عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، وحضره ١٥٠ فرداً من أبرز قادة التنصير في العالم ، وقدموا فيه ٤٠ موضوعاً يجمعها هدف واحد : كيف السبيل إلى تنصير المسلمين أينما كانوا؟ . فإذا كان هذا هو موقف النصارى من المسلمين ، وإذا كان معظم الوافدين إلى بلاد المسلمين من غير المسلمين هم من النصارى فإن في دعوتهم إلى الإسلام تحسناً للمجتمع وتعطيلاً لمخططات النصارى في بلاد المسلمين .

٣- أن إسلام غير المسلمين الوافدين يساعد كثيراً في نشر الدعوة في بلدانهم عندما يعودون إليها .

٤- أن الدعوة الحية هي التي تقتبس النور من مشكاة النبوة وتسير على نهجها وتعيش مع المجتمع وتهتدي إلى الداء الحقيقي ومواقع الضعف فيه ولعل هذه الدراسة أن توفق في تحقيق ذلك .

كما تظهر أهمية الدراسة في :

\* أنها تضيف جديداً في كونها ميدانية تستلزم بالضرورة أن يكون لها قيمة تطبيقية تفيد الدعاة إلى الله .

\* أنها محددة ومن الممكن الوصول إلى الحقائق والمعلومات المتعلقة بها .

\* أنها لا تستحوذ على اهتمام الباحث فقط بل هي ضرورة ملحة للمجتمع كله تستحق البحث ويترتب عليها مسؤولية الأمة إن هي أهملت .

\* أن اقتصار هذه الدراسة على مدينة الرياض لا يعني عدم الاستفادة منها في أماكن غيرها بل يمكن تعميمها على أماكن أخرى مشابهة .

(١) هو صموئيل زويمر ، من قادة التنصير ، أشهر منصر في هذا القرن ، مستشرق أمريكي ، مؤسس مجلة العالم الإسلامي الأمريكية ، له كتاب «الإسلام نحد لعقيدة» صدر عام ١٩٠٨م وكتاب «الإسلام» وهو مجموعة مقالات قدمها للمؤتمر التبشيري الثاني في الهند عام ١٩١١م ، توفي عام ١٩٥٢م ، انظر : الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٩هـ ، ص٣٥ ، وانظر : مؤسسة أعمال الموسوعة العربية العالمية ، الموسوعة العربية العالمية ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٦هـ ، ج١ ، ص٦٧٦ .

## أهداف البحث

إن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام وترغيبهم في الدخول فيه من أوجب الواجبات ومن أسباب خيرية هذه الأمة قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾<sup>(١)</sup> .

وعلى هذا حدد الباحث أهداف البحث كما يلي :

- ١ - محاولة بيان المنهج في دعوة غير المسلمين من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية وواقع دعوة غير المسلمين في الماضي والحاضر .
- ٢ - التوصل إلى أنسب الطرق التي يمكن استخدامها في الدعوة إلى الله من خلال دراسة تطبيقية على الدعاة المسلمين والمدعوين من المسلمين الجدد ومن غير المسلمين .
- ٣ - الوقوف على الجوانب الإيجابية والسلبية في دعوة غير المسلمين .
- ٤ - محاولة إبراز عوامل نجاح دعوة غير المسلمين .
- ٥ - المساهمة في التعرف على العقبات وبيان كيفية التغلب عليها .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

## أسباب اختيار البحث

تعدد الأسباب التي دعت الباحث إلى اختيار هذا البحث ومن أبرز هذه الأسباب ما يلي :

- ١ - توظيف المنهج العلمي في معرفة بعض الجوانب الاجتماعية والنفسية التي من شأنها أن تسهم في زيادة فعالية دعوة غير المسلمين للإسلام .
- ٢ - التعرف على الواقع الاجتماعي والثقافي لغير المسلمين من خلال دراسة ميدانية تفيد في معرفة الأساليب التي تناسبهم في دعوتهم إلى الله .
- ٣ - مواجهة الأساليب المعوقة لدعوة غير المسلمين .
- ٤ - قلة هذا النوع من الدراسات الميدانية مع إمكانية القيام به .
- ٥ - أن مدينة الرياض يكثر بها تنوع غير المسلمين من أرجاء العالم .
- ٦ - الاستفادة من إمكانات بعض الأقسام العلمية بالجامعة مثل قسم الخدمة الاجتماعية والذي يهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية والمشكلات التي تواجه المسلمين الجدد ، إضافة إلى أنه من الممكن أن تساعد فيه مهنة الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة إلى الله .
- ٧ - اهتمام قسم الدعوة بدراسة هذا الموضوع .
- ٨ - ميل الباحث الشخصي إلى دراسة هذا الموضوع .

## الدراسات السابقة

نظراً لعدم عبور الباحث على دراسات سابقة تتصل بشكل مباشر بموضوع البحث فإن الباحث سيقوم بعرض الدراسات الميدانية التي لها علاقة غير مباشرة بموضوع البحث وهي :

١ - تنظيم المجتمع ودراسة حاجات ومشكلات معتقي الإسلام حديثاً .

٢ - الدور الإعلامي لرئاسة البحوث العلمية والإفتاء .

٣ - أسلوب المناظرة في دعوة النصارى للإسلام .

وفيما يلي عرض لهذه الدراسات وأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها :

« تنظيم المجتمع ودراسة حاجات ومشكلات معتقي الإسلام حديثاً » .

وهو بحث قدمه د. رشاد أحمد عبد اللطيف<sup>(١)</sup> إلى ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية المنعقدة في القاهرة في ١٣/٣ - ٢/٣ / ١٤١٢ هـ، ١٠ - ١٣ أغسطس ١٩٩١ م ، واستفدت -بعون الله - مما قدمه د. رشاد عبد اللطيف في هذا البحث .

وكانت الدراسة من النوع الوصفي واستخدمت منهج المسح الاجتماعي وطبقت بمدينة الرياض وكانت أهم نتائجها ما يلي :

١ - أن غالبية معتقي الإسلام حديثاً كانوا أصلاً من النصارى (٨١,٥٪) من العينة ونسبة الذكور منهم أكبر من نسبة الإناث .

٢ - أظهرت الدراسة العوامل التي دفعت المسلمين حديثاً إلى اعتناق الإسلام وأبرزها:

أ - عوامل شخصية (الاقتناع الشخصي ، القيم الروحية التي لمسوها في الإسلام ، التوحيد وعدم الرغبة في الشرك ) .

(١) أستاذ مشارك بقسم الخدمة الاجتماعية بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً .

ب-عوامل اجتماعية ( المعاملة الطيبة ، تأثير الأصدقاء ، تعامل صاحب العمل ، اعتناق أحد أفراد الأسرة للإسلام ) .

ج-عوامل أخرى متصلة بوسائل الاتصال كالكتب والمحاضرات ووسائل الاعلام المختلفة خاصة التلفاز .

٣ - أما المشكلات التي يعاني منها المسلمون حديثا فإنها تلخص فيما يلي :

أ - مشكلات تتصل باللغة العربية وتعلمها .

ب-مشكلات تتصل بفهم تعاليم الإسلام والأمور الشرعية .

ج-مشكلات اجتماعية تتعلق بمقاطعة الأسرة وتهديدها .

د - مشكلات تتعلق بشبكة العلاقات الاجتماعية .

هـ - مشكلات اقتصادية (انخفاض الراتب ) .

و - مشكلات تتصل بالعمل (مع صاحب العمل، مع الزملاء العاملين غير المسلمين).

ز - مشكلات معرفة مؤسسات الدعوة إلى الله وتمثل في :

١ - عدم معرفة المؤسسات الدعوية .

٢ - طول الاجراءات التي يمر بها المسلم الجديد حتى يشهر إسلامه .

ومن الدراسات الميدانية :

بحث عن الدور الاعلامي لرئاسة البحوث العلمية في المملكة ودول الخليج<sup>(١)</sup> .  
(بحث ميداني مقدم لقسم الاعلام كلية الدعوة والاعلام عام ١٤٠٦هـ ) من إعداد الطالبين علي بن سعود المهيدب وسليمان بن علي الناصر وإشراف الدكتور عادل الصيرفي وجاء البحث في باين :

(١) كانت شؤون الدعوة في الداخل والخارج من اختصاص الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ثم تحولت إلى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بعد إنشائها في عام ١٤١٤هـ .

الباب الأول ويشمل ثلاثة فصول :

الفصل الأول : وفيه تعريف بالمؤسسة ونشأتها وتطورها وفروعها .

الفصل الثاني : وفيه أهداف المؤسسة (واقعتها ومعوقاتنا والحلول المقترحة) .

الفصل الثالث : يشمل الإمكانيات البشرية والإمكانات المادية والمعوقات التي تواجه

هذه الإمكانيات والحلول المقترحة .

أما الباب الثاني ينقسم إلى ثلاثة فصول أيضاً :

الفصل الأول : يشمل تعريف الرسائل الإعلامية وأهميتها والشروط والصفات

الواجب توافرها في الرسالة والقائم بالإتصال .

الفصل الثاني : يعرض لمدى استخدام الرئاسة للكتاب والمحاضرات والندوات

والوسائل الإعلامية الأخرى ، ويستفيد الباحث من هذا البحث في مدى استخدام الرئاسة

لهذه الوسائل في دعوة غير المسلمين .

الفصل الثالث : عرض فيه الباحثان للدراسة الميدانية ونتائجها وهذه أيضا تفيد

الباحث في معرفة دور الرئاسة في دعوة غير المسلمين .

وكان من أبرز النتائج التي تتصل بمجال دراستنا هنا :

١ - أن عدم إقامة محاضرات أو ندوات للدعاة فيما بينهم لدراسة أمور الدعوة يضعف من

نشاط الدعاة في الدعوة والتوجيه .

٢ - ضعف التنسيق بين أجهزة الدعوة العاملة في المملكة .

٣ - تركيز الرئاسة على الكتاب أكثر من الوسائل الأخرى .

٤ - قلة من يجيد لغات العالم الحية من الدعاة الموثوق بهم .

ومن الدراسات الحديثة دراسة الباحث إبراهيم الحميدان لنيل الدكتوراه من قسم

الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة ، موضوعها : أسلوب المناظرة في دعوة النصارى إلى



الإسلام ، دراسة تحليلية تقويمية للمناظرات التي جرت في أمريكا في الفترة ١٤٠٠-١٤١٠هـ بإشراف د. جعفر ادريس و د. أحمد بن سيف الدين .

ويتكون البحث من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وخمسة ملاحق وفيما يلي بيان لمحتويات الفصول وأبرز النتائج التي توصل إليها البحث :

الفصل الأول : التعريف بالمناظرة ومشروعيتها في الكتاب والسنة وعرض وتوجيه أقوال العلماء عنها .

الفصل الثاني : المناظرة مع النصارى ، وتحليل الإطار النظري للدراسة التحليلية ويشمل لمحة في تاريخ المناظرة مع النصارى والضوابط الإجرائية والشرعية وطرق الاستدلال فيها .

الفصل الثالث : الدراسة التحليلية للمناظرات مع النصارى في مكان الدراسة وبيدأ هذا الفصل ببيان تساؤلات الدراسة وخطواتها ثم وصف عام للمناظرات المدروسة ثم عرض خلاصة قضايا المناظرات .

الفصل الرابع : تقويم الدراسة بطريقة المقارنة والمناقشة ثم الخاتمة والنتائج والتوصيات وأبرز نتائج البحث ما يلي :

١ - أن المناظرة لها خصائص وحدود مميزة وهي نشاط دعوي مشروع في دين الإسلام وهي أسلوب من أساليب الدعوة المعتمدة شرعاً .

٢ - يرى الباحث أن المناظرة أفضل أشكال الحوار الإسلامي النصراني في العصر الحاضر .

٣ - أن تاريخ المناظرة بين المسلمين والنصارى مليء بالشواهد التي تفيد في مجال الدعوة .

٤ - أن لعلم المناظرة قواعد وضوابط محددة ولها آداب كثيرة في هيئة المناظر وحاله ومقاله .

ومن أبرز نتائج الجانب التقويمي :

- ١ - أن المسلمين هم المبادرون غالباً إلى طلب المناظرة .
- ٢ - أبرز قضايا المناظرات المدروسة :
  - قضية ألوهية عيسى إثباتاً ونفياً .
  - قضية الكتاب المقدس إثباتاً ونفياً .
  - قضية القرآن صحته وموثوقيته
  - قضية صلب المسيح إثباتاً ونفياً .
- ٣ - أن متوسط المناظرة الواحدة ساعتان وعشرون دقيقة .
- ٤ - اللغة المستخدمة في المناظرات هي اللغة الإنجليزية غالباً .
- ٥ - تتميز الأطراف الإسلامية في المناظرات بالآداب الظاهرة للمناظرة .

### مشكلة البحث :

إن هذه الدراسة تسعى إلى معرفة واقع دعوة غير المسلمين في مدينة الرياض ؛ بقصد تبيان حجم هذه الدعوة والقائمين بها ، ووسائلها وأساليبها ، ثم تقويم هذه الدعوة وذلك من خلال دراسة ميدانية تقويمية ، وفي سبيل ذلك سيقوم الباحث ببيان الملامح العامة لدعوة غير المسلمين في ضوء الكتاب والسنة والتوصل إلى رسم المنهج الصحيح لهذه الدعوة وبيان الأساليب والوسائل المتاحة والممكنة التي يحتاج إليها الدعاة في دعوتهم . كما يهدف البحث إلى معرفة السمات الثقافية والاجتماعية لغير المسلمين ومدى ارتباطها باستجابتهم للإسلام ، وأثر الواقع العلمي والعملية للمسلمين على قبولهم أو ردهم للدعوة . وهذه الدراسة ستكون في مدينة الرياض حيث يجتمع بها أعداد كبيرة من غير المسلمين من مختلف أنحاء العالم .

## تساؤلات البحث

تسمى الدراسة للإجابة على التساؤلات التالية وهي على نوعين :

أ - تساؤلات تتعلق بالجزء النظري وهي :

- ١ - ما حكم دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ؟
- ٢ - ما منهج القرآن والسنة في دعوة غير المسلمين ؟
- ٣ - كيف كانت دعوة الصحابة لغير المسلمين ؟
- ٤ - ما هي مكونات خطة التدريب العملي للدعاة ؟
- ٥ - هل يتضمن الاعداد العلمي للدعاة موضوعات تتعلق بدعوة غير المسلمين ؟

ب - تساؤلات تتعلق بالدراسة الميدانية :

- ١ - ما مدى تأثير سلوك المسلمين في دعوة غير المسلمين ؟
- ٢ - ما مدى تأثير غير المسلمين بسلوك الداعية المسلم ؟
- ٣ - ما الجوانب الإيجابية والسلبية في المدعوين من غير المسلمين ؟
- ٤ - ما أبرز السمات الثقافية والاجتماعية لغير المسلمين وما أثرها في دخولهم الإسلام ؟
- ٥ - هل يتم تدريب الداعية على أساليب الدعوة إلى الله بين غير المسلمين ؟
- ٦ - هل توجد مؤسسات تعنى بدعوة غير المسلمين ؟ وهل تفي بحاجة دعوة غير المسلمين في مدينة الرياض ؟
- ٧ - ما العلاقة بين التزام الدعاة بالمنهج الإسلامي في الدعوة ودخول غير المسلمين في الإسلام ؟
- ٨ - ما أنواع المعوقات التي تواجه الداعية في مجالات : المدعو ، الأساليب المستخدمة في الدعوة ، الإعداد العلمي والعملي للداعية ؟
- ٩ - ما أنسب المقترحات لمواجهة معوقات الدعوة إلى الله من وجهة نظر الدعاة ؟
- ١٠ - ما أثر المسلمين الجدد في دعوة غير المسلمين ؟
- ١١ - ما العوامل التي تمنع دخول غير المسلمين في الإسلام ؟
- ١٢ - ما أنسب الوسائل والأساليب في دعوة غير المسلمين ؟

## الإجراءات المنهجية للدراسة

## نوع الدراسة :

تعد هذه الدراسة دراسة كشفية (استطلاعية) حيث لم يسبق أن بحث هذا الموضوع بقسم الدعوة من قبل وحيث أن الدراسات التي اطلع عليها الباحث معظمها كتابات نظرية، والدراسات الميدانية كانت تدور حول معتنقي الإسلام حديثاً فإن الباحث سيقوم بجمع البيانات والمعلومات والحقائق المتعلقة بالموضوع ومن ثم محاولة استخلاص النتائج والأحكام والتعميمات المتصلة بموضوع الدراسة .

## منهج البحث :

إن البحث في مجال الدعوة الإسلامية له طابعه الخاص وله منهجه المتميز به عن غيره من المناهج ، ولما كانت طبيعة البحث تحدد للباحث نوع المنهج الذي يستخدمه فإن الباحث يستخدم في كل جزء من البحث ما يناسبه حيث يستخدم الباحث ما يلي :

## ١ - المنهج الاستقرائي :

وهو أحد المناهج المستخدمة في العلوم الشرعية ومن خلاله يسعى الباحث إلى رسم منهج دعوة غير المسلمين في ضوء الكتاب والسنة ، وذلك عن طريق الانتقال من الحقائق والجزئيات إلى الكليات والتعميمات التي تفيد في تكوين مفاهيم تخدم دعوة غير المسلمين .

## ٢ - منهج المسح الاجتماعي :

يستخدم الباحث هذا المنهج في الجانب الميداني من هذا البحث وهذا المنهج هو أحد المناهج الرئيسة التي تستخدم في البحوث الوصفية ، ويعرف بأنه : «الدراسة العلمية لظروف المجتمع وحاجاته بقصد تقديم برنامج إنشائي للإصلاح الاجتماعي»<sup>(١)</sup> ، ويعرف أيضاً بأنه : دراسة الظروف الاجتماعية التي تؤثر في مجتمع معين بقصد الحصول على

(١) عبد الباسط حسن ، أصول البحث الاجتماعي ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ٢١٠ .

بيانات ومعلومات كافية يمكن الاستفادة منها في وضع وتنفيذ مشروعات إنشائية للإصلاح الاجتماعي<sup>(١)</sup>.

وتطبيق الباحث لمنهج المسح في هذا البحث ليس للحصول على الحقائق والمعلومات فحسب بل يسعى الباحث من خلاله للخروج بتعميمات وفروض أو نتائج في مجال دعوة غير المسلمين ، كما يساعد المسح في اكتشاف علاقات معينة بين مختلف الظواهر في مجال البحث التي قد لا يستطيع الباحث الوصول إليها بدون المنهج المذكور .

وسياتي مزيد بيان للمنهج وطريقة جمع وتحليل وتفسير المعلومات في أول الفصل الرابع . حيث إن الباحث قام بتصميم ثلاث استمارات للبحث هي كما يلي :

- ١ - استمارة لغير المسلمين .
  - ٢ - استمارة للمسلمين الجدد .
  - ٣ - استمارة للدعاة في مكاتب الدعوة .
- وتم تحكيم هذه الاستمارات من قبل المتخصصين من أساتذة الجامعة .

المقابلة :

تعد هذه الأداة من الأدوات المهمة لمثل هذه الرسالة وسعى الباحث من خلالها للوصول إلى مشاعر مفحوصيه ومشكلاتهم ورغباتهم وتطلب ذلك :

- تحديد موضوع المقابلة .
- اختيار الأشخاص المقابليين .
- إعداد الأسئلة .
- تحديد الزمان والمكان المناسب .
- إعداد مذكرة للتسجيل .
- أخذ الإذن من المقابل .

(١) انظر أحمد بدر ، أصول البحث العلمي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٨٤ م ، ص ٣٠٠ .

## حدود البحث :

المجال المكاني : مدينة الرياض

المجال البشري ( العينة )

١ - عينة من غير المسلمين :

لما كان من ضمن مواصفات العينة في خطة الدراسة أن تكون خاصة بالذكور فقد تم اختيار عينة من غير المسلمين من مناطق متفرقة في مدينة الرياض وعددهم (٥٠٠) فرد من الذكور وشاملة لجنسيات متعددة .

٢ - عينة من المسلمين الجدد وتم اختيارها من مكاتب الدعوة والإرشاد بمدينة الرياض وعددهم (٢٠٠) فرد .

٣ - عينة من الدعاة بمكاتب دعوة غير المسلمين وعددهم (٥٠) داعية“ .

المجال الزمني : استغرق جمع البيانات للدراسة الميدانية ستة أشهر تقريباً ، حيث بدأ الباحث تطبيق استمارة البحث على الدعاة والمدعوين في ١٤١٥/٨/٨ هـ وحتى ١٤١٦/١/٢٦ هـ .

## محتويات البحث

### المقدمة

. مفاهيم البحث .

. أهمية البحث .

. أهداف البحث

. أسباب اختيار البحث .

. الدراسات السابقة .

. مشكلة البحث .

. تساؤلات البحث .

. نوع الدراسة .

(١) وسيأتي مزيد بيان لاختيار العينة في أول الفصل الرابع .

- منهج البحث .
- حدود البحث .

## الفصل الأول

دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في بلاد المسلمين

- المبحث الأول : حكم دعوتهم على العلماء وعامة الناس .
- المبحث الثاني : منهج القرآن والسنة النبوية في دعوة غير المسلمين .
- المبحث الثالث : دعوة غير المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين .

## الفصل الثاني

واقع غير المسلمين في مدينة الرياض

تمهيد :

- المبحث الأول : السمات الاجتماعية والثقافية لغير المسلمين .
- المبحث الثاني : حقوق غير المسلمين وواجباتهم .

## الفصل الثالث

واقع دعوة غير المسلمين في مدينة الرياض

- المبحث الأول : القائم بالدعوة .
- المبحث الثاني : موضوع الدعوة

## الفصل الرابع

الدراسة الميدانية

- المبحث الأول : إجراءات الدراسة المنهجية .
- المبحث الثاني : نتائج الدراسة الميدانية على الدعاة .
- المبحث الثالث : نتائج الدراسة الميدانية على المدعوين

## الفصل الخامس

مناقشة النتائج ، الخاتمة والتوصيات

ولما كان البحث العلمي يعترضه بعض الصعوبات التي تقف في طريق الباحث ، فإن الباحث واجه عدداً من الصعوبات أثناء البحث النظري والميداني فمن ذلك ما يلي :

- ١ - قلة المراجع في بعض القضايا المتعلقة بالبحث النظري خاصة واقع دعوة أهل الذمة والمستأمنين في المجتمع الإسلامي عبر تاريخ الإسلام .
- ٢ - ندرة المعلومات والإحصاءات التي تفيد في مجال البحث .
- ٣ - تعدد اللغات بين غير المسلمين مما استدعى الباحث الاستعانة بعد الله تعالى بالترجمين لضمان شمول الدراسة على مجتمع الدراسة .
- ٤ - اتساع مساحة مدينة الرياض وتفاوت المسافات بين مكاتب الدعوة فيها .
- ٥ - كبر حجم العينة في الجانب الميداني من الدراسة .
- ٦ - عدم تعاون بعض أفراد العينة من جميع الفئات الثلاث مع الباحث لاسيما فئة غير المسلمين .

ولكن رغم ذلك كله فإن الله تعالى يسر وأعان ، فأشكره تعالى على ما من به من إتمام هذا البحث ، وله الحمد والشكر أولاً وآخراً على توفيقه لي بأستاذين كريمين هما أ.د. مصطفى أبو سمك و د. أحمد بن سيف الدين اللذين لم يدخرا وسعا في توجيهي وإرشادي، وبذلا لي من أوقاتهم الشيء الكثير ، فادعوا الله أن يبارك لهما في أعمارهما وأن يجزيهما عني خير الجزاء .

كما أشكر كلية الدعوة والإعلام ممثلة في عميدها ووكيلها ورئيس قسم الدعوة ، على تمكيني من تسجيل هذه الرسالة وعلى حسن رعايتهم لي ولزملائي من طلاب الدراسات العليا ، وأشكر كل من ساعدني على هذا البحث . وأسأل الله للجميع التوفيق والسداد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .



# الفصل الأول

## الفصل الأول

دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في بلاد المسلمين

المبحث الأول

حكم دعوة غير المسلمين على العلماء وعامة الناس

المطلب الأول

مقدمات في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام

المطلب الثاني

حكم دعوة غير المسلمين على العلماء وعامة الناس

المطلب الأول  
مقدمات في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام

الفرع الأول  
تعريف الدعوة وأقسامها

الفرع الثاني  
عالمية الدعوة

الفرع الثالث  
الحاجة الماسة لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام

## الفرع الأول تعريف الدعوة وأقسامها

المدلول اللغوي للدعوة :

لفظة الدعوة هي إحدى الصيغ المصدرية للفعل الثلاثي ( دعا ) ، وهذا الفعل - شأنه كسائر الأفعال - لا نملك تجاه معرفة مدلوله اللغوي إلا أن نرجع إلى معاجم اللغة العربية نستوضحها ، ونسترشد بها فيما تدور عليه مادة الفعل الثلاثي المذكور .

وفي هذا المجال نجد أصحاب المعاجم اللغوية يقولون في مادة ( دعا ) :

١ - دعو : الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد ، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك<sup>(١)</sup> .

٢ - الدعوة : وتأتي بمعانٍ عدة منها :

الاستغاثة ، الدعوة ، المناذاة ، التسمية ، الزعم ، الحلف ، الدعاء إلى الطعام ، الأذان<sup>(٢)</sup> ، وفي الحديث : « الدعوة في الحبشة »<sup>(٣)</sup> قال ابن الأثير<sup>(٤)</sup> : « أراد بالدعوة الأذان جعله تفضيلاً لمؤذنه بلال<sup>(٥)</sup> »<sup>(٦)</sup> .

(١) انظر : ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٠٣ هـ - ج ٢ ، ص ٢٧٩ .

(٢) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، ج ١٤ ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

(٣) رواه أحمد في المسند ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط ٥ ، ١٤٠٥ هـ - ج ٤ ص ١٨٥ ، وصححه الألباني ، انظر الألباني ، صحيح الجامع الصغير وزيادته ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ ، ج ١ ، ص ٦٣٠ ، الحديث رقم ٣٣٤٢ .

(٤) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، المحدث اللغوي الأصولي له عدة مؤلفات منها جامع الأصول ، توفي عام ٦٠٦ هـ ، انظر : الذهبي سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ ، ج ٢١ ، ص ٤٨٩ .

(٥) بلال بن رباح ، مؤذن الرسول ﷺ ، من السابقين إلى الإسلام ، توفي بالشام عام ٢٠ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة ، في تمييز الصحابة ، ج ١ ، ص ١٦٩ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ١ ، ص ٢٤٣ .

(٦) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، أنصار السنة المحمدية ، لاهور ، ج ٢ ص ١٢٢ .

وفى كتابه ﷺ له رقل « أدعوك بدعاية الإسلام »<sup>(١)</sup> أى بدعوته وهى كلمة الشهادتين التى يدعى إليها أهل الملل الكافرة ، وفى رواية بدعاية الإسلام ، وهى مصدر بمعنى الدعوة كالعافية والعاقبة<sup>(٢)</sup>.

٣ - الداعية : صريح اغيل فى الحروب ، ويطلق على المؤذن ، والنبي ﷺ داعى الله .  
ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين أدخلت فيه الهاء للمبالغة وجمعها دعاة<sup>(٣)</sup>.

### التعريف الاصطلاحي للدعوة :

تشغل التعريفات حيزاً من صفحات الكتب فى مختلف فنون المعرفة ، وربما أطنب البعض فى التعريف ، وأخل بغيره من القضايا العلمية الأخرى . والتعريف أو الحد هو : شرح لمادل عليه اللفظ بطريق الإجمال ، وشرطه أن يكون جامعاً لجملة أفراد المحدود ، مانعاً من دخول غيره معه<sup>(٤)</sup> .

والدعوة مصطلح لا يحتاج إلى جهد كبير فى تعريفه ، بل لم يكن جهد السلف منصباً على تعريفه قديماً ، وإنما نشأت الحاجة إلى تعريف الدعوة عندما أصبحت تخصصاً علمياً له علومه الخاصة به ، وفروعه المنتسبة إليه ، والمنبثقة منه ، وذلك من مثل علم تاريخ الدعوة ، وأصول الدعوة ، ومناهج الدعوة ، والخطابة وطرق التبليغ ... الأمر الذى يوجب على الباحثين ضرورة الاهتمام بتحديد المفهوم الاصطلاحي للدعوة عند الدعاة.

(١) رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، جـ ١ ، ص ٥ ، رقم الحديث ٧ .

(٢) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١٤ ص ٢٥٩ .

(٣) ابن الأثير ، النهاية فى غريب الحديث ، جـ ٢ ص ١٢٢ .

(٤) انظر : القرافي ، شرح تنقيح الفصول فى اختصار المحصول فى الأصول ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ط ١

١٣٩٣ هـ ص ٤ ص ٧ .

على أنه يجدر بنا ونحن نتعرض لهذه القضية ، أن نأخذ بعين الاعتبار ملاحظة د.عبدالله الشاذلي<sup>(١)</sup> وذلك حين يقول : « لا ينبغي الإسراف في التعريفات والحدود ، ولا بد من التمييز بين الواضح الجلي وبين الغامض المجهول »<sup>(٢)</sup>.

وقبل أن يقوم الباحث باستعراض التعريفات الاصطلاحية من خلال كتب الدعوة ، يود أن يشير إلى أنه لا بد من الفصل بين التعريف المقصود ، وهو الذي يقصد به صاحبه تعريف الدعوة ، وبين التعريف غير المقصود ، وهو الذي يأتي في ثنايا كلام المؤلف دون أن يقصد به حد الدعوة وتعريفها .

وبدون هذا الفصل ظهر من ينتقد بعض العلماء والكتاب في تعريفهم الاصطلاحي للدعوة ، والذي لم يقصدوا به حد الدعوة وتعريفها .

(١) أستاذ مشارك بكلية الدعوة والإعلام سابقاً .

(٢) د. عبد الله الشاذلي ، الدعوة والإنسان ، المكتبة التوفيقية ، طنطا ، ط١ ، ١٤٠٧ ص ٥٨ .

## الدعوة في اصطلاح الدعاة :

أولاً :

هناك ثلاثة مصطلحات تدور حولها تعريفات الباحثين وهي :

١ - الدعوة الإسلامية ، دعوة الإسلام .

٢ - الدعوة إلى الإسلام .

٣ - علم الدعوة .

ولكل منها تعريف مستقل ، وربما نشأ الخلط في التعريفات من عدم التفرقة بين هذه المصطلحات الثلاثة .

فالدعوة الإسلامية أو دعوة الإسلام تعني دين الإسلام كما قال تعالى : ﴿ له دعوة الحق ﴾ .

أما الدعوة إلى الإسلام فإنها تعني العمل والجهد المبذول نشرًا وتبليغًا لمبادئ الدعوة .  
وأما علم الدعوة فهو إضافة لمصدر العلم إلى الدعوة ، وهو اصطلاح يشير إلى ما يختص به تخصص الدعوة من مناهج دراسية دعوية ، وبحوث علمية كذلك .

ثانياً :

يمكن تقسيم التعريفات الموجودة في البحوث والمؤلفات الدعوية باعتبار منهج أصحابها إلى ما يلي :

١ - فريق لم يُعن أتباعه بتعريف الدعوة وحدّها الجامع المانع ، وإنما جاء ذكرها في ثنايا كلامهم عنها فأشاروا إليها في بعض معانيها .

(١) سورة الرعد : الآية ١٤ .

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ١٤٠٤هـ، ج ١٥ ص ١٥٨ حيث عرف الدعوة بقوله: الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته=

٢ - فريق عني اتباعه بالتعريف ، ولم يفرقوا بين الدعوة الإسلامية بمعنى الدين والدعوة إلى الإسلام<sup>(١)</sup> .

٣ - فريق اهتم اتباعه بالتعريف ، وفصلوا بين الدعوة وعلم الدعوة<sup>(٢)</sup> .

ثالثاً :

عمد بعض المؤلفين في تعريفهم للدعوة إلى جعلها مقصورة على العلماء فقط<sup>(٣)</sup> ،

= وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه ، أ.هـ. وانظر : الراوي ، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، مكتبة الرشد ، الرياض ط ٣ ، ١٤١١ هـ ص ٤ حيث قال : « يمكننا أن نقول إنها دين الله الذي ارتضاه للعالمين تمكينا لخلافتهم وتيسيراً لضرورتهم ووفاء بحقوقهم ورعاية لشؤونهم وحماية لوحدهم وتكريماً لانسانيتهم واشاعة الحق والعدل فيما بينهم . هي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني وتقرير الحقوق والواجبات ، . وانظر : البهي الخولي تذكرة الدعاة ، ص ٣٠ ، حيث عرفها بقوله « هي نقل الأمة من محيط إلى محيط .

(١) انظر : مثلاً توفيق الواعي ، الدعوة إلى الله ، مكتبة الفلاح ، الكويت ط ١ ، ١٤٠٦ ، ص ١٨ ، ١٩ حيث ذكر للدعوة عدة تعاريف فقال « هي الخضوع لله والانقياد لتعاليمه بلا قيد ولا شرط ، وقال « هي الدين الذي ارتضاه الله للعالمين وانتزل تعاليمه وحيا على رسول الله ﷺ وحفظها في القرآن الكريم وبيتها السنة » ثم عرفها بقوله « هي النظام العام والقانون الشامل لأمر الحياة و مناهج السلوك الإنساني التي جاء بها محمد ﷺ من ربه وأمر بتليغها إلى الناس » ثم قال : « والحقيقة إن الدعوة الإسلامية تشتمل على كل هذه التعريفات فهي استسلام لأمر الله وخضوع له وهي تنفيذ لتعاليم القرآن والسنة وهي نظام شامل للحياة الإنسانية يجمعها تعريف واحد نرتضيه ونميل إليه وهو الدعوة إلى توحيد الله والإقرار بالشهادتين وتنفيذ منهج الله في الأرض قولاً وعملاً كما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة ليكون الدين كله لله ، . وهذا الخلط لا يكاد يتميز منه تعريف واضح للدعوة .

وانظر : أيضاً محمد أبو الفتح البيانوني ، المدخل إلى علم الدعوة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ص ١٧ حيث عرف الدعوة بقوله « الدعوة الإسلامية . تبليغ الاسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة » .

(٢) انظر : د. أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، ص ١٠ ، وسيأتي ذكر التعريف بنصه في نهاية جزئية التعريفات التالية إن شاء الله تعالى .

(٣) انظر : مثلاً د. أبو بكر زكري ، الدعوة إلى الإسلام ، مكتبة دار العروبة القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٨ ، حيث عرف الدعوة بقوله : « هي قيام العلماء المستيرين في الدين بتعليم الجمهور من العامة ما يصبرهم بأمر دينهم على قدر الطاقة . وانظر : د. أبو امجد السيد نوفل ، الدعوة إلى الله خصائصها ومقوماتها ، ص ١٨ ، حيث عرفها بقوله : « هي قيام من عنده أهلية النصيح والتوجيه السديد من المسلمين في كل مكان وزمان بترغيب الناس في الإسلام واعتقاداً ومنهجاً وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة » .



وسبب ذلك قصرهم للدعوة على القول فقط والأصل أن الدعوة كما تكون بالقول تكون بالعمل أيضاً أي : القدوة والمعاملة ، وهي ما يشترك فيه العلماء وغيرهم .

ولقد كان للدعوة بالقدوة والمعاملة الحسنة أثر كبير في تاريخ الدعوة الإسلامية ، ودخلت أفواج كبيرة إلى الإسلام لما رأوه من معاملة المسلمين لهم .

رابعاً :

هذه التعريفات المذكورة تحوي في مضمونها ما يلي :

١ - موضوع الدعوة وهو الإسلام .

٢ - كيفية الدعوة ( طرقها ووسائلها ) .

٣ - الهدف من الدعوة .

أي أنها تجيب على أسئلة ثلاثة هي :

إلام ندعو ؟

كيف ندعو ؟

لماذا ندعو ؟

وأكثر التعريفات الموجودة لا تجيب على هذه الأسئلة مجتمعة ، وإنما تجيب على سؤال

أو سؤالين منها .

وربما كان التعريف الجامع هو الذي يحوي إجابة هذه الأسئلة الثلاثة أي يشمل :

١ - موضوع الدعوة .

٢ - بيان كيفية الدعوة نظرياً وعملياً .

٣ - بيان أهداف الدعوة وغاياتها .

وقد يكون تعريف أحمد غلوش أقرب التعريفات وفاء بذلك ، حيث يقول ، إن

الدعوة هي « العلم الذي تعرف به كافة المحاولات الفنية الهادفة إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق »<sup>(١)</sup> وهذا التعريف هو الذي يميل إليه الباحث ويختاره ، ونظراً لأن هذا التعريف لم يتضمن غاية الدعوة فإنه يمكن أن يضاف إليه « ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة » .

فالدعوة علم يبحث في كيفية تبليغ الناس الإسلام ليفوزوا بسعادة الدارين .

(١) د. أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، ص ١٠ .

## الفرع الثاني

### عالمية الدعوة

بعث الله تعالى الرسل مبشرين ومنذرين ، وأنزل إليهم الكتب ؛ ليقوموا بهداية الناس إلى صراط الله وإخراجهم من الظلمات إلى النور فكان كل نبي يدعو قومه إلى عبادة الله وحده وإلى الابتعاد عن مواطن سخط الله وعقابه .

وتعاقب الأنبياء (عليهم السلام) على الأمم ، حتى ختم الله الرسالات بمحمد ﷺ الذي فضله الله تعالى على جميع الأنبياء والمرسلين ، « وجعل له شرعة ومنهاجا أفضل شرعة وأكمل منهاج مبين ، كما جعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، وجعلهم وسطا عدلا خياراً »<sup>(١)</sup> .

وكان الدين الذي ارتضاه الله لعباده هو دين الإسلام الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل ، فهو دين الأنبياء وأتباعهم ، ولا يقبل الله من أحد دينا سواه ، قال تعالى : « ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه »<sup>(٢)</sup>

فدين الأنبياء والمرسلين دين واحد وان كان لكل من التوراة والإنجيل شرعة ومنهاج ولهذا قال ﷺ . « الأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد »<sup>(٣)</sup> قال الإمام ابن حجر<sup>(٤)</sup> ( رحمه الله ) : « معنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد ، وإن اختلفت

(١) ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، مطابع المجد ، بدون تاريخ ، جـ ١ ، ص ٦ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٨٥ .

(٣) رواه البخاري ، في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى « واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا » ، جـ ٣ ، ص ١٢٧٠ ، رقم الحديث ٣٤٤٢ ، ورواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى عليه السلام ، جـ ٨ ، ص ١٢٨ ، رقم الحديث ٢٣٦٥ ، والعلات بفتح المهملة : الضرائر وأولاد العلات الأخوة من الأب . انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ ٦ ص ٤٨٩ .

(٤) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، من أئمة العلم والحفاظ وعلماء الحديث له مصنفات عدة أشهرها فتح الباري شرح صحيح البخاري ، توفي عام ٨٥٢ هـ ، انظر : ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار إحياء التراث العربي ، بدون تاريخ ، جـ ٧ ، ص ٢٧٠ .

فروع الشرائع<sup>(١)</sup>. فالأنبياء (عليهم السلام) كانوا يبعثون لغاية واحدة، هي دعوة الناس إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة ، «وكان لكل نبي مرحلة زمنية محدودة ، حتى إذا ما انقضت ، بعث الله نبياً آخر ، أما محمد ﷺ فهو خاتم النبيين ، ورسالته هي رسالة الخلود التي قدر الله بقاءها إلى أن تقوم الساعة ، ويطوى بساط هذا العالم ، فهي تتضمن هداية الله الأخيرة للبشرية، فليس بعد الإسلام شريعة ، ولا بعد القرآن كتاب ، ولا بعد محمد ﷺ نبي<sup>(٢)</sup>» ، ولم يسبق لأحد من الأنبياء قبل محمد ﷺ أن أعلن أن رسالته هي الخاتمة ، وأن لا نبي بعده ، بل قد أخذ الله عليهم الميثاق أن يؤمن كل نبي بمن بعده قال تعالى : ﴿ وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول من عند الله مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾<sup>(٣)</sup> ، وكان إبراهيم يدعو ربه هو وابنه إسماعيل : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾<sup>(٤)</sup> كما جاء الإخبار عن النبي ﷺ في التوراة والإنجيل قال تعالى ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل .... الآية ﴾<sup>(٥)</sup> ، وجاءت البشارة به صريحة على لسان عيسى في القرآن الكريم ﴿ واذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾<sup>(٦)</sup> ، وإذا كان الأنبياء (عليهم السلام) لم يعلن أحد منهم أن رسالته هي الخاتمة ، فإن أحداً منهم لم يقل إنه أرسل إلى الناس كافة ، بل كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، قال تعالى :

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج ٦ ص ٤٨٩ .

(٢) د. يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٤٠٩ هـ ، ص ٩٠ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٨١ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٣٩ .

(٥) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

(٦) سورة الصف : الآية ٦ .

«ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات»<sup>(١)</sup> . أما محمد ﷺ فإن الآيات القرآنية صريحة تامة بأنه أرسل إلى الناس كافة قال تعالى: «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون»<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: «تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً»<sup>(٤)</sup> .

ثم إنه ليكفي في الدلالة على عالمية الإسلام ، أن دعوته لا توجه إلى جنس من الأجناس ، ولا قومية من القوميات ، وإنما توجه دعوته إلى الناس كافة ، ولذلك لم يؤثر ورود الخطاب بـ «يا أيها الناس» .. كخطاب يشير إلى العالمية والعموم .. لم يرد هذا الخطاب في القرآن الكريم إلا خاصا بدعوة خاتم الأنبياء .. قال تعالى مخاطباً محمداً ﷺ: «قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً»<sup>(٥)</sup> ، وقال تعالى: «قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين»<sup>(٦)</sup> .

فهذه الآيات وغيرها تفيد صراحة أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، لا تختص بأمة دون أخرى ، فهي «تعم المعاصرين لنزول القرآن ومن سيأتي بعدهم إلى يوم القيامة ، بل إنها تشمل الجن مع الإنس باتفاق جمهور العلماء»<sup>(٧)</sup> .

ومما يؤكد عالمية الدعوة الإسلامية أن في القرآن الكريم «من دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن دعوة المشركين وعباد الأوثان ، وجميع الإنس والجن ، مالا يحصى

(١) سورة الروم : الآية ١٠٧ .

(٢) سورة سبأ: الآية ٢٨ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ١٠٧ .

(٤) سورة الفرقان : الآية ١ .

(٥) سورة الأعراف : الآية ١٠٨ .

(٦) سورة الحج : الآية ٤٩ .

(٧) د. أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، ص ٢١٤ .

إلا بكلفة ، وهذا كله معلوم بالاضطرار من دين الاسلام»<sup>(١)</sup>

كما يؤكد هذه العالمية أيضاً أن هذه التشريعات الربانية ، والتوجيهات القرآنية للرسول ﷺ لم تكن نصوصاً تتلى فقط بل إنه ﷺ « باشر عملياً تنفيذ عالمية الدعوة يوم أن سنحت له الفرصة بعد الحديبية ، حيث أرسل إلى الملوك والأمراء في كل الأرض يدعوهم إلى الإسلام ويحملهم إثم أتباعهم إن لم يبلغوهم»<sup>(٢)</sup>

إن التأكيد على عالمية الدعوة من الأمور المهمة ، والضرورات الملحة ، خاصة في هذا العصر الذي ما فتىء أعداء الدعوة يريدون قصر دين الإسلام على العرب ، زاعمين «أنه دين جنس معين كاليهودية ، ويذكرون أن الاتجاه به إلى غير العرب خروج على طبيعة الإسلام ذاته»<sup>(٣)</sup> ، وقد زعم بعض المستشرقين أن محمداً ﷺ لم يكن يعلن في أول أمره أنه مبعوث إلى الناس كافة ، وإنما فعل ذلك بعدما أتيح له الانتصار على قومه من العرب<sup>(٤)</sup> .

وقد وقف أعداء الدعوة من المستشرقين وغيرهم عند آيات من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿ وأنذر عشيرتک الأقربين ﴾<sup>(٥)</sup> وقوله تعالى: ﴿ لتنذر أم القرى ومن حولها ﴾<sup>(٦)</sup> وقوله تعالى: ﴿ لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك ﴾<sup>(٧)</sup> ، وذكروا أن الدعوة الإسلامية متجهة إلى عشيرة النبي ﷺ وإلى أم القرى « مكة » ، وإلى البوادي حولها ، وإلى العرب الذين لم يأتيهم رسول من عهد إسماعيل (عليه السلام) ورأوا استنباطاً من ذلك أن الإسلام خاص

(١) ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ١ ، ص ١١٢ .

(٢) د. أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، ص ٢٢٢ .

(٣) نقلاً عن المرجع السابق ص ٢١٤ .

(٤) انظر : د. يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص ٩٨ .

(٥) سورة الشعراء : الآية ٢١٤ .

(٦) سورة الشورى : الآية ٧ .

(٧) سورة القصص : الآية ٤٦ .

بالعرب<sup>(١)</sup>.

لقد غفل هؤلاء عن أن القرآن في بداية نزوله جاء يؤكد عالمية الدعوة وعمومها في آيات كثيرة كقوله تعالى في سورة القلم - وهي من أوائل ما نزل من السورة المكية - : «وما هو إلا ذكر للعالمين»<sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى في سورة التكويد - وهي مكية أيضاً - : «إن هو إلا ذكر للعالمين»<sup>(٣)</sup> ، ثم إن البداية بالأهل والعشيرة في الدعوة أمر طبيعي لا يتعارض ويتناقض مع صحة الدعوة أو امتدادها الواسع في كل زمان ومكان .

وقد نزل من القرآن بعد ذلك قوله تعالى : « وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها»<sup>(٤)</sup> فما المفهوم لكلمة ومن حولها ؟

الواقع أن هذه الكلمة لا تخصص الدعوة بالجزيرة العربية . كما لا يخص وصف القرآن بكونه عربياً، لأن قوله تعالى : « ومن حولها » يمكن أن يشمل العالم كله كما أنه قد يضيق حتى لا يتعدى اليمن فمن أين التحديد ببلاد العرب فقط<sup>(٥)</sup> .

وكما قصر البعض دعوة النبي ﷺ على العرب فإن هناك من قالوا بأن رسالات الأنبياء السابقين عالمية<sup>(٦)</sup> ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : « وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس »<sup>(٧)</sup> ، وغفل هؤلاء عن كثير من الآيات القرآنية التي تنص على خصوصية

(١) انظر : د. أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية اصولها ووسائلها ، ص ٢١٥ وانظر : محمد الراوي ، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، ص ٦٢ .

(٢) سورة القلم : الآية ٢ ، وهي ثاني سورة نزلت عند بعض المفسرين .

(٣) سورة التكويد : الآية ٢٧ وهي سابع سورة نزلت عند بعض المفسرين .

(٤) سورة الشورى : الآية ٧ .

(٥) انظر : محمد الراوي ، الدعوة الإسلامية ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٦) انظر : عبد الكريم عثمان ، معالم الثقافة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١٤٠٣ ص ١٢١ حيث يقول «وقد كانت هذه العالمية طبيعة دعوات الرسل جميعاً ، أ.هـ .

(٧) سورة آل عمران : الآية ٣ ، ٤ .

دعوات الأنبياء السابقين عامة<sup>(١)</sup> ، قال تعالى : «ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات<sup>(٢)</sup>» .

ثم إن قوله تعالى : « وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس » لا تدل على عالمية دعوة اليهود والنصارى ؛ لأن كلمة الناس تستخدم أحيانا بمعنى الأفراد المعدودين مثل قوله تعالى « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم<sup>(٣)</sup>» ، وقوله تعالى : « ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا<sup>(٤)</sup>» ، فالناس هنا هم سكان الجزيرة العربية حيث إن الإسلام لم يخرج في حياة الرسول ﷺ عن شبه الجزيرة . كما غفل هؤلاء عن الأحاديث الصحيحة التي تبين خصوصية دعوة الأنبياء مثل قوله ﷺ : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة<sup>(٥)</sup>» .

ويمكن أن نستنتج من خلال النصوص القرآنية والنبوية السابقة ، أن من بين ما تتميز وتنفرد به الدعوة الإسلامية للنبي الخاتم ﷺ ... أنها دعوة عالمية ، أما دعوة الأنبياء السابقين فلم تحظ بمثل هذه الخاصية ، وكذلك كانت دعوة موسى وعيسى عليهما السلام ، حيث اتسمت شريعة كل منهما بالخصوص لا بالعموم ، وبالتوقيت لا بالتأييد ، وبال محلية لا بالعالمية ، فاليهودية في بداية عهدها .. عصر موسى (عليه السلام) .. دين خاص أرسل به

(١) سيأتي ذكر الأدلة المفصلة المتعلقة بهذه القضية في الصفحة التالية .

(٢) سورة الروم : الآية ٤٧ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٧٣ .

(٤) سورة النصر : الآية ٢ .

(٥) رواه البخاري ، كتاب التيمم ، ج ١ ص ١٢٨ ، رقم الحديث ٣٣٥ ، ورواه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ،

ج ٥ ، ص ٦ ، رقم الحديث ٥٢١ .



الكليم إلى فرعون الطاغية وملئه المستكبر ، لدعوتهم إلى عبادة الله رب العالمين وحده ، وترك العظمة التي كان يدعيها الطاغية ، وتقبلها حاشيته المستكبرة .. أيضاً أرسل موسى (عليه السلام) إلى بني إسرائيل ليخلص أجسامهم من ذل العبودية للحاكم الطاغية بذل العبودية لله وحده ، كما يخلص ويحرر وجداناتهم من الوثنية الشائعة آنذاك ليغرس في قلوبهم عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى ، واليهودية - في بداية عهدها أيضاً - هي صاحبة التوراة الصحيحة والتي كان العمل بأحكامها مقصوراً على بني إسرائيل وحدهم ، لأن التوراة لم تنزل على موسى (عليه السلام) إلا بعد غرق فرعون وملئه<sup>(١)</sup> .

هذا هو شأن الدين اليهودي في بداية عهده ، أما شأنه بعد ذلك ، فهو دين يعلن - على سمع الزمان وبصره - قوميته وإقليميته ، وذلك لأمر نتبينه من إقرار التوراة وإصرارها - حتى بعدما اعتراها التحريف - على إقليمية الألوهية لله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ، ويود الباحث أن يشير هنا إلى أنه من المتعذر الاستشهاد بما يرشد إلى هذه الإقليمية لأن عبارات (إله إبراهيم وإله إسحاق وإله إسرائيل إله العبرانيين) تشيع بكثرة كثيرة في أسفار التوراة وهذا ما جعل بعض الباحثين يقول : « إن تعاليم الربانيين كانت قد أقامت على الوعد الذي تلقاه إبراهيم ، وعلى ميزة الاختيار التي كانت ليعقوب ، عقيدة دينية قومية ، فالله سبحانه وتعالى قد أصبح في تلك العقيدة - وعلى وجه التقريب - ألوهية قومية »<sup>(٢)</sup> .

ثم إذا تجاوزنا اليهودية إلى النصرانية ، وجدنا الثانية لا تختلف عن الأولى في كونها ديانة خاصة .. إذ أن عيسى (عليه السلام) ما أرسل إلا لبني إسرائيل وحسب .. وهذا ما تقرره النصرانية الحاضرة حين ينص إنجيل متى على ذلك ، بقوله على لسان عيسى : « لم

(١) انظر : أبو السعود ، تفسير أبي السعود ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، بدون ، ج - ٢ ، ص ٣٠٦ ..

(٢) مالك ابن نبي ، الظاهرة القرآنية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٩٠ .

أرسل إلا إلى اخراف الضالة من آل إسرائيل<sup>(١)</sup>.

وبهذا يتبين أن نصوص التوراة والإنجيل تؤكد أن دعوة موسى وعيسى عليهما السلام إنما جاءت خاصة بأقوامهم وليست عامة ، وشواهد التاريخ والواقع تؤكد أن اليهود مثلا لا يدعون أحدا إلى دينهم ويعتقدون أنه يخصهم دون غيرهم .

---

(١) د. مصطفى أبو سمك ، المدخل لدراسة النظم والثقافة الإسلامية ، مؤسسة الوفاء . القاهرة ط ١٤٠٥ ص ١٥٠ ، ١٥١ ،  
بتصرف والنص المذكور في انجيل متى إصحاح ١٥ عد ٢٤ ، انظر : إنجيل متى ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٦ م.

## الفرع الثالث

### الحاجة الماسة لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام

منذ أن هبط آدم (عليه السلام) إلى الأرض واستخلفه الله فيها بين الله له ولذريته طريق الهداية والرشاد وطريق الضلال والفساد ، قال تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فيما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾<sup>(١)</sup>.

« وتتابع رحمة الله على هذا الإنسان فأمدته بالرسول ، وأنزلت عليه الكتب ، حتى لا يضل ولا يشقى وحتى لا يكون للناس على الله حجة »<sup>(٢)</sup> ، والناس في كل زمان ومكان « لا يستغنون عن رزق الله ولا عن عن هدايته ، هم فقراء إليه فيما يطعم أبدانهم من جوع وفيما يزكي أرواحهم من كدر ، ومهما أوتي بعضهم من ذكاء أو صفاء فإنه لن يستطيع تدبير شأنه ، وإصلاح أمره بعيداً عن وحي الله ، وتعاليم أنبيائه »<sup>(٣)</sup> الذين أرسلهم الله تعالى لهداية الناس .

وان الإنسان مهما بلغ علمه لا يستغني عن وحي الله ؛ « لأن العقل مهما اتسع أفقه وامتدت مداركه فإنه لا يستطيع بلوغ المغيبات ومعرفتها على الوجه الصحيح »<sup>(٤)</sup> ، ولذلك فإن الحاجة إلى وحي الله وقيادة المرسلين لا تنقطع أبداً ، فهم وحدهم يملكون اللغة الوحيدة التي تخاطب الفطرة وتوجهها الوجهة المستقيمة<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة طه : الآية ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) انظر : نمر الخطيب ، مرشد الدعاة ، دار المعرفة . بيروت ط ١ ، ١٤٠١ ص ٣١ .

(٣) محمد الغزالي ، مع الله ، دراسات في الدعوة ، والدعاة ، دار الكتب الإسلامية مصر ، ط ٥ ، ١٤٠١ ص ٢٢ .

(٤) نمر الخطيب ، مرشد الدعاة . ص ٣١ .

(٥) انظر : محمد الغزالي ، مع الله ص ٢٣ وانظر : د. أحمد العسال ، الإسلام وبناء المجتمع ، دار القلم ، الكويت ط ٨ ،

١٤٠٧ ص ٩ .

إن البشرية اليوم أحوج ما تكون إلى هداية الله ، فحاجة الناس إلى الدين « ليست بأقل من حاجتهم إلى الشمس والهواء والماء والغذاء »<sup>(١)</sup> ، فهم محتاجون « لدين يضبط سلوكهم ويسيروا على هديه في حياتهم وينظمون علاقاتهم مع خالقهم ومع أنفسهم ومع مجتمعاتهم الصغيرة والكبيرة على أساس منه .. ولم يستقر لهم قرار ولم تستقم أحوالهم في فترة من الفترات على غير ذلك »<sup>(٢)</sup> .

قال ابن القيم<sup>(٣)</sup> (رحمه الله) :

« حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء ولا نسبة إلى علم الطب إليها ، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب ، ولا يكون طبيب إلا في بعض المدن الجامعة ... وقد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم ، وجعل لكل قوم عادة وعرفا ، في استخراج ما يهجم عليهم من الأدوية ، حتى إن كثيراً من أصول الطب إنما أخذت من عوائد الناس وعرفهم وتجاربهم ، وأما الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضى الله وسخطه ، وحركات العباد الاختيارية ، فمبناها على الوحي المغض »<sup>(٤)</sup> .

ولذلك كانت حاجة الناس ملحة في كل زمان ومكان إلى هداية الله ووجيهه ، وما ضلت البشرية وازدادت شقاؤها في كل وقت ؛ إلا عندما اندرس الوحي ونسي الناس تعاليم الأنبياء وعطلوا العمل بها .

وعندما جاء الإسلام كانت البشرية في أشد حالاتها احتياجاً إليه فكانت الآلهة تأخذ

(١) محمد الراوي ، الدعوة الإسلامية ، دعوة عالمية ص ٤٥ .

(٢) د. عبد الله التركي ، الدعوة إلى الإسلام ، هذه سبيلي ، مجلة تصدر عن المعهد العالي للدعوة ، سابقاً كلية الدعوة والإعلام ، حالياً ، الرياض ، العدد الأول ١٣٩٨ هـ ، ص ٦ .

(٣) محمد بن أبي بكر الدمشقي ، شمس الدين ، من العلماء الأفاضل ، ولد عام ٦٩١ هـ ، تلميذ ابن تيمية ، له عدة مؤلفات ، منها زاد المعاد ، وإعلام الموقعين ، توفي عام ٧٥١ هـ ، انظر : ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ١٦٨ .

(٤) ابن قيم الجوزية ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، ج ٢ ص ٣ .

صوراً شتى في حياة الناس ، وكان الظلم قد بلغ ذروته على مستوى الجماعات والأفراد فالضعيف مسلوب الإرادة ، وكان العالم يتطلع إلى « حضارة تنقذه من ويلات الخوف والرعب والخبوء الخلقى وذنس الضمير ، وتعيد إليه الطمأنينة والسكينة »<sup>(١)</sup> .

واليوم يتطلع العالم من جديد إلى من يهديه إلى الحق في عصر ساد فيه « الجفاف الروحي والانقطاع الرهيب عن الله رب العالمين ، والصدود الغريب عن تراث النبيين ، وغلبة الأثرة والجشع على الأقوياء »<sup>(٢)</sup> .

ورغم أن عالمنا المعاصر قد بلغ شأواً بعيداً في وثبته في أبعاد الكون وفي تقدمه العلمي في جميع المجالات إلا أن ذلك العلم وذلك التقدم « لا يبعث على التفاؤل مالم يصحبه عود سريع إلى الله واعزاز لأمره وإعلاء لشرعه »<sup>(٣)</sup> .

إن العالم اليوم في حاجة إلى دعوة عالمية تحترم قيمة الإنسان وتقدر كرامته وتحوطه بسياج اليقين وتطبعه على البر والرحمة في حاجة إلى دعوة تضع الأمور في نصابها وتأخذ الحق للضعيف وتنصر المظلوم وتشيع العدل بين الناس<sup>(٤)</sup> .

وحاجة العالم إلى ذلك هي حاجته إلى كل علم صحيح وإلى كل خطة صالحة ، فالعالم محتاج إلى أن يعرف الله كما عرّف نفسه إلى عباده قال تعالى : « كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب »<sup>(٥)</sup> .

(١) محمد الصادق عرجون ، الموسوعة في سماحة الإسلام ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الرياض ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ ، ج ١ ، ص ٤٨٠ .

(٢) محمد الفزالي ، مع الله ، ص ٢٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٤) انظر : محمد الراوي الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ص ٣٣ وانظر : علي عبد الحليم محمود عالمية الدعوة الإسلامية ، دار الوفاء ، المنصورة ، بدون تاريخ ، ص ٧١ .

(٥) سورة الرعد : الآية ٣٠ .

والعالم محتاج إلى أن يعرف محمداً ﷺ وأن يدرس سيرته دراسة وافية بعيدة عن الافتراء والتزايد ؛ ليأخذ من سيرته أعظم درس فيما تستطيع المواهب البشرية بلوغه من خير وفضل ، كما أنه محتاج أيضاً إلى أن يدرك جملة الحقائق التي جاء بها الإسلام من عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات<sup>(١)</sup> .

إن مما يؤكد ضرورة ذلك أن في العالم اليوم ما يزيد عن أربعة آلاف مليون إنسان لا يدينون بالإسلام ومن هؤلاء ألوف مؤلفة لم تبلغهم الدعوة إطلاقاً أو بلغتهم في صورة مشوهة .

إن معظم المسلمين اليوم تركوا الحق يخدم نفسه بنفسه ، وينصر قضاياه اعتماداً على ما فيها من صواب<sup>(٢)</sup> .

إن هذا المنهج قد صد الكثيرين عن الإسلام فرغبوا عنه ، ونفروا منه ، وهم لا يعلمون من حقائقه وتاريخه شيئاً يذكر .

وإضافة إلى ذلك فإن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام قد اضمحلت في نفوس الناس بل هانت ، ليس عند عامة المسلمين بل عند بعض العلماء يقول أبو زهرة<sup>(٣)</sup> : « من العلماء من يزعم أن التبليغ قد تم ، وأن غير المسلمين عليهم أن يتعرفوا على الإسلام ، ولسنا مسؤولين عن تعريفهم به »<sup>(٤)</sup> ، وهذه النظرة غفلت كثيراً عن واقع المسلمين اليوم ، وبعد كثير منهم عن هدي الإسلام الصحيح ، كما نسي أصحاب هذا القول « أن تلفيق الشبه وتجميع الخيل يمكن أن يصد الجماهير عن الإيمان ويعلق أبصارهم بخدع لا قيمة لها<sup>(٥)</sup> » .

(١) انظر : محمد الغزالي ، مع الله ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) انظر : آدم عبد الله الألوري ، تاريخ الدعوة إلى الله ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٠٨ ، ص ٢٦٣ .

(٣) محمد أبو زهرة ، من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر ، ولد بمصر ، عمل مدرساً في كلية أصول الدين وكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، له أكثر من ٤٠ مؤلف في العقيدة والجدل والفقهاء والثقافة الإسلامية ، توفي عام ١٣٩٤ هـ ، انظر :

محمد أبو زهرة ، تحريم الربا ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، بدون تاريخ ، ص ٥٤ .

(٤) محمد أبو زهرة الدعوة إلى الإسلام ، دار الفكر العربي ، القاهرة بدون تاريخ . ص ١٦ .

(٥) آدم الألوري تاريخ الدعوة إلى الله ، ص ٢٦٣ .

إن دعاة المسلمين لا يزالون مقصرين في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، وهم مسؤولون أمام الله عن هذا التقصير ، فهم ورثة الأنبياء (عليهم السلام) ، وهم مطالبون بأن ينشروا هداية الله إلى جميع الأمم .

وما دمنا نعتقد أن الإسلام رسالة عالمية ، ومادام على وجه الأرض غير مسلم فإن أمانة تبليغ دعوة الإسلام إلى غير المسلمين تقع علينا نحن المسلمين بوجه عام وعلى الدعاة بوجه خاص<sup>(١)</sup> .

ولذلك فإن الضرورة ملحة إلى المصلحين والدعاة ، ليتابعوا تبليغ هذا الدين ، ويؤدوا ما كلفوا به من أمانة ، وما أخذه الله عليهم من عهد ، فالعالم كله اليوم في أشد الحاجة إلى ما يبصره بدين الإسلام ، وإلى ما يعلمه أحكامه العادلة ، وتعاليمه السمحة ، ومحاسنه التي لا تحصر<sup>(٢)</sup> .

وإذا كان المسلمون مسؤولين عن تبليغ الإسلام إلى غير المسلمين ودعوتهم إليه في كل مكان ، فكيف بالذين وفدوا منهم إلى بلاد المسلمين في العصر الحاضر وهم ألوف مؤلفة ، وبعضهم يمكث سنين طويلة بين المسلمين دون أن تصله دعوة الله ، مما يؤكد أن على المسلمين أن يبذلوا الوسع في تبليغهم ، وأن تتظافر جهود العلماء في التأكيد على ضرورة هداية غير المسلمين إلى الإسلام وبيان محاسنه لهم قولا وعملا ، واغتنام فرصة وجودهم ، فقد يرجع هؤلاء بعد فترة قصيرة من قدومهم إلى بلاد المسلمين ، وهم لم يسمعوا كلام الله ولم يعرض عليهم الإسلام ، وهذا أمر له خطره وضرره ، فإن هذه الأمة مأمورة بالبلاغ في نصوص كثيرة من القرآن والسنة ، سيأتي الحديث عنها في المطلب التالي ، وهي كذلك منهية عن ترك البلاغ لنلا يصيها ما أصاب الأمم من قبلها قال تعالى : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم

(١) آدم الألوري ، تاريخ الدعوة إلى الله ، ص ٢٦٣ .

(٢) د. عبد الله التركي ، الدعوة إلى الإسلام ، مجلة هذه سبيلي ، العدد الأول ، ص ١١ ، بتصرف .

المفلحون ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم“<sup>(١)</sup>.

ثم إن مما يؤكد ضرورة دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، أن غير المسلمين باتجاهاتهم وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم يؤثرون على المسلمين ، وبالتالي فإن دعوتهم إلى الإسلام ومن ثم دخولهم فيه يقلل من هذا الخطر .

(١) سورة آل عمران : الآيات ١٠٤ ، ١٠٥ .



المطلب الثاني

حكم دعوة غير المسلمين على العلماء وعامة الناس

الفرع الأول

الحكم وتقسيماته

الفرع الثاني

حكم الدعوة على العلماء

الفرع الثالث

حكم الدعوة على عامة الناس

## الفرع الأول الحكم وتقسيماته

يعرف الأصوليون الحكم الشرعي بأنه : « خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاختصاص أو التخيير »<sup>(١)</sup> .

وأشكال الحكم عند جمهور الفقهاء خمسة : الواجب والمندوب والمباح والمكروه والمحرم .

ولم يختلف العلماء في وجوب الدعوة إلى الله تعالى على الأمة ، وإنما اختلفوا في تحديد نوعية الواجب ، ونوعية الواجب هنا تنقسم إلى :

١ - واجب عيني وواجب كفائي .

٢ - واجب موسع وواجب مضيق .

أولاً : الواجب العيني والواجب الكفائي .

تنقسم الواجبات باعتبار الأمور إلى واجب عيني وواجب كفائي ، فالواجب قد يتناول كل واحد بعينه كالصلوات الخمس والصوم ، وهذا النوع يسمى فرض عين .

وقد يتناول الواجب غير معين ، فالمهم حصول المأمور به من غير نظر إلى فاعله ، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتجهيز الميت ، ويسمى هذا النوع فرض كفاية<sup>(٢)</sup> ، وسمي بذلك « لأن فعل البعض فيه يكفي في سقوط الإثم عن الباقي »<sup>(٣)</sup> .

وقد اختلف الأصوليون في فرض الكفاية هل هو واجب على الجميع ويسقط بفعل البعض ؟ أم هو واجب على بعض غير معين ؟

(١) د. شعبان محمد إسماعيل ، تهذيب شرح الأسنوي ، مكتبة جمهورية مصر ، القاهرة ، ١٣٩٦ هـ ، ج ١ ، ص ٢٣ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٣ .

(٣) ابن اللحام ، القواعد والفوائد الأصولية ، دار الباز ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ، ص ١٨٧ .

في المسألة قولان :

أحدهما : وهو الذي نص عليه أحمد<sup>(١)</sup> أنه واجب على الجميع ويسقط بفعل البعض .

الثاني : وهو منسوب إلى المعتزلة أنه واجب على بعض غير معين .

قال ابن اللحام<sup>(٢)</sup> : « وإذا قلنا بالأول فلا فرق بين فرض الكفاية وفرض العين في

الابتداء وإنما يفترقان في ثاني الحال »<sup>(٣)</sup> .

أي أن الاختلاف بين فرض الكفاية وفرض العين يكون في طريق الإسقاط ، فواجب

العين لا يسقط بفعل الغير ، بخلاف واجب الكفاية ، أما من جهة الوجوب فلا فرق

بينهما .

قال الآمدي<sup>(٤)</sup> : « لا فرق عند أصحابنا بين واجب العين والواجب على الكفاية من

جهة الوجوب لشمول حد الواجب لهما »<sup>(٥)</sup> .

وقد تطرق العلماء لحكم الدعوة على ضوء هذا التقسيم ، وبينوا حكم الدعوة من

خلال ذلك .

(١) أبو عبد الله ، أحمد بن حنبل الشيباني ، إمام أهل السنة والجماعة ، كان من خواص أصحاب الشافعي ، امتحن بفتنة خلق القرآن فصره له كتاب «المسند» وغيره ، توفي عام ٢٤١ هـ ، انظر : ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص٩٦ .

(٢) علي بن عباس البعلبي الحنبلي ، تلمذ لابن رجب ، شيخ الحنابلة في وقته ، صنف في الفقه والأصول ، توفي عام ٨٠٣ هـ ، انظر : ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٧ ، ص ٣١ .

(٣) ابن اللحام ، القواعد والفوائد الأصولية ، ص ١٨٧ .

(٤) أبو الحسن علي بن محمد بن سالم التغلبي ، الأصولي ، صاحب التصانيف العقلية ، تعلم في الشام وبغداد ، توفي عام ٦٣١ هـ ، انظر : ابن عماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٥ ، ص ١٤٩ .

(٥) الآمدي ، الإحكام في أصول الأحكام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ، ج١ ، ص ١٤١ .

\* حكم الدعوة :

يوشك أن يكون محور الحديث حول حكم الدعوة عند كثير من العلماء مرتبطاً بقوله تعالى: ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾<sup>(١)</sup>. والعلماء وإن اتفقوا على وجوب الدعوة من خلال هذه الآية ، إلا أنهم اختلفوا في تحديد نوع هذا الوجوب ، هل هو فرض عين ، أم فرض كفاية ؟ وأكثر العلماء قد رجح أنها فرض كفاية<sup>(٢)</sup> ومنهم من رجح أنها فرض عين<sup>(٣)</sup>. ومال بعض العلماء إلى التوفيق بين الرأيين ، يقول الشاطبي<sup>(٤)</sup> في الموافقات : « قد يصح أن يقال إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الجميع على وجه من التجوز ، لأن القيام بهذا الفرض قيام بمصلحة عامة ، فهم مطلوبون بسدها على الجملة ، فبعضهم هو قادر عليها مباشرة وذلك إن كان أهلاً لها ، والباقون وإن لم يقدرُوا عليها قادرُونَ على إقامة القادرين »<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

(٢) منهم على سبيل المثال : الطبري ، جامع البيان ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ط ٣ ، ١٣٨٨هـ ، ج ٧ ص ٩١ ، وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مكتبة طيبة ، المدينة المنورة ط ١٤١٠هـ ، ج ١ ص ٤١٨ ، وابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، المكتب الإسلامي بيروت ط ١٤٠٧هـ ج ١ ص ٤٣٤ . والزمخشري ، الكشاف ، شركة البابي الحلبي ط ١٣٩٢هـ ج ١ ، ص ٤٥٢ ، والشوكاني ، فتح القدير ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٣هـ ج ١ ص ٣٦٩ ، والقرطبي ، أحكام القرآن ، إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٥هـ ، ج ٤ ، ص ١٦٥ .

(٣) انظر : البغوي ، معالم التنزيل ، دار طيبة ، الرياض ط ١٤٠٩هـ ج ٢ ص ٨٤ .

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الفرناطي ، أصولي ، فقيه ، من أئمة المالكية ، له عدة مؤلفات ، منها الموافقات ، الاعتصام ، توفي عام ٧٩٠هـ ، انظر : الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٥ ، ١٩٨٠م ، ج ١ ، ص ٧٥ ، انظر : عمر كحالة ، معجم المؤلفين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج ١ ، ص ١١٨ .

(٥) الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ ، ج ١ ص ٧٦ ، وانظر : التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٥٤٢ .

وحتى الذين قالوا بأن الدعوة فرض كفاية لم يطلقوا ذلك بل قيده ، قال ابن كثير<sup>(١)</sup> - عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ﴾<sup>(٢)</sup> - : « والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه »<sup>(٣)</sup> .

فكون الدعوة فرض عين أو فرض كفاية أمر نسبي يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ، « فقد تكون الدعوة فرض عين بالنسبة إلى أقوام وإلى اشخاص ، وسنة بالنسبة إلى أشخاص وأقوام لأنه وجد في محلهم ومكانهم من قام بالأمر وكفى عنهم »<sup>(٤)</sup> . ومن العلماء من علق الحكم على واقع المدعويين والدعاة فعند قلة الدعاة ، وعند كثرة المنكرات وعند غلبة الجهل - كحالنا اليوم - تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته<sup>(٥)</sup> .

وسواء كان الأمر فرض عين أو فرض كفاية ، فإن عموم النصوص الآمرة بالدعوة تحت وتطلب من كل مسلم أن يعمل بها ، فالآيات الآمرة بالتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى وعلى نشر الخير والفضيلة كثيرة معلومة .

إن الدعوة إلى الخير تتفاوت فمنها ما يقوم به كل مسلم ، ومنها ما يحتاج إلى علم فيقوم به أهله القادرون عليه ، ودعوة هذه الأمة سائر الأمم إلى الخير ، وأن يشاركوهم فيما هم عليه من النور والهدى ، مطلوب منا بحكم جعلنا أمة وسطا وشهداء على الناس ،

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، حافظ ، مؤرخ ، فقيه ، له عدة مصنفات ، منها تفسير القرآن العظيم ، البداية والنهاية ، توفي عام ٧٧٤ هـ ، انظر : ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٦ ، ٢٣١ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج١ ، ص ٤١٨ .

(٤) ابن باز ، فضل الدعوة إلى الله وحكمها ، مطابع الجامعة الإسلامية ، المدينة ، ط١ ، بدون تاريخ ، ص ١٧ .

(٥) انظر : المرجع السابق ، ص ١٦ ، وانظر : مجلة هذه سبيلي ، عدد ١ ، ص ١٤ .

وبحكم كوننا خير أمة أخرجت للناس<sup>(١)</sup> .

إن سبب اختلاف العلماء في حكم الدعوة هو اختلافهم في تفسير قوله تعالى ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾<sup>(٢)</sup>، ويمكن فهم هذه الآية اجمالاً على أنها « دعوة للمؤمنين جميعاً ليكونوا كلهم أمة واحدة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وعلى أي ظل من الظلال حملنا معناها فإن الخطاب فيها للمؤمنين ، وإن ميدان الدعوة متسع للجميع »<sup>(٣)</sup> .

وسياتي الحديث عن حكم الدعوة مفصلاً في الفرع الثاني والثالث من هذا المطلب وبيان حكمها على العلماء وعلى عامة الناس .

(١) انظر : الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية ، تونس ، ١٩٨٤ م ، ج ٣ ، ص ٣٩ ، وانظر :

محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ ، بدون تاريخ ، ج ٤ ، ص ٢٧ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

(٣) عدنان النحوي ، دور المنهاج الرباني في الدعوة ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، ط ٤ ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٨٧ « بتصرف » .

## ثانياً : الواجب الموسع والواجب المضيق :

يقسم الأصوليون الواجب إلى موسع ومضيق ، وأساس ذلك اعتبار الوقت الذي يتم

فيه .

فالواجب يكون مضيقاً عندما يكون الوقت للفعل مساوياً له لا يزيد عليه ، ولا ينقص عنه ، فلا يتم فعل المكلف إلا فيه ، كصوم رمضان مثلاً فإن وقته لا يسع إلا صوم رمضان ، فلا يتسع لأن يصوم خلاله الإنسان الفرض والنافلة .

أما الواجب الموسع فهو ما يكون الوقت المقدر للفعل أوسع منه ، فيتسع له ولغيره ، كوقت صلاة الظهر مثلاً فإنه يسعها ويسع غيرها<sup>(١)</sup> .

ولو نظرنا إلى غير المسلمين اليوم لوجدنا أنهم يمكثون في بلاد المسلمين فترة مؤقتة لا تمتد أكثر من سنة أو سنتين في بعض الأحوال ، بل إن بعضهم قد يمكث عدة شهور فقط ، وقدوم هؤلاء فرصة عظيمة لدعوتهم إلى الإسلام ، وتفويتها تفريط في الأمانة والشهادة التي اختص الله بها هذه الأمة ، قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾<sup>(٢)</sup> .

إن دعوة غير المسلمين في بلاد المسلمين لا يتسع الوقت لتأخيرها ، فربما لا يعود غير المسلم مرة أخرى إلى بلاد المسلمين ، وقد يكون بلده بعيداً لا يصله الدعاة ، أو أن دعوة الإسلام في بلده مشوهة ، أو لا يُسمح بتبليغها إلى الناس ، وهذا يؤكد وجوب دعوتهم وعدم تأخيرها .

وإذا كان الواجب المضيق حيث يكون الوقت المقدر للفعل مساوياً له ، فإن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام قد تمتد إلى سنة أو سنتين أحياناً فالهداية ليست أمراً يملكه الداعية ،

(١) انظر : د. شعبان محمد إسماعيل ، تهذيب شرح الأسنوي ، جـ ١ ، ص ٦٧ - ٧٢ وانظر : د. كمال إمام ، أصول

الحسبة في الإسلام ، دار الهداية ، مصر ، ط ١ ، ١٤٠٦ ، ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .

وربما مكث الداعي مدةً طويلة ولا يستجيب أحد لدعوته .

ومعظم غير المسلمين اليوم لا يقيمون إقامة دائمة في بلاد المسلمين ، ولذلك فإن دعوتهم في كثير من الأحوال لا تحتل التأخير ، وفي المملكة العربية السعودية خاصة لا تجوز الإقامة الدائمة لغير المسلمين ، مما يؤكد أهمية المبادرة بدعوتهم إلى الإسلام وعدم التساهل في ذلك .



## الفرع الثاني

### حكم الدعوة على العلماء

في دين الإسلام يختص العلماء دون غيرهم بمسؤولية عظمى تجاه المجتمع ، قياما بحق ميراث الأنبياء الذي يسعد به علماء المسلمين عامة ، والدعاة منهم خاصة ، وذلك بعض ما يفهم من قوله ﷺ : « وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فمّن أخذ بحظ وافر »<sup>(١)</sup> .

إن منزلة العلماء المعلمين من أرفع المنازل في الإسلام بنص هذا الحديث ولم يرفعهم إلى هذه المنزلة الرفيعة إلا علمهم وعملهم به وتعليمهم وإرشادهم الأمة ، ولذلك فهم مسؤولون عن تربية المجتمع وتهذيبه<sup>(٢)</sup> .

لقد قام علماء الإسلام عبر التاريخ بدور كبير في حراسة المجتمع ، ونشر الفضيلة فيه ، وكان لهم دور عظيم في التعريف بدين الله والدعوة إليه ، وكان علماء المسلمين ولا يزالون « أداة إصلاح للناس كافة ، وفي أقوالهم وتوجيهاتهم ومواعظهم صقل للنفوس ، وجلاء لما علق بها من عوالق الشر والفساد »<sup>(٣)</sup> .

إن العلماء مطالبون في كل مجتمع أن يقوموا بواجبهم فيه دعوة وتعليما ، إرشادا وتوجيها ، وإن هم تخلفوا عن ذلك فقد عرضوا المجتمع للهلاك والعقاب « فالناس بلا علماء في جهالة عمياء تعصف بهم رياح الباطل وتتخطفهم شياطين الإنس والجن ،

(١) رواه أبو داود ، كتاب العلم باب الحث على طلب العلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ ٣ ، ص ٣١٧ ، رقم الحديث ٣٦٤١ ، وراه الترمذي ، كتاب العلم ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، جـ ٥ ، ص ٤٨ ، رقم الحديث ٢٦٨٢ ، وصححه الألباني ، انظر : الألباني ، صحيح أبي داود ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ ، جـ ٢ ، ص ٦٩٤ .

(٢) انظر : د. محمد عجاج الخطيب ، نحات في المكتبة والبحث والمصادر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١٤ ، ١٤١٣ هـ ، ص ٢٣ .

(٣) فاروق السامرائي ، مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، دار الوفاء ، جدة ، ١٤٠٧ هـ ، ص ١٨٩ .

وبغيابهم تسود الفوضى ، وتعظم الفتن وتحل المصائب»<sup>(١)</sup>.

وفي مجال دعوة غير المسلمين فإن العلماء مكلفون بدعوتهم إلى الإسلام كل في مجال تخصصه ، وحسب استعداده « فالفقيه ، والمفسر ، والمحدث ، واللغوي ، والمؤرخ ، والطبيب ، والمهندس ، كل عليه أن يدعو في دائرة اختصاصه ، وأن يقدم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره »<sup>(٢)</sup>.

فالدعوة واجبة على العلماء ، والذين قالوا بأن الدعوة فرض كفاية احتجوا بأن الدعوة تحتاج إلى علم فأسقطوا الوجوب عن العامة ، ولم يسقطوه عن العلماء .

ومع وجوب الدعوة على العلماء ، فإن النصوص من الكتاب والسنة جاءت تحذره من الكتمان وتحملهم مسؤولية التبليغ ، فهم ورثة الأنبياء قال تعالى : ﴿ واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبدوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلاً فبئس ما يشترون ﴾<sup>(٣)</sup> .

قال ابن كثير (رحمه الله) عند تفسير هذه الآية : « وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم ، فيصيبهم ما أصابهم ، ويسلك بهم مسلكهم ، فعلى العلماء أن يذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ، ولا يكتموا منه شيئا »<sup>(٤)</sup> .

وقد توعد الله عز وجل الذين يكتمون آياته البيّنات بوعيد شديد فقال تعالى : ﴿ ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾<sup>(٥)</sup> وقال تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب

(١) فاروق السامرائي ، مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ١٨٩ .

(٢) د. عبد الله الشاذلي ، الدعوة والإنسان ، ص ٨٨ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٨٧ .

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٤٧٢ .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٥٩ .

ويشترتون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار»<sup>(١)</sup> .

وهذه الآية وإن كانت تندد بأهل الكتاب لكن مدلول النص العام ينطبق على أهل كل ملة يكتمون الحق الذي يعلمونه ، ويشترتون به ثمناً قليلاً<sup>(٢)</sup> .

إن مئات الألوف من غير المسلمين في بلاد الإسلام يتحدثون بلغات شتى ، معظمهم لا يحسنون التحدث باللغة العربية ، ومع ذلك لهم اتجاهاتهم وتصوراتهم في الحياة ، منهم أهل الكتاب ومنهم وثنيون يعبدون آلهة شتى ، وربما كان لدى كثير منهم صورة مشوهة عن الإسلام ، وكل ذلك يحمل على القول بأن العلماء وحدهم هم الذين يملكون القدرة على أقناعهم بالحق ، وإزالة الشبه العالقة بأذهانهم والرد على تساؤلاتهم وجدالهم والتي هي أحسن .

وإذا كان العامة يستطيعون دعوة المسلمين والعصاة فيما هو ظاهر ، ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، فإن الأمر في دعوة غير المسلمين يختلف ، فالعلماء وحدهم هم الذين يستطيعون دعوة جميع أصناف المدعوين من المسلمين وغيرهم .

ولذلك كان على العلماء من الواجب أكثر من غيرهم « وعليهم أن يبلغوا الدعوة إلى من استطاعوا من الأقطار ، حسب الإمكان بالطرق الممكنة ، وباللغات الحية التي ينطق بها الناس »<sup>(٣)</sup> .

وعدم معرفة لغة المدعوين لا يقف حاجزاً أمام الدعوة ، وهو ليس حجة في القعود

(١) سورة البقرة : الآيات ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٢) انظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ، ط ١٠ ، ١٤٠٢ هـ ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

(٣) ابن باز ، فضل الدعوة إلى الله وحكمها ، ص ١٧ .

عن نشرها وتبليغها ، فإن من الممكن الاستعانة - بعد الله تعالى - بالمترجمين في ذلك<sup>(١)</sup> .  
 وإن معرفة اللغة بدون علم لا تجدي شيئاً في الدعوة ، إذ ليس المقصود من الدعوة  
 أن يبلغ المدعو تبليغاً عابراً ، بل لابد من شرح أبعاد الدعوة وتفسيرها إذا اقتضى الأمر  
 ذلك ، وهذا يجعل مسؤولية العلماء في الدعوة ووجوبها عليهم أكثر من غيرهم .

قال ابن تيمية<sup>(٢)</sup> (رحمه الله) عند قوله تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك  
 فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾<sup>(٣)</sup> قال : « قد علم أن المراد أن يسمعه سمعاً يتمكن معه من  
 فهم معناه ، إذ المقصود لا يقوم بمجرد سمع لفظ لا يتمكن معه من فهم المعنى ، فلو كان  
 غير عربي لوجب أن يترجم له ما يقوم به عليه الحجة ، ولو كان عربياً وفي القرآن ألفاظ  
 غريبة ليست من لغته ، وجب أن نبين له معناها ، ولو سمع اللفظ كما يسمعه كثير من  
 الناس ، ولم يفقه المعنى وطلب منا أن نفسره له ، ونبين له معناه فعلينا ذلك ، وإن سألنا عن  
 سؤال يقدر في القرآن أجبناه عنه ، كما كان النبي ﷺ إذا أورد عليه بعض المشركين أو  
 أهل الكتاب أو المسلمين سؤالاً يوردونه على القرآن فإنه كان يجيبهم عنه »<sup>(٤)</sup> .

فمن ذلك عندما نزل قول الله تعالى : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم  
 أنتم لها واردون ﴾<sup>(٥)</sup> قال عبد الله بن الزبير<sup>(٦)</sup> : نحن إنما نعبد الملائكة واليهود تعبد

(١) انظر : عمر محمود عمر ، ضرورة الحسبة للمجتمع الإسلامي ، رسالة ماجستير ، كلية الدعوة والإعلام ، الرياض  
 ١٤٠٣هـ ، ص ٢٤٣ .

(٢) أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحراني ، شيخ الإسلام ، ولد بحران ٦٦١هـ ، وتوفي عام  
 ٧٢٨هـ ، له العديد من المؤلفات منها : منهاج السنة ، درء تعارض العقل والنقل ، له أكثر من ترجمة مفردة ، انظر : ابن  
 العماد ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ٨٠ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٦ .

(٤) ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج١ ، ص ٦٨ .

(٥) سورة الأنبياء : الآية ٩٨ .

(٦) عبد الله بن الزبير القرشي السهمي ، كان من أشعر قريش ، كان شديداً على المسلمين ، أسلم عام الفتح ، انظر : ابن  
 حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج٢ ، ص ٣٠٠ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٣ ، ص ٣٩٩ .

عزيراً والنصارى تعبد المسيح فأحتج بذلك وظن أن احتجاجة صحيح ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده ، إنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته » وأنزل الله تعالى ردا على ذلك قوله ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾<sup>(١)</sup> .

إن كلام شيخ الإسلام - المتقدم - يبين أن مهمة الدعوة ليست مهمة سهلة يسيرة ، بل تحتاج إلى صبر ومصابرة وتحتاج إلى علم بهذا الدين وأصوله وفروعه . فالرد على اعتراضات المشركين والإجابة عن تساؤلاتهم ، وتعريفهم بأحكام هذا الدين وشرائعه - كل ذلك - جزء من مهمة التبليغ ونشر الدعوة الذي كلف به العلماء وفرضه الله عليهم . فهل تكون الدعوة إلى الإسلام لغير المسلمين مختصة بالعلماء وحدهم أم أن لعامة الناس أن يدعوا إلى الإسلام ؟ هذا ما سأعرض له في الفرع التالي .

(١) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٢٢٠ ، والآية من سورة الأنبياء : الآية ١٠١ .

### الفرع الثالث

## حكم الدعوة على عامة الناس

لما كان العامة من الناس لا يملكون العلم الذي يوصلونه إلى المدعوين من غير المسلمين ، فلا يمكن أن يكون القبول بإيجاب الدعوة عليهم تجاه غير المسلمين على الإطلاق صائباً ولا مناسباً قال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ﴾ (١) .

ويجب أن نفرق في حكم الدعوة بين دعوة المسلمين ودعوة غير المسلمين ، فالعامة تكون دعوة المسلمين عليهم واجبة فيما هو ظاهر لا خلاف فيه كالصلاة والصوم في جانب المأمورات ، والزنا والسرقه في جانب المنهيات ، أما في حكم دعوة غير المسلمين على العامة فيختلف الأمر .

إن مطالبة العامة بدعوة غير المسلمين إلى الإسلام قد يكون ضرره على الدعوة أكثر من نفعه ، فهم لا يملكون من العلم ما يؤهلهم للدعوة ، ولا يعرفون أساليب الدعوة وطرقها ، وربما أغلظوا في موضع اللين ، أو لانوا في مواضع الشدة ، كما أن العامة من الناس ليس لديهم إلمام بما يعتقده غير المسلمين من تصورات وما لديهم من ثقافات واتجاهات .

وربما أورد غير المسلمين عند دعوة العامة لهم من التساؤلات والشبهات مالا يملك العامة الإجابة عنه ، وربما تأثر العامة من ذلك وانقدحت تلك الشبهات في عقولهم وأثرت فيهم بعد ذلك . وإذا كان الأمر كذلك فهل تكون دعوة غير المسلمين واجبة على العلماء فقط ؟ وهل عامة الناس ليس عليهم واجب في الدعوة ؟ .

إن المتأمل في الأحداث التاريخية للدعوة يجد أن « رعاة الإبل من الصحابة

(١) سورة الطلاق : الآية ٧ .

والتابعين كانوا يدعون كل أحد إلى الإسلام حتى الملوك والأمراء<sup>(١)</sup> ، كما أن من أهم العوامل التي ساعدت على نشر الإسلام ، أولئك الذين اقتدوا بالنبي ﷺ نفسه ، فجاهدوا في سبيل إدخال الناس في دين الله ، « وقد قام أصحاب الحرف والصناعات كل بحسبه بدورهم في نشر الدعوة . ولم يكن نشر الإسلام من عمل الرجال وحدهم بل لقد قامت النساء المسلمات أيضاً بنصيتهن »<sup>(٢)</sup> .

وإذا كان العلماء يملكون الدعوة بالقول والعمل ، فإن العامة يمكنهم الدعوة بالعمل والسلوك ، فالدعوة بالقُدوة الحسنة أمر لا يستطيعه العلماء فقط ، بل عامة الناس أيضاً ، لاسيما أن كثيراً من غير المسلمين يختلطون بالعامة ، أكثر من الاختلاط بغيرهم ، وذلك راجع إما لطبيعة أعمالهم حيث إن كثيراً منهم من العمال ، وإما لتعاملهم معهم في البيع والشراء وسائر أنواع الاتصال .

إن كثيراً من أفعال الخير « تعرفها الفطرة ، وتعلمها الطبائع الإنسانية بحكم جبلتها »<sup>(٣)</sup> « وفي غريزة البشر حب المشاركة في الخير »<sup>(٤)</sup> فإغاثة الملهوف وإرشاد الضال ، ونصرة المظلوم ، وغير ذلك ذلك من أفعال الخير ، وصور البر التي تمثل الجانب العملي في أساليب الدعوة وطرق التبليغ ، أمر ليس مقصوراً على العلماء وحدهم ، وإنما هو أمر تتسع دائرته لجهود عوام المسلمين أيضاً .

ولقد اهتدى إلى الإسلام كثير من الناس بسبب المعاملة الحسنة ، والسلوك الحميد من خواص المسلمين وعوامهم ، وكثيرون - هم أيضاً - الذين انصرفوا عن الإسلام ونفروا منه لما رأوه من معاملة سيئة ، وهضم للحقوق ، وإغلاظ في القول والمعاملة ، من بعض

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم ، ج ٤ ، ص ٣٥ .

(٢) أنور الجندي ، آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٣٣٥ .

(٣) د. الشاذلي ، الدعوة والإنسان ، ص ٨٩ .

(٤) الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج ٣ ، ص ٣٦ .

المنتسبين للإسلام ، وقد قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل<sup>(١)</sup> « وأبي موسى الأشعري » عندما بعثهما إلى اليمن « يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلعا »<sup>(٢)</sup> .

وان من حكمة بقاء غير المسلمين في ديار الإسلام ترغيبهم في الإسلام بما يرونه من تعامل أهله وسلوكهم ، والعامه لهم نصيب كبير في هذا المجال ، كما يكون عليهم تبعات الالتزام بمبادئ الإسلام .

إن العامة إذا كانوا غير قادرين على دعوة غير المسلمين بالأسلوب النظري المرتبط بالمناهج الدعوية المدروسة ، فهم قادرون على دعوتهم بالأسلوب العملي الناجم عن ضرورة التزام كل مسلم - عاميا كان أم غير ذلك - بتعاليم الإسلام عقيدة وشريعة ، وهذا بالإضافة إلى أن عوام المسلمين قادرون أيضاً على تحريض العلماء ، وحثهم على دعوة غير المسلمين ، كما أن كثيراً من العامة قادرون على المساهمة في تمويل المشاريع التي تخدم دعوة غير المسلمين .

ولذلك يرى الباحث أن قصر الوجوب في حكم دعوة غير المسلمين على الدعوة بالقول يضيق دائرة الوجوب ، وقد قال النبي ﷺ « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم »<sup>(٣)</sup> والدعوة ضرب من ضروب الجهاد ، وهذا الحديث يوسع دائرة الوجوب

(١) معاذ بن جبل ، أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي ، الإمام المقدم في الحلال والحرام ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، توفي بالشام عام ١٧ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٣ ، ص ٤٠١ .

(٢) عبد الله بن قيس ، من أهل اليمن ، أسلم وهاجر إلى الحبشة ، كان أحسن الصحابة صوتاً ، توفي عام ٤٤ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٢ ص ٣٨٠ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا ، جـ ٥ ، ص ٢٢٦٩ ، رقم الحديث ٦١٢٤ ، ورواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب في الأمر بالتيشير وترك التنفير ، صحيح مسلم بشرح النووي ، جـ ٦ ، ص ٢٨٤ ، رقم الحديث ١٧٣٣ .

(٤) رواه أحمد ، في المسند ، جـ ٣ ، ص ١٢٤ ، ١٥٣ ، ٢٥١ ، ورواه أبو داود ، كتاب الجهاد ، باب كراهية ترك الغزو ، جـ ٣ ، ص ١٠ ، رقم الحديث ٢٥٠٤ ، ورواه النسائي ، كتاب الجهاد ، باب وجوب الجهاد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ ٦ ، ص ٧ ، وصححه الألباني ، انظر : الألباني ، صحيح أبي داود ، جـ ٢ ، ص ٢٧٥ .



لتشمل العلماء والعامه كل حسب استطاعته وقدرته .

ثم إن بعض الباحثين عندما يخوضون في حكم الدعوة ويأتي كل فريق منهم بأدلة يؤيد بها رأيه قد يغفلون أحياناً أن الهداية ليست كلمات تقال ثم ينتهي الأمر عند ذلك ، بل هي بيان وعمل ، وإننا إن أوجبنا الدعوة على العلماء بما خصهم الله به من علم فإن عامة الأمة يجب عليهم أن يكونوا عوناً على قبول الدعوة لا على ردها ، وهذا جزء من الدعوة يقدر عليه العامة ، وإلا فماذا يجدي عمل الدعاة إذا كانوا يبينون لغير المسلمين محاسن الإسلام ويرغبونهم في اعتناقه ثم يقابلهم عامة المسلمين بتفكيرهم عن الإسلام بما يسلكونه معهم من تعامل ، ولذلك فإن على العلماء أن يبينوا حقيقة وجوب الدعوة على الأمة كلها وأنها واجب على كل أحد وما تخلف اليوم من تخلف من غير المسلمين عن الدخول في الإسلام إلا عندما رأوا أفواجا من المسلمين لا يمثلون الإسلام بل وينفرون منه ، وهؤلاء مسؤولون أمام الله عن تقصيرهم في حق غير المسلمين .

إن البلاغ كما يكون بالقول يكون بالعمل ولقد كان نصيب الصحابة ( رضي الله عنهم ) ومن بعدهم من التابعين كبيراً في هذا المجال ، ولم يكونوا جميعاً يدعون بالقول والعمل وإنما كان البعض منهم ولكنهم كانوا جميعاً يمثلون الإسلام سلوكاً في حياتهم ومعاملاتهم وهذا تبليغ للإسلام لاشك ، لذلك فإن الباحث يرى أن الدعوة واجبة على كل أحد في كل زمان ومكان كل بحسبه وقدرته والله أعلم ، ولعل من المناسب لهذا المقام أن يستأنس الباحث بقول د. عبد الكريم زيدان<sup>(١)</sup> تحت عنوان ( الدعوة إلى الله بقدر حال الداعي وقدرته ) حيث يقول : « وإذا تبين أن الدعوة إلى الله واجب على كل مسلم ، فإن هذا الواجب يتحدد بقدر حال الداعي وقدرته ، لأن القدرة هي مناط الوجوب وقدره ، فمن لا يقدر لا يجب عليه ، ومن يقدر فالوجوب عليه بقدر قدرته ، ويدخل في مفهوم القدرة

(١) كاتب وباحث إسلامي معاصر ، أستاذ بجامعة بغداد (سابقاً) ، أستاذ بجامعة صنعاء ، حاصل على الدكتوراه في الحقوق عام ١٩٦٢ من جامعة القاهرة ، له عدة بحوث ومؤلفات منها : أحكام الذميين والمستأمنين ، وكتاب أصول الدعوة ، حصل أخيراً على جائزة الملك فيصل للدراسات الإسلامية ١٤١٧هـ .

العلم والسلطان ... فيجب على العالم مالا يجب على الجاهل ، ويجب على السلطان ما لا يجب على غيره من آحاد المسلمين ، ولهذا فإن الله تعالى خص بالإنذار والوعيد أهل العلم، وحذرهم من كتمان الحق الذي عرفوه قال تعالى : ﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾<sup>(١)</sup> ، فأوجب الله على أهل العلم أن يبينوا للناس ما علموا من معاني الإسلام ، وأن ينشروها بين الناس لينقذوهم من أوضاع الشرك ، وكل من عرف شيئاً من معاني الإسلام فهو عالم بهذا الشيء ، وعليه تبليغه إلى من جهله ، فليس العلم شيئاً واحداً لا يتجزأ ولا يتبعض ، وإنما هو قابل للتجزئة، وكل مسلم يعلم أنه لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الحساب في يوم القيامة حق ، وأن القرآن كلام الله حق ، وأن الصلاة والصيام والحج والزكاة من فرائض الإسلام ، فعليه أن يبلغ ما علمه، أما ما جهله فلا يكلف بتبليغه ولا تعليمه ، لأنه جهله وفاقده الشيء لا يعطيه<sup>(٢)</sup> .

وبعد ، فقد أفرغت ما في وسعي في عرضي لقضايا هذا المبحث ، واكتفي بما عرضت لانتقل بعد ذلك إلى المبحث الثاني الذي هو وثيق الصلة بهذا المبحث .

(١) سورة البقرة : الآيات ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) د. عبد الكريم ، زيدان أصول الدعوة ، مكتبة المنار الإسلامية ، الأردن ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

المبحث الثاني  
منهج القرآن والسنة في دعوة غير المسلمين

المطلب الأول  
منهج القرآن في دعوة المشركين

المطلب الثاني  
منهج القرآن في دعوة أهل الكتاب

المطلب الثالث  
منهج السنة في دعوة غير المسلمين

## المطلب الأول

### منهج القرآن في دعوة المشركين إلى الإسلام

تعريف المنهج :

جاء في لسان العرب طريق نَهَج : بين واضح ، والجمع نهجات ونُهوج ، وفي التنزيل : «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا» والمنهج : الطريق المستقيم ، ونهج الثوب : بلي ، ونهج الرجل نهيجاً : تواتر النفس من شدة الحركة والاعياء<sup>(١)</sup> .

وفي معجم مقاييس اللغة : « النَّهَجُ : الطريق ، وهو مستقيم المنهاج والمنهج : الطريق ، والجمع المناهج »<sup>(٢)</sup> .

ومن هنا يتبين أن مادة نهج تأخذ معان عدة ، وفي هذا البحث يقصد بالمنهج : الطريق والأساليب التي سلكها القرآن الكريم ، واستخدمتها السنة النبوية في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام . فالقرآن الكريم له منهجه في خطاب المدعوين ، فالله عز وجل خالق الناس وهو أعلم بمن خلق ، فهو يخاطب النفوس البشرية « فيؤتيها حظها من الفائدة العقلية ، والمتعة الوجدانية»<sup>(٣)</sup> .

فكما أنه لا ينسى حظ القلب من التشويق والترقيق ، والتحذير والتفجير ، والتهويل والتعجب ، فهو لا ينسى أيضاً حظ العقل من الحكمة والعبرة ، فهو يجمع بين إقناع العقل وامتناع العاطفة فتستجيب له النفوس راضية مطمئنة<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢ ، ص ٣٨٣ ، والآية من سورة المائدة : الآية ٤٨ .

(٢) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج ٥ ، ص ٣٦١ .

(٣) د. محمد دراز ، النبأ العظيم ، دار القلم ، الكويت ، ط ٣ ، ١٩٨٨ م ، ص ١١٤ .

(٤) انظر : المرجع السابق ص ١١٦ ، وانظر : د. أحمد عبيد ، منهج الرسل الكرام والقرآن الكريم في الدعوة إلى الله ، رسالة دكتوراه ، الجامعة الإسلامية ، المدينة ، ١٤٠٣ هـ ، ص ٥ .

وهذا المنهج القرآني شامل متوازن ، لا يركز على العبادة دون السلوك أو يهتم بالفرد دون المجتمع ، أو يعنى بالعقيدة ويهمل العمل ، إنما هو يشمل « جوانب النفس كلها ويعمل في كل ميادين الحياة »<sup>(١)</sup> .

والدعوة الإسلامية تستمد مادتها من القرآن الكريم وتسترشد بآياته وتسير على منهجه ، فالقرآن هو روح الدعوة « ومحرك جذوتها ومشع نورها ، وهو حاميها وحارسها ، وهو بيانها وترجمانها »<sup>(٢)</sup> .

✧ ولقد خاطب القرآن الكريم النفوس البشرية بأنواعها ، فهو مع المؤمنين يدعوهم إلى الإيمان وإلى زيادته .. يرغبهم في الطاعات ، وينفرهم من المعاصي .. يخوفهم من عذاب الله وينهاهم عن اليأس من رحمته ، وهو مع أهل الكتاب يردهم في رفق إلى أصول دينهم ، ويذكرهم بما جاء عن رسلهم ، ويفند العقائد الزائفة بأسلوب واضح مقنع ، وهو مع المشركين يخاطب فيهم العقل ، ويدعوهم إلى المشاهدة والنظر في خلق الله ، ويفتح لهم باب الحوار ليتضح لهم الحق ، ثم يدعوهم إلى التوحيد الخالص<sup>(٣)</sup> .

وهو مع ذلك كله يخاطب الفطرة ويسعى إلى كشف الحجب التي تحول بينها وبين معرفة الحق .

إن القرآن العظيم في دعوته للمشركين ركز على قضيتين رئيسيتين هما :

١ ( إيقاظ الفطرة .

٢ ( تقويم الفكر .

ولم تكن آيات القرآن تتخذ في ذلك أسلوباً واحداً بل جاءت بطرق شتى وأساليب

متعددة .

(١) محمد شديد ، منهج القرآن في التربية مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٢ هـ ، ص ٧ .

(٢) د. سعود البشر ، منهج القرآن في الدعوة إلى الله ، مجلة هذه سبيلي ، العدد الأول ، ص ١٦٧ ، وانظر : أحمد فائز ، طريق الدعوة في ظلال القرآن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١١ ، ١٤٠٥ هـ ، ج ١ ، ص ١١ .

(٣) انظر : أحمد عبيد ، منهج الرسل الكرام والقرآن الكريم في الدعوة إلى الله ، ص ٧ .

## الفرع الأول إيقاظ الفطرة

ويشمل :

(١) تصحيح العقيدة

أ) التركيز على توحيد الألوهية .

ب) سهولة عرض العقيدة .

ج) استخدام جميع الحواس .

(٢) الترغيب والترهيب .

(٣) التذكير بنعم الله .

## الفرع الثاني تقويم الفكر

ويشمل :

(١) نبذ التقليد .

(٢) الإقناع العقلي ويشمل :

أ) ضرب الأمثال .

ب) الأسئلة

(٣) أخذ العبرة من مصارع الغابرين .

## الفرع الأول إيقاظ الفطرة

سعى القرآن الكريم في دعوته للمشركين إلى إيقاظ الفطرة التي فطر الله الخلق عليها ، وأشارت إليها سورة الروم في قوله تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾<sup>(١)</sup> ، وسلك القرآن في ذلك طرقاً عدة منها :

أولاً : تصحيح العقيدة :

يتفاوت المشركون في اعتقاداتهم وتصوراتهم للكون والحياة ، وعندما نزل القرآن في مكة كان لدى المشركين آنذاك بقايا من دين إبراهيم عليه السلام ، وقد خلطوا معها ما استحسنته أهواؤهم ووجدوا عليه آباءهم ، ولذلك تميز أسلوب القرآن في تصحيح عقيدتهم بما يلي :

أ) التركيز على توحيد الألوهية :

كان التوحيد هو المعركة الكبرى التي خاض القرآن الكريم غمارها لإزالة الشرك والوثنية من نفوس الناس ، وتعليمهم كيف يعبدون إلهاً واحداً لا شريك له ، له ملك السماوات والأرض ويده مقاليد كل شيء .

وكان منهج القرآن في ذلك هو الرجوع إلى فطرة الإنسان ، واستشارتها ، والتساؤل معها عن مظاهر الخلق والتدبير والملك ، فخاطب الفطرة ، وفتح أمام العقل منافذها ، وطاف بالنفس البشرية في ملكوت السماوات والأرض ، وعرض عليها مظاهر إبداع الله وقدرته في الكون ، كالشمس والقمر ، والليل والنهار ، والحدائق والأنهار ، وغير ذلك من

(١) سورة الروم : الآية ٣٠ .

مشاهد الكون<sup>(١)</sup> .

وسعى القرآن الكريم إلى تقرير أن الفطرة عند تذكيرها وإيقاظها لا تملك إلا الاعتراف بالربوبية لله سبحانه وتعالى ، ومادامت قد اعترفت بالله ربا ، فما الذي يمنعها أن توحده في ذاته وصفاته وتفرد له العبادة وحده ؟

إن طريقة القرآن في دعوة المشركين إلى الإسلام وإلى توحيد الألوهية بدأت من توحيد الربوبية الذي هو أصل بين الخلائق ، فطر الله عليه الخلق كلهم ، أما توحيد الألوهية فهو مجال الافتراق ، فكان المشركون يخلصون الدين لله وقت الشدة ، ويشركون به وقت الرخاء ، قال تعالى : ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾<sup>(٢)</sup> .

لقد بدأ القرآن في دعوة المشركين إلى الإسلام من خلال عناصر الاتفاق ، أي إذا كنا وإياكم نتفق على توحيد الربوبية ، وأنتم تخلصون له وقت الشدائد ، فلماذا لا تخلصون العبادة له في الرخاء ؟

و القرآن الكريم في دعوته للمشركين إلى عقيدة التوحيد لم يتحدث عن إثبات وجود الله ، لأن معرفة وجود الله أمر فطري في النفوس البشرية السليمة .

فوجود الله « حقيقة بديهية لا تحتاج إلى جدال أو نقاش ، وليست في حاجة إلى إقامة الأدلة والبراهين عليها ، وبذل الجهود لإثباتها »<sup>(٣)</sup> فالله تعالى قد فطر الخلق على الإيمان به ربا ، ولذلك فإن منهج القرآن الكريم هو إيقاظ الفطرة وتذكيرها بما هو مغروس في أعماقها قال تعالى : ﴿ وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على

(١) انظر : جمعة الخولي ، فقه الدعوة ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٦ هـ ، ص ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، وانظر : عبدالفتاح عاشور ، منهج القرآن في تربية المجتمع ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٩٩٠ م ، ص ١٢٢ .

(٢) سورة العنكبوت : الآية ٦٥ .

(٣) جمعه عبد العزيز ، منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام ، ص ٦٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ .



أنفسهم ألسن بربكم قالوا بلى ، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴿١﴾ .  
 وخاطب القرآن الفطرة بما هو مفروس فيها بمثل قوله تعالى : ﴿ وإذا مسكم الضر  
 في البحر ضل من تدعون إلا إياه ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات  
 والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾<sup>(٣)</sup> .

وكما أن القرآن الكريم لم يتحدث عن إثبات وجود الله ، فإن الرسول ﷺ أيضاً لم  
 يستخدم أسلوباً واحداً ليثبت به وجود الله ، ولم ينقل عن الصحابة شيء من ذلك ، وقد  
 وفد على النبي ﷺ وفود من اليهود والنصارى وغيرهم ولم يثبت أن وجود الله تعالى كان  
 مدار حديث بينهما .

لقد كان منهج القرآن الكريم الحديث عن صفات الله ، وهيمته على الخلق ، وعن  
 علمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور وعن إحاطته وعلمه بكل شيء<sup>(٤)</sup> .

وقد يوجد طائفة في كل عصر تتراكم على فطرتها حجب كثيفة ، فتتظاهر بإنكار  
 وجود الله ، كما هو حال الدهريين قديماً قال تعالى : ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت  
 ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾<sup>(٥)</sup> . وكذلك  
 الطبيعيون اليوم والملاحدون الذين يتظاهرون بإنكار وجود الخالق ، فجاء القرآن بتذكيرهم  
 بمثل قوله تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾<sup>(٦)</sup> ، « فوجودهم هكذا من  
 غير شيء أمر ينكره منطق الفطرة ابتداءً ، ولا يحتاج إلى جدل كثير أو قليل . وإذا كان

(١) سورة الاعراف : الآية ١٧٢ .

(٢) سورة الاسراء : الآية ٦٧ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ٦١ .

(٤) انظر : د. رؤوف شلبي ، الدعوة الإسلامية في العهد المكي ، دارالقلم ، الكويت ، ط٣ ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٣ .

(٥) سورة الجاثية : الآية ٢٤ .

(٦) سورة الطور : الآية ٣٥ .

هذان الفرضان لا يقومان بحكم منطق الفطرة ، فإنه لا يبقى إلا الحقيقة التي يقولها القرآن ، وهي أنهم جميعاً من خلق الله الواحد الذي لا يشاركه أحد في الخلق والإنشاء<sup>(١)</sup> .

إن أهل هذه الطائفة وإن كانوا يتظاهرون بإنكار الخالق فإن أقوالهم تثبت أنهم مفسطرون على أن هذا الكون له خالق ، سواء كان الخالق عندهم هو الدهر ، أو الطبيعة ، أو الكون .

وإن من ينكر من هؤلاء وجود الخالق بلسانه فإنه مستيقن في باطنه بوجود الله تعالى ، قال تعالى مخبراً عن أمثال هؤلاء الجاحدين المنكرين : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾<sup>(٢)</sup> ، « فالإنكار والجحود من البعض لوجود الخالق ، هو إنكار وجحود محض على وجه المكابرة والعناد ، ولا يعني خلو فطرة الإنسان من الإحساس العميق بوجود الخالق ، ولهذا إذا زالت الغشاوات عن فطرة الإنسان ، وزالت مكابرتة وعناده ، فإنه يجد نفسه بلا اختيار منه متوجهاً إلى الله هاتفاً بلسانه ، مستنجداً به بكل كيانه »<sup>(٣)</sup> .

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٦ ، ص ٣٣٩٩ .

(٢) سورة النمل : الآية ١٤ .

(٣) د. عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ص ٢٠ .

ب - سهولة عرض العقيدة :

عرض القرآن الكريم عقيدة التوحيد بأسلوب سهل ميسر ، يخلو من الإطناب والتعقيد، ويفهمه العامة والخاصة ، هذه الخاصية في منهج القرآن هي للقرآن وحده ، وهي سمة هذا الدين الذي يختلف عن غموض الديانات الأخرى وفلسفتها البعيدة عن واقع الحياة ، والمخالفة للفطرة السليمة والعقل الصحيح .

إن مما ييسر سهولة عرض الإسلام هو أن « أصوله ودعائمه الكبرى واضحة بينة ، لا لزعمائه وقادة الفكر والدعوة إليه فقط ، ولا لخاصة المثقفين من أتباعه وأنصاره فحسب ، بل لجمهرة المؤمنين به أيا كانوا ، يستوي في ذلك الأصول الاعتقادية ، والشعائر التعبديّة ، وأمّهات الفضائل الخلقية ، والأحكام التشريعية »<sup>(١)</sup> .

لقد كان النبي ﷺ يجوب مكة وما حولها ، يمر بالمشركين في دورهم ، وأنديتهم يدعوهم إلى كلمة واحدة قائلاً : ( قولوا لا إله إلا الله تفلحوا )<sup>(٢)</sup> وكانت رسالته ﷺ إلى ملوك الأرض وزعمائها : ﴿ تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾<sup>(٣)</sup> .

وكان ﷺ يعلن أن دعوته لله لا تعقيد فيها ولا تكلف : ﴿ قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ﴾<sup>(٤)</sup> ، فدعوته ﷺ خالصة لا تكلف فيها ولا تصنع ، ولا يأمر إلا بما يلائم منطق الفطرة القريب<sup>(٥)</sup> .

(١) د . يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص ١٧٣ .

(٢) رواه أحمد في المسند ، ج٣ ، ص ٤٩٢ ، ج٤ ، ص ٣٤١ ، ج٥ ، ص ٣٧٦ ، وصححه الألباني ، انظر : الألباني ، دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ، مكتبة الخافقين ، دمشق ، بدون تاريخ ، ص ٢٢ .

(٣) انظر : صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ، ج٤ ، ص ١٦٥٧ ، رقم الحديث ٤٢٧٨ ، والآية من سورة آل عمران : الآية ٦٤ .

(٤) سورة ص : الآية ٨٦ .

(٥) انظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٥ ، ص ٣٠٢٩ .

إن أسلوب القرآن في عرض عقيدة التوحيد لم يكن جدلاً عقيماً ، أو تفلساً مذبذباً ، أو رياضة ذهنية ليس بينها وبين الواقع صلة ، بل جاء القرآن بعقيدة واقعية ، تصف حقائق قائمة في الوجود ، لا أوهاماً متخيلة في العقول . حقائق يقبلها العقل ، وتستريح إليها النفس ، وتستجيب لها الفطرة السليمة ، فكان هذا الأسلوب سهلاً واضحاً ، يفهمه البدوي في الأودية والصحاري ، كما يفهمه أهل الحضارة والثقافة في أرجاء الأرض ، ويتذوقه من عاصر الوحي وشهد نزول القرآن ، ومن بعد به العهد والمكان<sup>(١)</sup> .

لقد عرض القرآن الكريم للحقائق والمعاني عرضاً عملياً محسوساً ، ولم يعرضها عرضاً نظرياً ، فقدرة الله عز وجل ، لم يحدثنا عن كنهها ، وكيفها ، وعن أسرارها الخفية ومعانيها التجريدية ، بل عرضها عرضاً مشاهداً في مخلوقاته ، فأنت تراها في البحر والجبل ، والزهر والشجر ، والشمس والقمر ، ونحو ذلك مما تقع عليه العين في الأرض والسماء<sup>(٢)</sup> .

وهذه الخاصية في منهج القرآن الكريم من سهولة عرضه لعقيدة التوحيد ، كان لها أثر كبير في استجابة النفوس إليه ، ودخول الناس في دين الله ، فهو يذكر الفطرة بما هو مغروس في أعماقها ، ويدعو العقل إلى التفكير ، فلا يعارض الفطرة ، ولا يلغي دور العقل ، فتستجيب له النفوس آمنة مطمئنة ، بخلاف الديانات الأخرى التي تخالف الفطرة وتعطل العقل ، فيعيش أهلها في ظلمات الشك والحيرة .

(١) د. يوسف القرضاوي ، الخصائص العامة للإسلام ، ص ١٤٨ ، و د. حمود الرحيلي ، منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين ، رسالة دكتوراة ، الجامعة الإسلامية ، المدينة ، ص ٢٢٩ ، « بتصرف » ، وانظر : جمعة الخولي ، فقه الدعوة ، ص ١٤ ، و محمد شديد ، منهج القرآن في التربية ، ص ١٠٧ .

(٢) البهي الخولي ، تذكرة الدعاة ، ص ٤٣ ، « بتصرف » .

ج - استخدام جميع الحواس :

إن القرآن الكريم وهو يدعو المشركين إلى تصحيح العقيدة ، ينطلق مما يراه الناس حولهم من الآيات التي تملأ الآفاق . فيدعو الحواس لكي تعمل ، والعقل ليتدبر ما حوله من الآيات ، يتأملها ويتفحص بها ، بدءاً بنفسه التي فيها من « العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه ، وهو غافل عنها معرض عن التفكير فيها ولو فكر في نفسه ، لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره ، قال تعالى : ﴿ قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق ﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾<sup>(٣)</sup> .

لقد دعت آيات كثيرة في القرآن الكريم إلى النظر في الأنفس والآفاق نظراً صحيحاً، يفتح فيه صاحبه عينه وقلبه على الآية التي ينظر إليها ، ويتأمل ما فيها من عبرة وحكمة .  
و حين يذكر القرآن أن في السماء والأرض والنفوس آيات وشواهد للمؤمنين ، لا يكتفي بمجرد الإشارة ، بل يذكر ما هي هذه الآيات فينص عليها بالاسم أو الوظيفة حتى يبلغ الكلام إلى الأسماع والقلوب<sup>(٤)</sup> .

كما أن القرآن يدعو إلى النظر بالقلب المفتوح ، والعين المبصرة ، في هذا الكون الواسع العظيم قال تعالى : ﴿ قل انظروا ماذا في السماوات والأرض ، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾<sup>(٥)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض

(١) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ، ج ١ ، ص ١٨٨ ، والآيات : من سورة عبس ١٧-١٩ .

(٢) سورة الطارق : الآية ٥ .

(٣) سورة الذاريات : الآية ٢١ .

(٤) انظر : البهي الخولي ، تذكرة الدعاة ، ص ١٤٢ ، ص ١٥٥ .

(٥) سورة يونس : الآية ١٠١ .

وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون ﴿١﴾ .  
 « إن المخاطبين بهذا القرآن أول مرة لم يكن لديهم من المعرفة العلمية بما في  
 السماوات والأرض إلا القليل ، ولكن الحقيقة الواقعة ، هي أن بين الفطرة البشرية وبين هذا  
 الكون الذي نعيش فيه لغة خفية غنية ! وأن هذه الفطرة تسمع لهذا الكون - حين تتفتح  
 وتستيقظ - وتسمع منه الكثير » (٢) .

وهذه الآيات التي تملأ الآفاق ، ليست أمراً خفياً يحتاج إلى كد ذهني ، ولكنها  
 أشياء بارزة للعيان ، شاخصة للحواس ، تعترض المرء في كل وجه ، وتفرض نفسها عليه  
 في كل وقت ، وهي ميسورة للعالم والجاهل ، والقاريء والأمي ، فما على المرء إلا أن ينظر  
 أو يسمع أو يلمس (٣) .

وهذا النظر أو السمع يكفي وحده لا تتفاض الفطرة من تحت الركام ، فهو يدهش  
 القلب ، ويحير الفكر ، ويلجئ العقل إلى البحث عن مصدر هذا كله ، وعن الإرادة التي  
 أوجدت هذا الخلق على هذا النظام البديع (٤) .

وكما دعا القرآن إلى النظر في الآيات الكونية الماثرة في السماء ، فقد دعا إلى  
 التأمل والنظر في الآيات التي في الأرض التي نعيش عليها قال تعالى : ﴿ وفي الأرض آيات  
 للموقنين ﴾ (٥) وقد عرضت آيات القرآن لحياة النبات والحيوان ، ودعت إلى التأمل فيها ،  
 كما دعت إلى النظر إلى الجبال والأنهار ، والزرع والثمار ، والحدائق والأزهار ، وإلى الطير

(١) سورة الأعراف : الآية ١٨٥ .

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٣ ، ص ١٨٢٢ .

(٣) البهي الخولي ، تذكرة الدعاة ، ص ١٤٤ ، ص ١٥١ ، « بتصرف » .

(٤) انظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٣ ، ص ١٤٠٥ .

(٥) سورة الذاريات : الآية ٢٠ .

مسخرات في جو السماء ، وإلى ما يدب على هذه الأرض من الأحياء في آيات كثيرة يصعب حصرها .

قال تعالى: ﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾<sup>(١)</sup> ففي هذه الآية دعوة إلى النظر في « مشاهد الحياة المتفتحة في جنبات الأرض ، والتي تراها الأعين ، وتستجليها الحواس ، وتتدبرها القلوب ، وترى فيها بدائع صنع الله »<sup>(٢)</sup> .

ولأن المجال هنا مجال تدبر آيات الله فقد قال تعالى : ﴿ انظروا إلى ثمره إذا أثمر ﴾ ثم ختمت الآية بقوله : ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ أي « دلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته »<sup>(٣)</sup> .

وكثيراً ما تختتم الآيات التي تعرض صوراً من الحياة على هذه الأرض بالحث على إعمال العقل وتدبر الفكر كقوله تعالى : ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات ، وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكرى لأولي الأبواب ﴾<sup>(٥)</sup> .

(١) سورة الانعام : الآية ٩٩ .

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ١١٦٠ .

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ١٧٨ .

(٤) سورة الرعد : الآية ٤ .

(٥) سورة الزمر : الآية ٢١ .

كما أن هذه الآيات التي تبين قدرة الله وعظيم صنعه ، تأتي مقرونة بالدعوة إلى التوحيد الخالص ، كما في قوله تعالى : ﴿ أولم يرو أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون ، وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ، ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ﴾<sup>(١)</sup> ، ففي هذا السياق الذي يذكرهم بهذه النعمة العظيمة ، يصور حالهم بعدها بقوله : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون ﴾<sup>(٢)</sup> وبين حقيقة شركائهم بقوله : ﴿ لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون ﴾<sup>(٣)</sup> .

إن القرآن الكريم حين يطلب إلينا النظر إلى هذه الآيات الكونية في السماء والأرض لا يتركنا ننظر كما نشاء ، نظرة الغفلة والجمود ، بل يرسم لنا منهاج النظر الحق ، الذي ينشئ بيننا وبين الملأ الأعلى أوثق الصلات ، في أقرب وقت ، فيعلمنا أن ننظر إلى الكيف لا الكم ، والكيف لباب وعبرة ، والكم صور وأحجام ، والكيف يدرك بالقلب ، والكم يدرك بالحواس الظاهرة<sup>(٤)</sup> . قال تعالى : ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ﴾<sup>(٥)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ﴾<sup>(٦)</sup> .

إن هذا الكون كتاب مفتوح « يُقرأ بكل لغة ويُدرك بكل وسيلة وكل يطالعه بقدر استعداده وإدراكه »<sup>(٧)</sup> ، وقد أمد الله الإنسان بالحواس التي تعينه على أن يأخذ من الآيات في السماء والأرض وما بينهما ، ما يشاء من الأدلة والبراهين ، حتى يطمئن قلبه وينشرح صدره ، ويزداد الذين آمنوا إيماناً .

(١) سورة يس : الآيات ٧١ - ٧٣ .

(٢) سورة يس : الآية ٧٤ .

(٣) سورة يس : الآية ٧٥ .

(٤) انظر : البهي الخولي ، تذكرة الدعاة ، ص ١٥٧ .

(٥) سورة ق : الآية ٦ .

(٦) سورة الغاشية : الآيات ١٧ - ٢٠ .

(٧) جمعة عبد العزيز ، منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام ، ص ١٢٨ .



ثانيا : الترغيب والترهيب :

جلبت النفوس البشرية على حب ما ينفعها ، والنفور مما يضرها ، وكان من منهج الدعوة في القرآن الكريم أن يخاطب الفطرة ، ويدعوها إلى التوحيد من خلال الوعد والوعيد ، فهو يرغب تارة ، ويحذر أخرى ، فقد رغب الناس في قبول دعوة الإسلام وحذرهم من رفضها في آيات كثيرة ، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب : أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله .

ويقصد بالترغيب « كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه ، ويقصد بالترهيب كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق ، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله »<sup>(١)</sup> .

الترغيب والترهيب من مقاصد الرسالة ، فهما التبشير والإنذار : التبشير بوعد الله والإنذار بعقابه ، وقد وصف الله الرسل جميعاً بأنهم مبشرين ومنذرين<sup>(٢)</sup> ، قال تعالى : ﴿رسلنا مبشرين ومنذرين﴾<sup>(٣)</sup> ، « ولذلك كان من الحكمة في أسلوب الدعوة أن تعرض في بعض الأحوال مصحوبة بشيء من الترغيب والترهيب ، أو بأحدهما »<sup>(٤)</sup> .

وكثيراً ما تقرن آيات القرآن بين الترغيب والترهيب ، قال تعالى عن كتابه الكريم : ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾<sup>(٥)</sup> وقال تعالى : ﴿فمن اتبع

(١) عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ص ٤٢١ .

(٢) د. عبد الوهاب الدليمي ، معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم ، دار المجتمع ، جدة ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، ج ١ ، ص ٥٤٦ ، وانظر : سعيد القحطاني ، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، مطبعة سفير ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، ص ٤٨٧ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٦٥ .

(٤) د. عبد الوهاب الدليمي ، معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم ، ج ١ ، ص ٤٩٤ .

(٥) سورة الإسراء : الآيتان ٩ ، ١٠ .

هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴿<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ﴾ <sup>(٢)</sup> .

لقد وعد الله الطائعين الحافظين لحدود الله بجميل الجزاء وبشرهم بحسن المشوية ، وتوعد المخالفين الذين يتعدون حدوده وأنذرهم بشديد العذاب وسوء العاقبة ترغيباً وترهيباً<sup>(٣)</sup> .

لقد كانت الرغبة فيما عند الله وما أعده لأوليائه في الجنة ، والخوف من أليم عقابه وانتقامه ، كان ذلك هو الدافع لأولئك النفر من الصحابة الذين خلد التاريخ مواقفهم ، يتدافعون على الجهاد ، غير وجلين من الموت يقول قائلهم ويده تمرات: « أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل » <sup>(٤)</sup> .

وكان الصحابة (رضي الله عنهم) يستشعرون دائماً صور النعيم الذي أعده الله لأهل الجنة ودعا إليه ورغب فيه بمثل قوله تعالى : ﴿ للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ﴾ <sup>(٥)</sup> وقوله تعالى : ﴿ هذا ذكروا إن للمتقين لحسن مآب ، جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ، متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب ، وعندهم قاصرات الطرف أتراب ، هذا ما توعدون ليوم الحساب ، إن هذا لرزقنا ماله من نفاذ ﴾ <sup>(٦)</sup> .

(١) سورة طه : الآيات ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) سورة التغابن : الآيات ٩ ، ١٠ .

(٣) انظر : علي محفوظ ، هداية المرشدين ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٢٧٦ .

(٤) هو عمير بن الحمام رضي الله عنه ، قالها في غزوة بدر واستشهد فيها ، انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، بدون تاريخ ، ج ٢ ، ص ٦٢٧ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٥ .

(٦) سورة ص : الآيات ٤٩ - ٥٤ .

وكما أفاض القرآن في وصف الجنة وما أعد الله فيها لأهلها ، فإنه حذر من رفض الدعوة ، وعدم قبولها ، فجاءت نصوص القرآن تحذر من خطورة ذلك وأثره بأساليب تقشعر منها الجلود ، وصورت ما أعد الله لأعدائه من العذاب والنكال ، وعرضت لمشاهد يوم القيامة ، وحال الشركاء ، والمشركين ، والأتباع والمتبوعين في آيات عديدة ، وكثيرا ما يقترن وصف أهل الجنة ووصف أهل النار ، بل قليلا ما ينفرد أحدهما بالذكر دون الآخر ، كما قال تعالى في سورة ص بعد ذكر حال المتقين : ﴿ هذا وإن للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد ، هذا فليذوقوه حميم وغساق ، وآخر من شكله أزواج ﴾<sup>(١)</sup> .

وقال تعالى : ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم ، لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور ، وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ، أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى مبينا حال الشركاء والمشركين والأتباع والمتبوعين : ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾<sup>(٣)</sup> . وقال تعالى : ﴿ وترى المجرمين يؤمنذ مقرنين في الأصفاد ، سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ﴾<sup>(٤)</sup> وقال تعالى : ﴿ وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاء فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار ، قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد ، وقال الذين في النار لخنزيرة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا

(١) سورة ص : الآيات ٥٠ - ٥٣ .

(٢) سورة فاطر : الآيات ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) سورة البقرة : الآيات ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٤) سورة إبراهيم : الآيات ٤٩ ، ٥٠ .

يوماً من العذاب ، قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال<sup>(١)</sup> .

إن عرض القرآن الكريم - في مجال الترغيب - لوصف الجنة ، ووصف المؤمنين وهم يتقبلون في نعيمها ، وعرضه - في مجال التهيب - لوصف النار وأهوالها ، ووصف أهلها ، وهم يتذوقون مرارة العذاب ، كل ذلك كان يقرب في مواضع كثيرة بتذكير الإنسان بحقيقة الدنيا وعدم إيثارها على الآخرة ، قال تعالى : ﴿ وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو ولدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾ ، هذه حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة ، فأما الدنيا فإنها لعب ولهو ، لعب في الأبدان ولهو في القلوب ، وأما الآخرة فإنها خير للذين يتقون في ذاتها وصفاتها ، وبقائها ودوامها ، ولكن ليست لكل أحد وإنما هي للمتقين الذين يعقلون أوامر الله ويتركون نواهيه وزواجره<sup>(٢)</sup> .

« ولما كان الإنسان يعيش في الدنيا ويشاهدها ، ويحس بها ، ويتعرض لاغراءاتها ، مما قد يجره إلى الركون إليها والتعلق بها ، ونسيان الآخرة ، فلا بد إذن من التنفير من إيثارها على الآخرة ، لا من الفرار منها جملة واحدة ، مع بيان حقيقتها وقيمتها ، وقدرها بالنسبة إلى الآخرة ونيعمها ، وقد بين القرآن ذلك كله خير بيان مما يجعل أي مسلم عاقل يؤثر الآخرة على الدنيا ، بل ويجعل المدعو غير المسلم منجذباً إلى هذه الحقائق في موازنة الدنيا مع الآخرة ، وقد يجره ذلك إلى الإيمان لما يحسه من صدق هذا البيان والتصوير لقيمة الدنيا<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة غافر : الآيات ٤٧ - ٥٠ .

(٢) انظر : السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، جـ ٢ ، ص ١٨٢ ، والآية من سورة الأنعام الآية ٣٢ .

(٣) د. عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ص ٤٢٤ ، « بتصرف يسير » .

ثالثاً: التذكير بنعم الله :

جلت النفوس على حب من أحسن إليها ، والله تعالى هو المنعم المتفضل على عباده بنعم لا تعد ولا تحصى ، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْنَهَا ﴾<sup>(١)</sup> .

وقد بين القرآن الكريم أن دعوة المشركين من هذا السبيل دعامة من دعائم منهج دعوة الأنبياء (عليهم السلام) ، ففي دعوة نوح (عليه السلام) ، نقرأ تذكيره لقومه ببعض أنعم الله عليهم ، وذلك في قوله سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سَبِيلًا فِجَاغًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى عن هود (عليه السلام) أنه قال لقومه: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ، وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ، فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> وقال لهم أيضاً : ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ، أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَاتٍ وَعَيْونَ ﴾<sup>(٤)</sup> وقال صالح (عليه السلام) لقومه : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ تَنْخَدُونَ مِنْ سَهولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾<sup>(٥)</sup> وقال معدداً لهم نعم الله ، مذكراً لهم بها: ﴿ أَتُرْكُونَ فِيمَا ههْنَا آمِنِينَ ، فِي جَنَاتٍ وَعَيْونَ ، وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْ ههْزِيمًا ﴾<sup>(٦)</sup> ، وفي سياق دعوة ابراهيم الخليل (عليه السلام) لقومه ، كان يذكرهم بنعمة الله على العبد ، ويعرفهم بالله من خلال ذلك ، فيقول عن ربه عز وجل : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهوَ يَهْدِينِ ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ، وَإِذَا مَرَضْتُ فَهوَ يَشْفِينِ ، وَالَّذِي يَمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ، وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي ﴾

(١) سورة النحل : الآية ١٨ .

(٢) سورة نوح: الآيات ١٩ ، ٢٠ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٦٩ .

(٤) سورة الشعراء : الآيات ١٣٢ - ١٣٤ .

(٥) سورة الأعراف : الآية ٧٤ .

(٦) سورة الشعراء: الآيات ١٤٦ - ١٤٨ .

يوم الدين﴾<sup>(١)</sup> .

إن الدعوة إلى توحيد الله من خلال التذكير بنعم الله كانت من السمات البارزة في منهج القرآن في دعوة المشركين ، فلقد فطر الله العباد على معرفة أنه الخالق الرازق ، وكان المشركون يقرون بهذا ، ويعترفون به ، قال تعالى: ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾<sup>(٢)</sup> .

وجاءت آيات القرآن الكريم تركز على ما فطر الله عليه الإنسان وجبله عليه ، فذكرته بالنعم المحيطة به ، وما سخر الله له في السماوات والأرض ، ودعته من خلال ذلك إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ، قال تعالى: ﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ، ومن أوصافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين ، والله جعل لكم مما خلق ظلالات وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى: ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ، ورزقكم من الطيبات ، أفالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقال تعالى: ﴿ الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ، كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون ، الله الذي جعل لكم

(١) سورة الشعراء : الآيات ٧٨ - ٨٢ .

(٢) سورة يونس : الآية ٣١ .

(٣) سورة النحل : الآيات ٨٠ ، ٨١ .

(٤) سورة النحل : الآية ٧٢ .

الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم  
فتبارك الله رب العالمين ، هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله  
رب العالمين ﴿١﴾ .

إن هذه الآيات الكريمة وغيرها وهي تعرض نعم الله تعالى على خلقه ، «تخاطب  
العين لترى ، والأذن لتسمع ، واللمس ليستشعر ، والوجدان ليتأثر ، والعقل ليتدبر» (٢) ،  
فتذكر الإنسان بالنعم ، في السماء والأرض ، وفي الشمس والقمر ، والليل والنهار ، في  
الجبال والبحار والأنهار ، والنبات والثمار ، والحيوان والطيور وغير ذلك من النعم ، ثم تدعوه  
إلى توحيد الله تعالى وإسلام الوجه له تبارك وتعالى كما قال تعالى في ختام الآية المتقدمة  
بعد سياق التذكير بالنعم قال تعالى : ﴿لعلكم تسلمون﴾ أي تسلمون لعظمته وتنقادون  
لأمره وتصرفون هذه النعم في طاعة موليا ومسديها ، فكثرة النعم من الأسباب الجالبة من  
العباد مزيد الشكر والثناء على الله تعالى بها» (٣) .

إن القرآن الكريم إنما يذكر الإنسان بنعم الله تعالى عليه لأن «أكثر النعم لا يدرها  
الإنسان لأنه يألفها فلا يشعر بها إلا حين يفتقدها» (٤) ، ولذلك يأتي التذكير بالنعم أحيانا  
على وجه التحذير من زوالها وفقدانها ، كما في قوله تعالى : ﴿قل أرأيتم إن جعل الله  
عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا  
تبصرون﴾ (٥) ، وقال تعالى : ﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم

(١) سورة غافر : الآيات ٦١ - ٦٥ .

(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ٢١٥٨ .

(٣) انظر : عبد الرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مطابع الجامعة الإسلامية ، المدينة ، بدون  
تاريخ ، ج ٤ ص ١١١ .

(٤) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ٢١٦٤ .

(٥) سورة القصص : الآيتان ٧١ ، ٧٢ .

من إله غير الله يأتيكم به ، انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون « قال ابن كثير (رحمه الله) عند تفسير هذه الآية: « أي هل أحد يقدر على رد ذلك إليكم إذا سلبه الله منكم؟ لا يقدر على ذلك أحد سواه » ، فهذه الآيات وغيرها فيها تنبيه إلى أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم الله عليه ويستبصر فيها ، ويقيسها بحال عدمها فإنه إذا وازن بين حالة وجودها وحالة عدمها تنبه عقله لموضع نعمة الله تعالى عليه .

(١) سورة الأنعام : الآية ٤٦ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ١٥٠ ، وانظر : عبد الرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، ج ٦ ، ص ٢٨ .



## الفرع الثاني تقويم الفكر

خلق الله تعالى آدم وذريته وأودع في نفوسهم الفطرة السليمة ، وهي إفراده باخلق والعبودية ، ولما طرد الله إبليس من الجنة توعد آدم وذريته بإغوائهم وبطمس معالم الفطرة في نفوسهم ، وهذه الفطرة هي التي خلق الله عليها الأولين والآخرين قال تعالى : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾<sup>(١)</sup> ، وإبليس توعد أن يبطل هذه الفطرة ويغيرها قال تعالى : ﴿ إن يدعون من دونه إلا إنانا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لا اتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ، ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولأمرنهم فليغيرون خلق الله ﴾<sup>(٢)</sup> .

ومن رحمة الله عز وجل أن بعث الرسل والأنبياء ، ليرشدوا الناس إلى صراط الله وينقذوهم من كيد الشيطان ، ويوقظوا النفوس من غفلاتها ، ويصححوا ما علق بأذهانهم من الشرك والجهالات ، ومما يوحى به شياطين الإنس والجن .

وفي القرآن الكريم آيات عديدة اهتمت بإيقاظ الفكر وتصحيحه وتذكير الإنسان بالحجب التي تحول بينه وبين التفكير السليم .

وقد سلك القرآن في منهجه لتصحيح الفكر وتقويمه عدة طرق سأعرض لها في الصفحات التالية .

(١) سورة الروم : الآية ٣٠ .

(٢) سورة النساء : الآيات ١١٧ - ١١٩ .

## أولاً : نبذ التقليد :

عندما نزل القرآن الكريم كانت الظنون والأهواء تحجب التفكير السليم عن عقول المشركين ، قال تعالى : ﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ﴾<sup>(١)</sup> ، ولذلك نجد القرآن دعا هؤلاء المشركين إلى الابتعاد عن كل ما يحول بينهم وبين التفكير الصحيح . وجاءت آيات كثيرة في القرآن تدعو إلى نبذ التقليد الذي هو من دوافع الإنكار عند المشركين ، وهو سبب رئيسي في رفضهم لدعوات الأنبياء قال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾<sup>(٢)</sup> .

لقد سيطر على هؤلاء سلطان الجهل والتقليد، فاكتفوا بتقليد الآباء ، وزهدوا في الإيمان بالأنبياء ، وقد كان آباؤهم أجهل الناس وأشدهم ضللاً ، ومع ذلك فهم على آثارهم مقتدون ، ولن يتركوا ما وجدوا عليه آباءهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون<sup>(٣)</sup> .

«ولم يكن العرب الذين واجههم نبينا محمد ﷺ وحدهم الذين اخترعوا هذه المقالة، بل قد ردها الذين استحبوا العمى على الهدى من الأمم السابقة»<sup>(٤)</sup> .

لقد كان التقليد بلاء الأمم قديماً وحديثاً ، من عهد نوح (عليه السلام) ، فعندما دعا قومه إلى عبادة الله وحده قالوا : ﴿ ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ﴾<sup>(٥)</sup> ، وكذلك كانت عاد، عندما دعاها نبي الله هود فقالوا له : ﴿ أجننتا لنعبد الله وحده ونذر ما كان

(١) سورة النجم : الآية ٢٣ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٧٠ .

(٣) انظر : السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، ج١ ، ص ٩٧ ، وانظر : د. علي الفقيهي ، منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان ، بدون ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ ، ص ١٩٠ .

(٤) د. حمود الرحيلي ، أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم ، دار العاصمة ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٤ هـ ، ص ٧٠ .

(٥) سورة المؤمنون : الآية ٢٤ .

يعبد آباؤنا»<sup>(١)</sup> وثمود قوم صالح قالوا له : «أنتهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا»<sup>(٢)</sup> ، وفي دعوة شعيب (عليه السلام) تذكر سورة هود نفس الإنكار السابق ، والوارد على السنة المكذبين بدعوة نبيهم شعيب وذلك في قوله سبحانه وتعالى : « قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا»<sup>(٣)</sup> .

وعندما عنف إبراهيم الخليل (عليه السلام) على قومه في عبادتهم الأصنام قالوا: «وجدنا آباءنا لها عاكفين»<sup>(٤)</sup> .

لقد دعا القرآن الكريم إلى نبذ هذا التقليد الجامد ، وشد المشركين من نواصيهم إلى خلع ثياب التقليد ، وصدأ الموارث الثقافية التي حملوها أثقالا ثقلا من الآباء والأجداد<sup>(٥)</sup> . إن المكذبين في كل زمان ومكان دائما يتمسكون بإلف العادة واخضوع المطلق لما عليه الآباء .. هكذا كان دينهم مع الأنبياء ، ويكون كذلك مع ورثتهم من العلماء والدعاة.

قال تعالى : « وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ، قال أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون»<sup>(٦)</sup> .

لقد عنف القرآن الكريم على المشركين هذا الاتباع الأعمى بمثل قوله تعالى : «وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا

(١) سورة الاعراف : الآية ٧٠ .

(٢) سورة هود : الآية ٦٢ .

(٣) سورة هود : الآية ٨٧ .

(٤) سورة الشعراء : الآية ٧١ .

(٥) انظر : رؤوف شلبي ، الدعوة في العهد المكي ، ص ٨٤ ، ص ١٠٥ .

(٦) سورة الزخرف : الآيات ٢٣ ، ٢٤ .

ولا يهتدون ، ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴿١٧١﴾ .

لقد عاب القرآن الكريم على المشركين هذا التقليد والجمود ، وضرب لهم هذا المثل الذي يصور أحدهم بالبهيمة السارحة التي لا تفقه ما يقال لها بل إذا صاح بها راعيا ودعاها إلى ما يرشدها تسمع مجرد صوت ولا تفقه ماذا يعني ، بل هم أضل من هذه البهيمة ، فالبهيمة ترى وتسمع وتصيح ، وهم صم بكم عمي ، وإن كان لهم آذان وألسنة وعيون ، ماداموا لا ينتفعون بها ولا يهتدون ، فكأنها لا تؤدي وظيفتها التي خلقت لها ، وكأنهم إذن لم توهب لهم آذان وألسنة وعيون . وهذه منتهى الزرابة بمن يعطل تفكيره ، ويفلق منافذ المعرفة والهداية ويتلقى أمر العقيدة والشريعة من غير مصدرها الصحيح <sup>(١)</sup> .

كما عالج القرآن الكريم قضية التقليد بردها إلى أصولها ، فهو يبين للنبي ﷺ ، وللدعاة من بعده أنها سنة ماضية في الأمم من قبل ، وواجهها الأنبياء (عليهم السلام) قال تعالى: ﴿ قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى ، قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا ، تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فكانت دعوتهم ودعوة القرآن إلى أن يخلص كل إنسان نفسه من ربة التقليد ، وأن كل إنسان مسؤول عن نفسه قال تعالى: ﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وعندما نزل القرآن على أهل مكة ودعاهم إلى التوحيد الخالص ، تعلقوا بما عليه

(١) سورة البقرة : الآيات ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٢١٨ ، وانظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٣) سورة ابراهيم : الآية ١٠ .

(٤) سورة النجم : الآيات ٣٨ ، ٣٩ .

الآباء والأجداد فقالوا: ﴿حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا﴾<sup>(١)</sup> فردهم القرآن إلى ملة أبيهم إبراهيم الذي يدعون النسبة إليه في النسب والتدين<sup>(٢)</sup>.

لقد دعا القرآن إلى اتباع دين إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، وأنزل الله على رسوله قوله ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾<sup>(٣)</sup>.

وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يخبر بما أنعم الله به عليه من الهداية إلى صراطه المستقيم وإلى ملة إبراهيم التي لا اعوجاج فيها ولا انحراف فقال تعالى : ﴿قل إنني هاداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾<sup>(٤)</sup>.

وأوضح القرآن في آيات كثيرة قصة إبراهيم (عليه السلام) مع قومه ، وصراعه معهم وهو يدعوهم إلى توحيد الله تعالى ، ومن خلال ذلك كله يغرس في نفوسهم حقائق عن أبيهم إبراهيم ودعوته قال تعالى: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين﴾<sup>(٥)</sup> ، فما كان إبراهيم (عليه السلام) مشركا ، بل كان موحداً ، يدعو إلى عبادة الله وحده وجعل كلمة التوحيد باقية في عقبه ووصى بها أبناءه من بعده قال تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة المائدة : الآية ١٠٤ .

(٢) انظر : د. رؤوف شلبي ، الدعوة في العهد المكّي ، ص ٨٤ .

(٣) سورة النحل : الآية ١٢٣ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ١٦١ .

(٥) سورة النحل : الآية ١٢٠ .

(٦) سورة البقرة : الآية ١٣٢ .

## ثانياً : الإقناع العقلي :

عندما خاطب القرآن الكريم العقل ، لم يكن خطابه مشتملاً على تعقيدات فلسفية ، ولم يكن غامضاً لا يعرفه إلا قليل من الناس ، بل كان خطاباً سهلاً ميسراً يفهمه العامة والخاصة ، وكان تحريراً للعقل البشري من غموض الفكر الفلسفي وأوهامه وتخيلاته ، وتحريراً له - أيضاً - ممن عطلوه ووقفوا به عند حد التقليد .

«إن الإيمان أساسه الإقناع العقلي وما تستطيع قوة في الأرض أن تجبر إنساناً من داخله على اعتناق مذهب أو دين ، إلا إذا كانت تمتلك من نفاسة مبدئها ، ووضوح غايتها ، ما يشد القلوب إلى هذا المبدأ وتلك الغاية ، وهذا ما صنع القرآن»<sup>(١)</sup> ، لقد كان القرآن الكريم في خطابه للمدعوين يتجه إلى الإقناع ، لا إلى التسليم المحض وسلك في ذلك طرقاً عدة منها :

### ١ - ضرب الأمثال :

اشتمل القرآن الكريم على كثير من الأمثال المختلفة الهادفة جرياً على لغة العرب ، وساق القرآن الكريم أمثاله لتكون وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، وذلك لأن المثل في كل أحواله يقرب المعاني ، ويجعل صورتها مثيرة لدى المستمع ، ويجعلها مع القرب والإثارة في وضع ثابت بالدليل<sup>(٢)</sup> .

والأمثال من أقوى الوسائل لإقناع المدعوين على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم ، فكما يفهمها الجاهل وينتفع بها ويتعظ ، فإنها تكبح جماح المعاند ، وتقنعه بلزوم الحق واتباعه .

« وفي الأمثال من تأيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من

(١) د. عبد الفتاح عاشور ، منهج القرآن في تربية المجتمع ، ص ٤٤٨ ، وانظر : ص ٥٤١ من نفس المرجع .

(٢) انظر : د. أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢ .

الحق، أمر لا يجحده أحد ، ولا ينكره ، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً ، فالأمثال شواهد المعنى المراد<sup>(١)</sup> .

وجاء في القرآن الكريم أمثال عديدة ، تبين للمشركين حقيقة شركهم ، وحقيقة الآلهة التي يدعونها من دون الله ، ولم تأت الأمثال في القرآن على نمط واحد ، بل جاءت بصور متنوعة ، تبعث على التفكير وتأخذ بيد المدعو ، وترشده إلى استخدام عقله الذي أكرمه الله به .

والقرآن عندما يمثل للمشركين حقيقة شركهم لا يمثل بالغريب ، وإنما يتخير من المحسوسات الموجودة ، ويجليها بأوصافها ، ويضعها في المثل شاهدة واضحة على ما يريد ذكره وبيانه. من ذلك قوله تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ، لو كانوا يعلمون ﴾<sup>(٢)</sup> .

فهذا المثل يبين حقيقة أولياء المشركين ، فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة ، وبيتها من أضعف البيوت ، فما ازدادت باتخاذها إلا ضعفا ، وكذلك هؤلاء المشركون الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، فقراء عاجزون من جميع الوجوه ، وحين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم ويستنصرونهم ازدادوا ضعفا إلى ضعفهم ووهنا إلى وهنهم<sup>(٣)</sup> .

قال ابن القيم (رحمه الله) : « هذا من أحسن الأمثال وأدلها على بطلان الشرك وخسارة صاحبه ، وحصوله<sup>علي</sup> ضد مقصوده »<sup>(٤)</sup> .

ومن أمثال القرآن ما جاء في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا

(١) ابن القيم ، إعلام الموقعين عن رب العالمين ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٧ هـ ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .

(٢) انظر : د. أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، ص ٣٧١ ، والآية من سورة العنكبوت : الآية ٤١ .

(٣) انظر : عبد الرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج ٦ ، ص ٤٥ .

(٤) ابن القيم ، إعلام الموقعين ، ج ١ ، ص ١٥٥ .

يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ، إن الله لقوي عزيز»<sup>(١)</sup> .  
 إن أمثال القرآن تضيف مزيداً من الإقناع لعقل المدعو ، وتلامس فطرته ، وتدعوه إلى أن ينصف من نفسه ، وهذا المثل من سورة الحج يبين ضعف الشركاء ، وعجز آلهة المشركين ، ومهانتها ، في تصوير عجيب ، ومشهد حي مؤثر في النفوس .  
 قال ابن القيم (رحمه الله) : « حقيق على كل عبد أن يستمع لهذا المثل ويتدبره حق تدبره ، فإنه يقطع موارد الشرك من قلبه ، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضره ، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق ذباب ، ولو اجتمعوا كلهم خلقه فكيف ما هو أكبر منه ؟ وما يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئاً مما عليه من طيب ونحوه ، فيستنقذوه منه ، فلاهم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات ولا على الانتصار منه واسترجاع ما يسلبهم إياه ، فلا أعجز من هذه الآلهة ، ولا أضعف منها ، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله؟ وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشرك ، وتجهيل أهله ، وتقيح عقولهم »<sup>(٢)</sup> .

## ٢ - الأسئلة :

جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تقرر أحقية عقيدة التوحيد ، وتبين زيف الشرك عن طريق الأسئلة ، وهي بذلك تدعو المخاطب إلى أن يعيش مع القرآن والدعوة ، ويُعمل فكره في مضمونها ، وهي تثير في المدعو « صلاحية الاستدلال ، وقوة الاحتجاج »<sup>(٣)</sup> ، فيبحث بنفسه ، ويتحقق بنفسه ، ويستنتج بنفسه ، وجاءت الأسئلة بطرق متعددة وبصيغ مختلفة .

(١) سورة الحج : الآيات ٧٣ ، ٧٤ .

(٢) ابن القيم ، اعلام الموقعين عن رب العالمين ، ج ١ ، ص ١٨١ .

(٣) أمين اصلاحي ، منهج الدعوة إلى الله ، دار الكتاب الاسلامي ، الكويت ، بدون تاريخ ، ص ٧٩ .



وتأتي الأسئلة أحياناً تقريرية ، فيأتي السؤال ومن بعده الجواب ، لتقرير العقيدة الصحيحة كقوله تعالى :

﴿ قل أي شيء أكبر شهادة ؟ قل الله شهيد بيني وبينكم ﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ﴿ قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده ؟ قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿ قل من رب السماوات والأرض ؟ قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لانفسهم نفعاً ولا ضراً ؟ قل هل يستوي الأعمى والبصير ؟ أم هل تستوي الظلمات والنور ؟ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ؟ قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقد تأتي الأسئلة تحمل معها تحذيراً وإنذاراً للمشركين من بأس الله ، مثل قوله تعالى : ﴿ قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به ؟ انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون ﴾<sup>(٤)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿ ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ، أم أنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير ، ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير ﴾<sup>(٥)</sup> .

وقد تأتي الآيات بتسفيه عقول المشركين ، وتبين لهم ضعف الشركاء كما في قوله تعالى : ﴿ أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم ولا يضركم ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله

(١) سورة الأنعام : الآية ١٩ .

(٢) سورة يونس : الآية ٣٤ .

(٣) سورة الرعد : الآية ١٦ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ٤٦ .

(٥) سورة الملك : الآيات ١٦ - ١٨ .

أفلا تعقلون<sup>(١)</sup> .

وقوله تعالى في شأن الشركاء : ﴿ أيشركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون ، ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون ﴾<sup>(٢)</sup> .

إن القرآن وهو يوجه أسئلة كثيرة يدعو بها المشركين أحياناً إلى التفكير في مخلوقات الله ، وأحياناً إلى الوقوف مع أنفسهم ، ومع شركائهم ، وأحياناً إلى النظر في عاقبة الأمم التي سلكت مسلكهم ، يضع المشركين في موقف حرج مع أنفسهم ويلزمهم التفكير في حقيقة أمرهم .

وهذا المنهج القرآني كان له أثره على المشركين فكان يزلزل نفوسهم ، ويصدع أفئدتهم كما قال جبير بن مطعم<sup>(٣)</sup> ، قبل أن يسلم : « سمعت النبي ﷺ يقرأ سورة الطور في صلاة المغرب فلما بلغ قوله تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟ أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون ﴾ كاد قلبي أن يطير<sup>(٤)</sup> .

وفي هذه السورة سيل من الأسئلة المفحمة التي تخاطب المشركين قال تعالى : ﴿ أم يقولون شاعر نترصد به ريب المنون ؟ ، قل تربصوا فإني معكم من المترصدين ، أم تأمرهم أحلامهم بهذا ؟ أم هم قوم طاغون ؟ أم يقولون تقوله ؟ بل لا يؤمنون ، فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ، أم خلقوا من غير شيء ؟ أم هم الخالقون ؟ أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون ، أم عندهم خزائن ربك ؟ أم هم المصيطنون ؟ أم لهم سلم يستمعون فيه ؟ فليأت مستمعهم بسلطان مبين ، أم له البنات ولكم البنون ؟ أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون ؟ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ؟ ، أم يريدون كيداً ؟ فالذين كفروا هم

(١) سورة الأنبياء : الآيتان ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) سور الأعراف : الآيتان ١٩٠ ، ١٩١ .

(٣) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل القرشي ، كان من حلماة قريش وساداتهم ، أسلم بين الحديبية والفتح ، وقيل في الفتح ، توفي في خلافة معاوية ، عام ٥٧ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج١ ، ص ٢٢٧ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الطور ، ج٤ ، ص ١٨٣٩ ، رقم الحديث ٤٨٥٤ .

المكيدون ، أم لهم إله غير الله ؟ سبحان الله عما يشركون ﴿١﴾ .  
إن هذه التساؤلات المتواصلة تطارد المشركين بالحقائق الصادقة والتحديات القوية ،  
وتتعقب وساوس نفوسهم في صورة استفهامات استنكارية . فتكشف شبههم ، وتدحض  
حججهم ، وتوقفهم مجردين من كل عذر ومن كل دليل ﴿٢﴾ .  
وهي مع ذلك « تفتح على النفس آفاقا من الإيمان الذكي الذي يجعلها تهرع  
متجردة إلى الله وتفر من شوائب الشرك » ﴿٣﴾ .  
إن هذه التساؤلات للمشركين جاء في ختامها المقصود الأول لها وهو قوله تعالى :  
﴿أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون﴾ فهي ترمي إلى بيان حقيقة واحدة وهي  
وحدانية الله تعالى ووجوب إفراده بالعبادة .

(١) سورة الطور : الآيات ٣٠ - ٤٣ .

(٢) انظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٦ ، ص ٣٣٩٧ ، ص ٣٤٠١ .

(٣) محمد الغزالي ، فقه السيرة ، دار القلم ، دمشق ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ ، ص ١١٦ .

### ثالثاً : الاعتبار بمصارع الغابرين :

لما كانت كل أمة حلقة من حلقات التاريخ ، يمضي عليها ما مضى على الأمم ، فإن القرآن جاء يدعو إلى الاستفادة من قصص الماضين ، والاعتبار بها ، قال تعالى : «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى، ولكن تصديق الذي بين يديه، وتفصيل كل شيء ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» (١) .

وأمر الله عز وجل بالاعتبار بمصارع الأمم السابقة قال تعالى عن يهود بني النضير: «هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار» (٢) .

أي تفكروا يا أهل البصائر النافذة والعقول الكاملة في عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله ، وكذب كتابه ، كيف يحل به من بأسه المخزي له في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الأليم (٣) .

ففي هذه الحادثة معتبر « يعرف به صنع الله في المعاندين للحق المتبعين لأهوائهم ، الذين لم تنفعهم عزتهم ولا منعتهم قوتهم ، ولا حصنتهم حصونهم ، حين جاءهم أمر الله وصل إليهم النكال بذنوبهم والعبرة بعموم المعنى لا بخصوص السبب ، فإن هذه الآية تدل على الأمر بالاعتبار ، وهو اعتبار النظير بنظيره ، وقياس الشيء على ما يشابهه » (٤) .

وسنة الله في عباده ثابتة لا تتغير في الأفراد والجماعات ، قال تعالى : «واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها

(١) سورة يوسف : الآية ١١١ .

(٢) سورة الحشر : الآية ٢ .

(٣) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٤ ، ص ٣٤٩ .

(٤) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، جـ ٨ ، ص ١٠٠ .

ولكنه أخذ إلى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴿١١﴾ .

وقال تعالى: ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ، يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ (١٢) .

لقد ذكر في القرآن الكريم عواقب الأمم المكذبة في مواضع كثيرة ومتفرقة ، وجاءت مجملة في مواضع ، ومفصلة في أخرى ، وهي تقرر حقيقة واحدة ، وهي أن سنة الله في خلقه ماضية ، وما حدث للمكذبين والمستكبرين في كل عصر أمر لا يتخلف ، وسنة الله فيهم لا تتبدل ، قال تعالى: ﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ (١٣) .

وأكد القرآن الكريم هذه الحقيقة وبينها في أعقاب كل جزاء يحل بقوم نتيجة ما قدمت أيديهم ، قال تعالى في قريش وما حل بهم يوم بدر: ﴿ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ (١٤) ويرد ذلك بأنها سنة عامة إذ يقول: ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ، إن الله قوي شديد العقاب ، ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ﴾ (١٥) .

كما حث القرآن الكريم على الانتفاع بالتجارب التاريخية للأمم السابقة ، ودعا إلى السير في الأرض ، والنظر في عواقب الأمم ، قال تعالى: ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ (١٦) ، وقال تعالى : ﴿ أولم يسيروا في الأرض

(١) سورة الاعراف : الآيات ١٧٥ ، ١٧٦ .

(٢) سورة النحل : الآية ١١٢ .

(٣) سورة الاحزاب : الآية ٦٢ .

(٤) سورة الأنفال : الآية ٥١ .

(٥) سورة الأنفال : الآية ٥٢ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ١٣٧ .

فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ، وجاءتهم رسلهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿١﴾ .

فلا يغني عن أمة إن هي أعرضت واستكبرت وكذبت ، قوتها أو علمها وحضارتها ، فهي تلقى ما لقيته الأمم المكذبة من قبل ، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون .  
والقرآن وهو يدعو إلى السير في الأرض ، يكشف بلاء الأمم وكيف عذبت وزال ملكها ، وحل بها ما حل من العقوبات ، ويبين أن الذنوب باختلاف أنواعها هي سبب ذلك .

وفصلت آيات القرآن الكريم كيف أباد الله الأمم المكذبة للرسول ، ونوع في عذابهم وأخذهم بالانتقام منهم ، وأنه تعالى أعذر إليهم بأن لهم الحق بالحجج الواضحة على السنة الرسل صلوات الله وسلامه . عليهم أجمعين ﴿٢﴾ .

قال تعالى : ﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم ، وما كان لهم من الله من واق ﴾ ﴿٣﴾ . كما قال تعالى ﴿ فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ ﴿٤﴾ وهذه الآية جاءت في سياق الحديث عن قوم نوح وإبراهيم وقوم لوط وشعيب ، وقوم عاد وثمود .

وكما ضرب القرآن الأمثال بمصارع الغابرين ، فقد كان الأنبياء يحذرون أقوامهم

(١) سورة الروم : الآية ٩ .

(٢) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٣٦٢ ، جـ ٣ ، ص ٤٤٥ .

(٣) سورة غافر : الآية ٢١ .

(٤) سورة العنكبوت : الآية ٤٠ .

أن يحل بهم ما حل بالأمم قبلهم فقال هود (عليه السلام) لقومه : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴾<sup>(١)</sup> وقال صالح (عليه السلام) لقومه : ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال شعيب (عليه السلام) يحذر قومه : ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد ﴾<sup>(٣)</sup> .

فشعيب (عليه السلام) يدعو قومه إلى العظة والاعتبار بمصير الأمم المكذبة من قبل ، وقومه يدركون يقينا ما حل بالأمم السابقة من العذاب .

والقرآن الكريم يجمع في تذكيرهم بمصارع الغابرين بين قرب المكان وقرب الزمان ، كما في الآية المتقدمة حيث قال : ﴿ وما قوم لوط منكم ببعيد ﴾<sup>(٤)</sup> ، قال ابن كثير (رحمه الله) : « قيل المراد في الزمان ، قال قتادة<sup>(٥)</sup> يعني إنما هلكوا بين أيديكم بالأمس ، وقيل في المكان ، ويحتمل الأمران »<sup>(٦)</sup> .

ولعل الأظهر أن المراد به الأمران أي قرب الزمان والمكان ، فهو أعظم في إقامة الحججة عليهم ، كما ذكر الله قصة أصحاب الفيل لأهل مكة وكانت قريبة في الزمان والمكان من قريش .

(١) سورة الاعراف : الآية ٦٩ .

(٢) سورة الاعراف : الآية ٧٤ .

(٣) سورة هود : الآية ٨٩ .

(٤) سورة هود : الآية ٨٩ .

(٥) قتادة بن دعامة بن عريز ، قال السدذي : حافظ العصر وقدوة المفسرين والمحدثين ، عالم أهل البصرة ، كان عالماً بالتفسير ، يضرب به المثل في قوة الحفظ ، توفي عام ١١٨ هـ ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٥ ، ص ٢٦٩ .

(٦) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٥٠١ .

وكما بين القرآن الكريم سبب ما حل بالأمة السابقة من العقوبات والعذاب ، فقد نبه إلى أن من سلك مسلكهم له نفس المصير ، كما قال تعالى : ﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ، مسومة عند ربك ، وما هي من الظالمين ببعيد ﴾<sup>١</sup> . أي وما هذه النعمة والعذاب ممن تشبه بهم في ظلمهم ببعيد عنه .

تلك أبرز ملامح منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام ، حيث سعى إلى إيقاظ الفطرة المغروسة في أعماقهم ، كما سعى إلى تصحيح تفكيرهم وتنقيته من الأفكار التي تشربتها نفوسهم واستحسنتها عقولهم .

(١) سورة هود : الآية ٨٢ ، ٨٣ .



## المطلب الثاني

### منهج القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب

بعد أن بينت منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام . يطيب لي أن أشير إلى أن القرآن فرق في الدعوة بين المشركين عموماً وبين أهل الكتاب منهم ، فأهل الكتاب ، وإن كانوا يشتركون مع غيرهم من المشركين في الكفر والشرك . إلا أنهم يتميزون عنهم بأنهم أهل كتاب سماوي ، ولذلك جاءت آيات القرآن تخاطبهم باسمهم ، وتبين لهم طريقاً في الدعوة يختص بهم دون غيرهم؟ فمن هم أهل الكتاب؟ وما منهج القرآن في دعوتهم؟ هذا ما سأعرض له في هذا المطلب .

#### أولاً : من هم أهل الكتاب ؟

كان مشركوا قريش هم الجبهة الوحيدة التي وقفت في وجه الدعوة الإسلامية في مكة ، وعندما هاجر المسلمون إلى المدينة واجه الدعوة خصوم آخرون ، منهم اليهود والنصارى الذين وصفهم القرآن بأهل الكتاب<sup>(١)</sup> .

وجاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة ما يحدد طبيعة أهل الكتاب وسماتهم ، ويحدد العلاقة بينهم وبين المسلمين ، ويخصصهم دون غيرهم بمنهج في دعوتهم ، ويجعل لهم الحق في معاشة المسلمين في مجتمعهم بعد أخذ الجزية منهم .

وقد اختلف العلماء في بيان المراد باصطلاح أهل الكتاب على أقوال عدة :

فالأحناف يرون أن كل من اعتقد دينا سماوياً وله كتاب منزل كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وزبور داود فهو من أهل الكتاب<sup>(٢)</sup> .

(١) ورد هذا اللفظ ٣١ مرة في القرآن الكريم .

(٢) انظر : حاشية ابن عابدين ، رد المحتار على الدر المختار ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٢ هـ ، ج٣ ، ص ٢٧٠ .

أما الحنابلة والشافعية فيرون أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى فقط ، واستدلوا لذلك بقوله عز وجل : ﴿ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ﴾<sup>(١)</sup> . وللباحث أن يستنتج من ذلك أن العلماء لم يختلفوا قط في اليهود والنصارى وأنهم من أهل الكتاب ، ولكنهم اختلفوا فيمن عداهم من أصحاب الكتب السماوية .  
والذين يُخرجون غير اليهود والنصارى من مسمى أهل الكتاب يعللون ذلك بأن كتبهم تلك كانت مواعظ وأمثالا لا أحكام فيها ، فلم يثبت لها حكم الكتب المشتملة على الأحكام<sup>(٢)</sup> .

ويعلل بعض المعاصرين ذلك بقوله : « وإذا نظرنا إلى واقع الحال والاصطلاح الشرعي لا نجد فرقة تدين بصحف إبراهيم أو زبور داود ، ولم يتعامل المسلمون في زمن الرسول ﷺ واخلفاء الراشدين ومن بعدهم مع طائفة من هذا النوع »<sup>(٣)</sup> .  
ويرى الباحث في هذين التعليين نظراً من عدة وجوه :

- ١ - أن كتب غير اليهود والنصارى وان كانت تحوي مواعظ وأمثالا ، فإن هذا لا ينفي عنها احتواءها على التشريعات التي قد تكون تعرضت للتحريف والتبديل .
- ٢ - أن طائفة من العلماء يرون بأن الصابئة فرقة من أهل الكتاب يقرأون الزبور ، فقد ذكر ابن كثير (رحمه الله) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ﴾<sup>(٤)</sup> ، عن جماعة من العلماء أن الصابئين هم فرقة من أهل

(١) انظر : ابن قدامة المغني ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، بدون تاريخ ، ج ٦ ص ٥٩١ : الآية من سورة الأنعام : الآية ١٦٥ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ٥٩١ .

(٣) معاملة غير المسلمين في الإسلام ، مجموعة أبحاث ، المطابع التعاونية ، عمان ، ١٤٠٩ هـ ، ج ١ ، ص ١١٤ ، والبحث للدكتور محمد مصطفى الزحيلي : الإسلام والذمة .

(٤) سورة البقرة : الآية ٦٢ .

الكتاب يقرأون الزبور، ويسكنون شمال العراق<sup>(١)</sup>.

أما المجوس فاختلف العلماء فيهم على قولين :

الأول : أنهم أهل كتاب وهو قول الشافعي<sup>(٢)</sup> وابن حزم<sup>(٣)</sup>.

الثاني : أنهم ليسوا أهل كتاب وهو قول جماهير العلماء واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿

أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ﴾ فلو كان المجوس أهل كتاب

لكان أهل الكتاب ثلاثة طوائف<sup>(٤)</sup>.

قال ابن قدامة<sup>(٥)</sup> : « ليس للمجوس كتاب ولا تحل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم نص

عليه أحمد »<sup>(٦)</sup>.

قال : وأما ما روي أن حذيفة بن اليمان<sup>(٧)</sup> تزوج بمجوسية فلا يثبت ، وقول النبي

ﷺ : سنوا بهم سنة أهل الكتاب ، دليل على أنه لا كتاب لهم وإنما أراد به النبي ﷺ حقن

(١) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ١١٠ ، حيث نقل ذلك عن أبي العالية ، والربيع بن أنس ، والسدي ، وأبو الشعثاء ، والضحاك ، وإسحاق بن راهويه ، وقد تكلم الفقهاء عن أحكام ذبائحهم ومناكحتهم ، كما تكلم ابن النديم عن وجودهم قبل الإسلام وبعده ، وعن عاداتهم وأعيادهم ، انظر : ابن النديم ، الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٤٤٢ - ٤٥٦ .

(٢) أبو عبد الله محمد بن إدريس الهاشمي القرشي ، أحد أئمة أهل السنة والجماعة ، ولد في غزة ، عام ١٥٠ هـ ، أفتى وهو في سن العشرين ، له كتاب الأم ، والرسالة ، وغيرها من المؤلفات ، له عدة تراجم مستقلة ، توفي بمصر عام ٢٠٤ هـ ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٠ ، ص ٥ .

(٣) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ، عالم الأندلس ، ولد بقرطبة ، كان قوي الحجّة ، سليطاً على مخالفه ، له مؤلفات عدة ، أشهرها المحلى ، توفي عام ٤٥٦ هـ ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٨ ، ص ١٨٤ .

(٤) انظر : ابن قدامة ، المغني ، ج ٦ ، ص ٥٩١ ، والآية من سورة الأنعام : الآية ١٥٦ .

(٥) عبد الله بن أحمد بن قدامة ، من فقهاء الحنابلة ، ولد عام ٥٤١ هـ ، له عدة مؤلفات في الفقه ، منها : المغني ، الكافي ، توفي عام ٦٢٠ هـ ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٢٢ ، ص ١٦٥ .

(٦) ابن قدامة ، المغني ، ج ٦ ، ص ٥٩١ .

(٧) حذيفة بن اليمان بن حنبل بن جابر ، واليمان لقب حنبل ، صاحب سر رسول الله ﷺ ، شهد مع النبي ﷺ أحد وما بعدها ، توفي عام ٣١ هـ ، انظر : ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ١ ، ص ٤٦٨ .

دمائهم وأقارهم بالجزية لا غير<sup>(١)</sup>.

ولذلك فالمجوس لا يدخلون في مسمى أهل الكتاب ، وهذا المسمى يختص بأصحاب الدين السماوي المنزل من عند الله ، وهل يقتصر هذا الاسم على اليهود والنصارى دون غيرهم ، هذا هو الذي أراه أقرب للصواب للآية المتقدمة والله أعلم .

إن نداء اليهود والنصارى بـ « يا أهل الكتاب » فيه « تشريف لهم بإضافتهم للكتاب ، وبعث لهم على قبول ما جاء به محمد ﷺ لأنه جاء بكتاب وهم أهل كتاب ، واحتجاج عليهم بأن الإيمان بالكتاب الذي عندهم يقتضي الإيمان بالكتاب الذي جاء به لأنه من جنسه »<sup>(٢)</sup> .

كما أن فيه ميزة لهم عن غيرهم من الوثنيين ونحوهم وقد جاء هذا الوصف مرة على وجه اللين والتلطف لهم ، والمدح والثناء لمن يستحقه منهم ، وجاء أحيانا على سبيل التأنيب لهم والتوبيخ ، والذم لأخلاقهم ، ومسالكتهم الرديئة وعدم انضوائهم تحت راية الشريعة الإسلامية السمحة<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر: ابن قدامة ، المغني ، ج٦ ، ص ٥٩٢ ، والحديث المذكور رواه مالك في الموطأ ، كتاب الزكاة ، باب جزية أهل الكتاب ، والمجوس ، دار أحياء التراث ، بيروت ، ط ١٤٠٦ هـ ، ج١ ، ص ٢٧٨ ، رقم الحديث ٤٢ ، وضعفه الألباني ، انظر: الألباني ، غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ص ١٤٠٠ هـ ، ص ٤٦ ، قال : ويفني عنه ما جاء في صحيح البخاري من أن النبي ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر ، انظر : البخاري ، كتاب الجزية والموذعة ، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ، ج٣ ، ص ١١٥١ ، رقم الحديث ٣١٥٧ .

(٢) ابن باديس ، الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية ، دار المنار ، الخرج ، ١٤١٢ هـ ، ص ٥ .

(٣) انظر : حمود الرحيلي ، منهج القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية ، المدينة ، ص ٣٨٤ ، ص ٣٨٦ .

## ثانياً : ملامح منهج دعوة أهل الكتاب :

في مجال تبليغ الدعوة الإسلامية انفرد أهل الكتاب عن المشركين بمنهج مستقل ، فهم وإن كان يجمعهم الشرك بالله والكفر به ، إلا أن القرآن الكريم ميزهم في الخطاب - غالباً - عن غيرهم ، وجاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تدعو أهل الكتاب إلى الإيمان بالله ، والتصديق برسالة محمد ﷺ ، ويمكن أن نجمل ملامح منهج القرآن في دعوة أهل الكتاب بما يلي :

### ١ - البدء بالتوحيد :

بدأ القرآن الكريم مع أهل الكتاب بدعوتهم إلى توحيد الله وإفراجه بالعبادة ، فعرض عليهم دعوة التوحيد بأسلوب حكيم ، وجعل من التوحيد قضية أساسية لا يعدل عنها إلى غيرها إلا بعد الإيمان بها .

كما دعا القرآن الكريم أهل الكتاب إلى « التفكير والتأمل في أنه إذا كان التوحيد قضية مسلمة كمبدأ أساسي بين أهل الإيمان وأهل الكتاب ، فلماذا هذا الاختلاف في النتائج والمقتضيات والفروع ؟ فإذا آمنوا بأصل التوحيد فلا بد أن يخضعوا لنتائجه اللازمة»<sup>(١)</sup> ، قال تعالى: ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾<sup>(٢)</sup> .

قال صاحب تفسير المنار<sup>(٣)</sup> : « هذه الآية أساس الدين وأصله الأصيل ، ولذلك

(١) أمين اصلاحي ، منهج الدعوة إلى الله ، ص ٦٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٦٤ .

(٣) هو محمد بن رضا بن علي القلموني ، البغدادي الأصيل ، صاحب مجلة المنار وأحد رجال الإصلاح في العصر الحديث ، له تفسير المنار ، ولم يكمل ، وله عدة مؤلفات ، توفي عام ١٣٥٤ هـ ، انظر : خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ج٦ ، ص ١٢٦ .

كان ﷺ يدعو بها أهل الكتاب إلى الإسلام كما ثبت إلى هرقل والمقوقس «<sup>(١)</sup> .  
وهكذا فإن القرآن بدأ مع أهل الكتاب بهذه القضية وهي توحيد الله وإخلاص  
العبادة له قال تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ  
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ  
أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم ، جـ ٣ ، ص ٣٢٧ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٢٦ .

## ٢ – الإخبار بأن القرآن نزل مصدقا لما بين يديه من الكتب .

ركز القرآن في دعوته لأهل الكتاب على أن دعوة التوحيد التي جاء بها الرسول ﷺ امتداد لدعوات الأنبياء من قبل قال تعالى : ﴿ قل ما كنت بدعا من الرسل ﴾<sup>(١)</sup> .

وبين القرآن أن دعوته ﷺ موافقة في أصولها وغاياتها لدعوة سائر الأنبياء السابقين قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقد أنزل الله الكتب على الأنبياء ، فاندرس منها ما اندرس وبقي منها ما بقي .. لكن ما بقي منها كالتوراة والإنجيل فقد تعرض لأهواء الأحبار والرهبان فأوسعوها تحريفا وتبديلا<sup>(٣)</sup> ، أما القرآن الكريم فقد أبى الله إلا حفظه وتكفل بذلك فقال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾<sup>(٤)</sup> ، وجعل الله هذا الكتاب العظيم مهيمنا على الكتب التي قبله ، قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ﴾<sup>(٥)</sup> ، قال ابن كثير : « جعل الله هذا الكتاب العظيم – الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها – أشملها وأعظمها وأكملها ، حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره فلماذا جعله شاهدا وأمينا وحاكما عليها كلها<sup>(٦)</sup> » ، فلا كتاب بعده ، ولا كمال إلا به ، « فهو المرجع الأخير في منهج الحياة ، وشرائع الناس ، ونظام حياتهم ، بلا تعديل بعد ذلك ولا تبديل<sup>(٧)</sup> » .

(١) سورة الأحقاف : الآية ٩ .

(٢) سورة الشورى : الآية ١٣ .

(٣) من المعلوم أن الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام لم يعد له وجود مستقل باعتراف النصارى أنفسهم حيث لا نجد عندهم كتاب مقدس ينسونه إلى نبيهم .

(٤) سورة الحجرات : الآية ٩ .

(٥) سورة المائدة : الآية ٤٨ .

(٦) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٧٥ .

(٧) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، جـ ٢ ، ص ٩٠٢ .

وكان من منهج القرآن الكريم أن دعا أهل الكتاب إلى أن يعلموا أن الرسل يصدق بعضهم بعضا ، وكل يؤمن بنبوة الآخر ، ودعاهم إلى عدم التفريق بين الرسل والإيمان بجميع الكتب المنزلة ، قال تعالى : ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾ (١).

ووصف القرآن من يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض بأنهم الكافرون حقا قال تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسوله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين عذابا مهينا ﴾ (٢).

وامتدح القرآن الذين يؤمنون بجميع الرسل ولا يفرقون بين أحد منهم ، قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم ، أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ، وكان الله غفورا رحيما ﴾ (٣).

ودعا القرآن الكريم أهل الكتاب إلى أن يجعلوا من إيمانهم بالرسول ﷺ وإيمانهم بالقرآن امتدادا لإيمانهم بموسى وعيسى وما أنزل عليهما ، فهو يخاطبهم على لسان عيسى (عليه السلام) : ﴿ يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ (٤) ، « فمحمد ﷺ ليس بدعا من الرسل ولم يأت ليهدم ما في التوراة والإنجيل ، وإنما جاء خاتما للمرسلين ، وداعيا إلى الله على طريقهم » (٥).

(١) سورة البقرة : الآية ١٢٦ .

(٢) سورة النساء : الآيات ١٥٠ ، ١٥١ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٥٢ .

(٤) سورة الصف : الآية ٦ .

(٥) د. عبد الفتاح عاشور ، منهج القرآن في تربية المجتمع ، ص ٥٨٢ .



### ٣ - العدل في الحكم عليهم :

كما فرق القرآن الكريم بين أهل الكتاب وغيرهم من المشركين ، فإنه فرق أيضاً بين أهل الكتاب أنفسهم « وحكم على كل فريق منهم بما يستحقه من خير أو شر ملتزماً في ذلك طريق العدالة والصدق »<sup>(١)</sup> ، فلم يحكم عليهم حكماً عاماً ، فأتى على من آمن منهم « وصورهم في مشاهد مشرقة وضيئة »<sup>(٢)</sup> قال تعالى : ﴿ واذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكذبنا مع الشاهدين ، ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، فأتاهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء المحسنين ﴾<sup>(٣)</sup> .

وأثبت القرآن لأهل الكتاب أنه في كل موقف من مواقف تكذيبهم للرسول أو تقصيرهم في أداء حقوق الرسالة ، تبقى طائفة منهم على الحق قال تعالى : ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة ، يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون في الخيرات ، وأولئك من الصالحين ﴾<sup>(٤)</sup> .

وفي سورة الأعراف ذكر القرآن جملة من معائب بني إسرائيل المنافية للكمال ، المناقضة للهداية ، حتى ربما توهم متوهم أن هذا يعم جميعهم وأنهم جميعاً كانوا ضالين ، فجاء عدل القرآن في حكمه عليهم ، فذكر تعالى أن منهم طائفة مستقيمة ، هادية مهديّة ،

(١) حمود الرحيلي ، منهج القرآن في دعوة أهل الكتاب ، ص ٣٨٧ .

(٢) محمد شديد ، منهج القرآن في التربية ، ص ٢٢١ .

(٣) سورة المائدة : الآيات ٨٣ - ٨٥ .

(٤) سورة آل عمران : الآيات ١١٣ ، ١١٤ .

قال تعالى: ﴿ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾<sup>(١)</sup> .

والقرآن في حكمه على أهل الكتاب لا يطلق لفظ العموم قال تعالى: ﴿ قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمننا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون ﴾<sup>(٢)</sup> فلم يقل وأن جميعكم فاسقون ، وقال تعالى: ﴿ وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون ﴾<sup>(٣)</sup> ، إلى غير ذلك من الآيات التي تين منهج القرآن في دعوة أهل الكتاب في العدل معهم، وعدم تعميم الحكم عليهم .

وعندما يقص القرآن قصص بني إسرائيل مع أنبيائهم نجده لا يبخسهم حقهم أيضا، فهو « يذكرهم بأيام الله ، ويقلب لهم صفحة مضيئة في تاريخهم ، يوم أن كانوا دعاة هدى ورحمة ، ومناة حق وإيمان ، وصفحة أخرى كالحة ، يوم أن انصرفوا عن دين الله وطمسوا حقائقه ومعالمه ، وهو يدعوهم إلى الصفحة المضيئة والبحث فيها »<sup>(٤)</sup> . وهكذا يمضي القرآن على هذا النهج يحق الحق ويطل الباطل ، ويبين أن النهج الأقوم في دعوة أهل الكتاب هو العدل في الحكم عليهم والتمييز بين طوائفهم .

(١) سورة الأعراف : الآية ١٥٩ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٥٩ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٦٢ .

(٤) د. عبد الفتاح عاشور ، منهج القرآن في تربية المجتمع ، ص ٥٨٠ .

٤ - جدالهم بالتي هي أحسن :

الجدال هو أحد الطرق المستخدمة في الدعوة لإقناع المدعو ، وإقامة الحجج والبراهين على صحة الدعوة ، وبطلان ما سواها ، وإزالة ما يعلق في الأذهان من الشبهات التي تحول دون قبولها . وقد خص الله أهل الكتاب دون غيرهم بقوله: ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ﴾<sup>(١)</sup> .

فهذه الآية نص في تخصيص أهل الكتاب عند دعوتهم بالجدال الحسن .

واختلف العلماء في هذه الآية هل هي محكمة أو منسوخة ؟

قال القرطبي<sup>(٢)</sup>: « قال مجاهد<sup>(٣)</sup> : هي محكمة . فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن على معنى الدعاء لهم إلى الله عز وجل ، والتنبيه على حججه وآياته ، رجاء إجابتهم إلى الإيمان ، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة »<sup>(٤)</sup> .

وقيل الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾<sup>(٥)</sup> .

ورجح القرطبي قول مجاهد ، وعلل ذلك بأن أحكام الله عز وجل لا يقال فيها إنها منسوخة إلا بخبر يقطع العذر ، أو حجة من معقول ، واختار هذا القول ابن العربي<sup>(٦)</sup> . ويرى الباحث أن هذا القول أقرب للصواب لأن الإسلام أجاز لأهل الذمة من أهل الكتاب وغيرهم من المستأمنين البقاء في ديار الإسلام وخصهم بأحكام مستقلة ، ويقاؤهم مع

(١) سورة العنكبوت : الآية ٤٦ .

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، كان إماماً في التفسير والحديث ، له كتاب الجامع في أحكام القرآن ، وكتاب التذكرة في أمور الآخرة ، توفي عام ٦٧١ هـ ، انظر : ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ ٥ ، ص ٣٣٥ .

(٣) مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، تابعي ، مفسر ، قال الذهبي : شيخ القراء والمفسرين ، وتلميذ ابن عباس ، توفي عام ١٠٤ هـ ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ ٤ ، ص ٤٤٩ .

(٤) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، جـ ١٣ ، ص ٣٥٠ .

(٥) سورة التوبة : الآية ٢٩ .

(٦) انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، جـ ١٣ ، ص ٣٥٠ ، وابن العربي ، هو : أبو بكر محمد بن عبد الله الإشبيلي ، ولد في إشبيلية ، عام ٤٦٨ هـ ، له تصانيف في الفقه والحديث والأصول ، توفي عام ٥٤٣ هـ ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ ٢٠ ، ص ١٩٧ .

الإغلاظ عليهم ينافي سماحة الإسلام ، وبالتالي فإن بقاء هذا الحكم هو الأصل ، ولم تخلُ مجتمعات المسلمين في عصر من العصور من غير المسلمين الذين كان للمسلمين أثر في دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال الحسن .

وحتى أهل الحرب منهم كان المسلمون يبدأون معهم بالدعوة قبل مقاتلتهم ، ويجادلونهم بالحسنى ، ويعرضون عليهم الإسلام ، فإن هم أبوه قاتلوهم .

وهذا الحكم ، وهو بقاء مجادلة أهل الكتاب هو الذي يرجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال : « ما ذكره الله من مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، حكم لم ينسخه شيء ، وكذلك ما ذكره الله تعالى من مجادلة الخلق مطلقا بقوله : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ فإن من الناس من يقول آيات المجادلة والحاجة للكفار منسوخات بآيات السيف لاعتقاده أن الأمر بالقتال المشروع ينافي المجادلة المشروعة ، وهذا غلط فإن النسخ إنما يكون إذا كان الحكم الناسخ مناقضا للحكم المنسوخ كمنافضة الأمر باستقبال المسجد الحرام في الصلاة للأمر باستقبال بيت المقدس بالشام »<sup>(١)</sup> .

إن غير المسلمين في المجتمع الإسلامي من أهل الذمة والمستأمنين يدخلون في عموم قول الله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾<sup>(٣)</sup> وهذا « لا يناقضه الأمر بجهاد من أمر بجهاده منهم »<sup>(٤)</sup> .

إن هذا الأسلوب الذي دعا إليه القرآن في معاملة أهل الكتاب عند مجادلتهم ، فيه غاية التسامح والتلطف الذي يوجب عليهم قبول الإسلام والدخول فيه .

(١) ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ١ ، ص ٦٦ ، والآية من سورة النحل : الآية ١٢٥ .

(٢) سورة النحل : الآية ١٢٥ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ٤٦ .

(٤) ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ١ ، ص ٦٦ .

٥ - دعوتهم إلى ملة إبراهيم (عليه السلام) .

دعا القرآن الكريم أهل الكتاب إلى أن يعودوا إلى ملة إبراهيم (عليه السلام) ، وأوضح لهم وجوب اتباع هذه الملة ، قال تعالى : ﴿ وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ﴿ قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾<sup>(٢)</sup> .

وعندما زعم اليهود والنصارى أن إبراهيم كان على ملتهم ، رد عليهم القرآن بقوله : ﴿ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ﴾<sup>(٣)</sup> ، وأوضح لهم مذكرا إياهم أن التوراة والإنجيل نزل كل منهما بعد إبراهيم (عليه السلام) قال تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ﴾<sup>(٤)</sup> .

إن من منهج القرآن في دعوة أهل الكتاب التركيز على المبادئ المشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب، ودعوتهم من خلالها ، فالمسلمون وأهل الكتاب يؤمنون بنبوة إبراهيم اخليل ويعدون له أبا للأنبياء من بعده ، قال تعالى : ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ، ملة أبيكم إبراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ... الآية ﴾<sup>(٥)</sup> .

(١) سورة البقرة : الآية ١٣٥ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٩٥ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٦٧ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ٦٥ .

(٥) سورة الحج : الآية ٧٨ .

وورد في الحديث أن النبي ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين<sup>(١)</sup> ويقول : « إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة »<sup>(٢)</sup> ، فأبوة إبراهيم للأنبياء من بعده ثابتة بالكتاب والسنة ، وكتب أهل الكتاب تشهد بذلك أيضاً<sup>(٣)</sup> .

ودعوة أهل الكتاب من خلال ذلك له أثر في قبولهم للدعوة ، وقد ركز القرآن على ذلك لبيان حقيقة الدين الذي دعا إليه إبراهيم وهو توحيد الله وإفراده بالعبادة لا كما يزعم اليهود والنصارى من أنه كان على دينهم .

(١) سبطا رسول الله ﷺ وريحانته ، ابنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، ولي الحسن الخلافة ستة أشهر بعد والده ، وتنازل معاوية عن الخلافة عام الجماعة ، توفي عام ٥٠ هـ ، وتوفي الحسين عام ٦١ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص ٣٣٠ ، ٣٣١ ، وانظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص ١٠ ، ١٨ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب يزفون : النسلان في المشي ، ج٣ ص ١٢٣٣ ، رقم الحديث ٣٣٧١ ، ورواه أبو داود ، كتاب السنة ، باب في القرآن ، ج٤ ، ص ٢٣٥ ، رقم الحديث ٤٧٣٧ .

(٣) فنصوص التوراة تذكر تسلسل حياة الأنبياء بعد إبراهيم وأنهم من نسله ، بدءا بإسماعيل وإسحاق وانتهاء بعميس عليه السلام ، الذي ذكر في بداية إنجيل متى نسبه كما يعتقدون موصولاً من يوسف النجار الذي يزعمونه زوجاً لمريم بنت عمران تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . انظر : إنجيل متى ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

٦ - الترغيب والترهيب .

رغم أن أهل الكتاب أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، ونسبو إليه ما لا ينبغي لجلالته وعظمته ، فنسبوا إليه الولد ، وزعموا أن الله فقير ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، وفعلوا ما فعلوه بالأنبياء من التنكيل بهم وتكذيبهم ، بل وقتلهم ، ورغم نذهم كتاب الله وراء ظهورهم ، ومخالفتهم تعاليم الرسل ، وابتداعهم في الدين وتخريفهم وتبديلهم فيه ، رغم ذلك كله ، فإن القرآن جاء يدعو أهل الكتاب أحيانا بأسلوب سهل رقيق ، كقوله تعالى : ﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم﴾<sup>(١)</sup> فبعد كل ما اقترفه أهل الكتاب من أفعال ، وما افتترته ألسنتهم من أقوال مما ذكره القرآن الكريم ، تأتي هذه الآية تفتح لهم بابا عظيما من عفو الله وحلمه ، فإن هم آمنوا واتقوا تكفر عنهم سيئاتهم ويدخلهم الله جنات النعيم .

وذكر القرآن في سياق الترغيب نعم الله على أهل الكتاب وخصوصا بني إسرائيل ، فجاءت آيات عديدة تذكرهم بنعم الله التي أنعم الله بها عليهم . قال تعالى : ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين﴾<sup>(٢)</sup> .

وفي سورة البقرة أفاض القرآن في ذكر نعم الله عليهم ، على سبيل الإجمال والتفصيل ، قال الرازي<sup>(٣)</sup> : « واعلم أنه سبحانه ذكرهم تلك النعم على سبيل الإجمال فقال : ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾ وفرع على ذلك تذكيرهم الأمر بالإيمان بمحمد ﷺ فقال : ﴿وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم﴾ ثم عقبها بذكر الأمور التي تمنعهم من الإيمان ، ثم ذكرهم النعم على سبيل

(١) سورة المائدة : الآية ٦٥ .

(٢) سورة الجاثية : الآية ١٦ .

(٣) فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن التميمي ، أحد المفسرين ، وعلماء الكلام ، صنف في التفسير والأصول ، أشهر مؤلفاته ، التفسير الكبير ، المحصول في علم الأصول ، توفي عام ٦٠٦ هـ ، انظر : ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج ٥ ،

الإجمال ثانية بقوله مرة أخرى : «يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم » تبيينها على شدة غفلتهم ، ثم أردف هذا التذكير بالترغيب البالغ بقوله : « وأني فضلتكم على العالمين » مقروناً بالترهيب البالغ بقوله : « واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئا » إلى آخر الآية ، ثم شرع بعد ذلك في تعديد النعم على سبيل التفصيل ، ومن تأمل وأنصف ، علم أن هذا هو النهاية في حسن الترتيب لمن يريد الدعوة وتحصيل الاعتقاد في قلب المستمع<sup>(١)</sup> .

ثم إن في خطاب القرآن لهم بـ « يا بني إسرائيل » تهييلاً لهم وتذكيراً بنبيهم إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام .

قال ابن كثير : « وتقدير الكلام يا بني العبد الصالح المطيع لله كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق ، كما تقول يا ابن الكريم اعمل كذا ، يا ابن الشجاع بارز الأبطال ، يا ابن العالم اطلب العلم ونحو ذلك »<sup>(٢)</sup> .

وفي مقابل هذا الترغيب لأهل الكتاب ، جاءت آيات عديدة تخاطبهم في سياق الترهيب ... تؤنبهم على عدم إسلامهم وتوبخهم ، كقوله تعالى : « يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ، يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ، وتكتمون الحق ، وأنتم تعلمون »<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى : « قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء ، وما الله بغافل عما تعملون »<sup>(٤)</sup> .

كما جاءت آيات عديدة تهددهم وتنذرهم عقوبة الله إن هم أعرضوا عن الإيمان بما أنزل الله على محمد ﷺ ، قال تعالى : « يا أيها الذين آوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً

(١) الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٣ ، بدون تاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٩ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٨٤ .

(٣) سورة آل عمران : الآيات ٧٠ ، ٧١ .

(٤) سورة آل عمران : الآيات ٩٨ ، ٩٩ .



لما معكم من قبل أن نظمس وجوها فنردها على أديارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا<sup>(١)</sup> .

وكان لمثل هذه الآيات وقع شديد عليهم ، روى ابن جرير بسنده أن كعب الأحبار<sup>(٢)</sup> سمع رجلا من حمص يقرأ قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم ، من قبل أن نظمس وجوها فنردها على أديارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت، وكان أمر الله مفعولا ﴾ فقال كعب : يا رب أسلمت ، مخافة أن تصيبه هذه الآية<sup>(٣)</sup> .

وفي رواية لابن أبي حاتم<sup>(٤)</sup> قال كعب : فبادرت إلى الماء ، فاغتسلت واني لأمس وجهي مخافة أن أطمس ، ثم أسلمت<sup>(٥)</sup> .

(١) سورة النساء : الآية ٤٧ .

(٢) كعب بن ماتع الحميري اليماني ، عالم أهل الكتاب قبل أن يسلم ، أسلم بعد وفاة النبي ﷺ ، توفي عام ٣٤ هـ ، وقيل عام ٣٥ هـ ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص ٤٨٩ ، وابن العماد ، شذرات الذهب ، ج١ ، ص ٤٠ .

(٣) انظر : ابن جرير ، جامع البيان ، ج٥ ، ص ١٢٤ .

(٤) الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن أدريس الرازي ، صاحب المرحح والتعديل ، كان بحرأ في العلوم ومعرفة الرجال ، صنّف في الفقه واختلاف الصحابة ، توفي عام ٣٢٧ ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٣ ، ص ٢٦٣ .

(٥) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج١ ، ص ٥٥٧ .

٧ - تذكيرهم بحقيقة ما يعلمونه عن الرسول ﷺ والقرآن الكريم .

بين القرآن الكريم في آيات كثيرة حقيقة ما يعلمه أهل الكتاب من اسم وصفة الرسول ﷺ وأخبر أن علماءهم يعلمون هذه الحقيقة وأن ذلك مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل ، فالأنبياء « بشروا أممهم ببعثه ، وأمروهم بمتابعته ، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماءهم وأخبارهم »<sup>(١)</sup> .

قال تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل »<sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام : « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد »<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون »<sup>(٤)</sup> .

فاكد القرآن معرفة أهل الكتاب الجازمة بالنبي ﷺ وبالكتاب الذي أنزل معه ، ويقينهم في معرفة ذلك هو يقينهم في معرفة أبنائهم لا يشتبهون عليهم .

وبين القرآن الكريم أن أهل الكتاب يعلمون حقيقة القرآن الكريم وأن خبره مدون في كتب الأنبياء السابقين قال تعالى : « وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين ، وانه لفي زبر الأولين ، أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل »<sup>(٥)</sup> .

أي أن ذكر هذا القرآن والتنويه به ، موجود في كتب الأولين الماثورة عن أنبيائهم

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج-٢ ، ص ٢٨٠ .

(٢) سورة الاعراف : الآية ١٥٧ .

(٣) سورة الصف : الآية ٦ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٤٦ .

(٥) انظر : د. حمود الرحيلي ، أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم ، ص ٣٩ ، والآيات من سورة الشعراء : الآيات ١٩٢-١٩٧ .

كما قال تعالى: ﴿والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق﴾<sup>(١)</sup>.  
والقرآن الكريم إذ بين لهم علمهم بالنبي ﷺ وبما أنزل معه يلزمهم بالإيمان بهما  
ويقيم الحجة عليهم ، فكتبهم التي بين أيديهم تشهد بصدق رسول الله ﷺ ، بل إنهم كانوا  
قبل بعثته عليه الصلاة والسلام يستفتحون على الذين كفروا قال تعالى : ﴿وكانوا من قبل  
يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على  
الكافرين﴾<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير : « أي وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب  
يستتصرون بمجيئه على أعدائه من المشركين إذا قاتلوهم يقولون : إنه سيبعث نبي في آخر  
الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم »<sup>(٣)</sup> ، فعلماء اليهود كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون  
أبناءهم أو أشد من معرفتهم لأبنائهم ، وإنما كفروا به حينما تيقنوا من صفاته بغياً  
وحسداً<sup>(٤)</sup>.

لقد خص القرآن الكريم أهل الكتاب بمنهج مستقل في دعوتهم ، وأوضح أن سبل  
إقناعهم بالحق ميسورة ، فالكتاب الذي بين أيديهم يشهد بصدق الرسول ﷺ ورسالته ،  
وعلماءهم يعرفون ذلك وإن أنكروه ظاهراً : وأثنى القرآن على طوائف منهم آمنوا وصدقوا  
فنالوا أجرهم مرتين قال تعالى : ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، وإذا يتلى  
عليهم قالوا آمنا به ، إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ، أولئك يؤتون أجرهم مرتين  
بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون﴾<sup>(٥)</sup>.

- (١) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ٣٨٣ ، والآية من سورة الأنعام : الآية ١١٤ .
- (٢) سورة البقرة : الآية ٨٩ .
- (٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ١٣٣ .
- (٤) انظر : د. محمد الشنقيطي ، منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب ، مكتبة أمين سالم ، المدينة ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ، جـ ١ ، ص ١٩١ .
- (٥) سورة القصص الآيات ٥٢ - ٥٤ .

وأوضح القرآن الكريم أن هناك من الأصول المشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب ما يمكن أن تكون ميدانا لدعوتهم، وسبيلا لاقتناعهم، كالإيمان بالوحي والآخرة، والانتساب إلى إبراهيم الخليل وغير ذلك من الميادين التي يتفق فيها أهل الكتاب مع المسلمين .

والقرآن الكريم وإن كان قد أوضح المنهج الصحيح في دعوة غير المسلمين من أهل الكتاب وغيرهم، فقد جاءت السنة متممة له ومفسرة، وجاءت أحداث السيرة ومواقف الرسول ﷺ من المشركين ترسم صورة عملية في دعوة غير المسلمين، وتحدد الخطوط الرئيسية التي يجب على الدعاة أن يقتفوا أثرها، ويسيروا على ضوء معالمها وهذا ما يوضحه المطلب التالي .

## المطلب الثالث

### منهج السنة في دعوة غير المسلمين

**نهيي :**

لا يختلف أحد في أن الأنبياء (عليهم السلام) يستقون منهجهم في الدعوة من وحي الله تعالى ، فقد أيدهم الله تعالى بوحيه ، وعصمهم من الوقوع في الزلل .  
وفي القرآن الكريم عرض لأساليب الأنبياء في دعوة أقوامهم والتي تكفل للدعاة نجاح دعوتهم إن هم ساروا على أثرها ، بل إن السير على أثرها حتم لازم عليهم قال تعالى : ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾<sup>(١)</sup> ، فمنهج الأنبياء واجب الاتباع وطاعتهم واتباعهم فرض عين على كل مسلم للآية السابقة .

ثم إن الله قد « عصم الأنبياء من الشرك والجهل ، وطهرهم من الكفر والفسوق والعصيان ، واصطفاهم من بين اخلق أجمعين فهم صفوة اخلق وأفضل الناس في العلم والعمل ، والصدق والأمانة ، والحجة والبرهان .

ولذلك فإن على الدعاة أن ينهلوا من معين الأنبياء في دعوتهم ، يتبعون آثارهم ، وينهجون نهجهم ، وقد شملت قصص القرآن التي تتحدث عن أنبياء الله معظم سور القرآن الكريم ، وفي ذلك دليل على أهمية منهج الأنبياء (عليهم السلام) ، وشدة حاجة الدعاة إليه .

وأشد ما يكون الدعاة حاجة إليه منهج النبي ﷺ في دعوته فقد كمل الله به الدين ، وختم به الأنبياء وجعل الكتاب الذي أنزل عليه مهيمنا على الكتب التي أنزلت من قبل ، وكان هديه ﷺ في الدعوة ترجمة عملية صادقة لتعاليم القرآن الكريم ، وكان عليه الصلاة

(١) سورة الأنعام : الآية ٩٠ .

والسلام كما كانت تقول عنه عائشة<sup>(١)</sup> (رضي الله عنها): « كان خلقه القرآن »<sup>(٢)</sup>.

والقرآن الكريم والسنة المطهرة كلاهما وحي أنزله الله على النبي الخاتم ﷺ ، قال تعالى : ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾<sup>(٤)</sup> « أي : أنزل عليك هذا القرآن والذكر الحكيم الذي فيه تبيان كل شيء ، وعلم الأولين والآخريين ، والحكمة إما السنة التي قد قال فيها بعض السلف : إن السنة تنزل عليه كما ينزل القرآن ، وإما معرفة أسرار الشريعة الزائدة على معرفة أحكامها ، وتنزيل الأشياء منازلها وترتيب كل شيء بحسبه »<sup>(٥)</sup>. قال ابن كثير (رحمه الله) : « الكتاب هو القرآن ، والحكمة هي السنة »<sup>(٦)</sup>.

وقد أخبر الله عن نبيه في كتابه بقوله : ﴿ وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ﴾<sup>(٧)</sup>.

وبهذا القرآن استطاع الرسول ﷺ أن يكون من عرب الجزيرة أمة تحمل رسالة ، وتنشئ حضارة وتصنع تاريخا كأنه ضرب من الأساطير ، فأنشأ من الفرقة وحدة ، ومن الضعف قوة ، ومن الأمية علما ، ومن البداوة حضارة ، ومن الحفاة العراة خير أمة أخرجت

(١) أم المؤمنين ، عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، الصديقة بنت الصديق ، أفقه النساء ، تزوجها النبي ﷺ في السنة الثانية للهجرة وكانت أحب نساءه إليه ، وروى عنه كثيرا ، توفيت عام ٥٨ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٤ ، ص ٢٤٨ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٧ ، ص ١٨٨ .

(٢) رواه مسلم ، كتاب المسافرين ، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض ، جـ ٣ ، ص ٢٧٢ ، رقم الحديث ٧٤٦ ، ورواه أحمد ، في المسند ، جـ ٦ ، ص ١٦٣ .

(٣) سورة الجمعة : الآية ٢ .

(٤) سورة النساء : الآية ١١٣ .

(٥) عبد الرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، جـ ٢ ، ص ٧٧ .

(٦) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٦١٠ .

(٧) سورة النجم : الآيات ٣ ، ٤ .

للناس ، وهذا هو سر القرآن الكريم وعمل منهجه في النفوس والأمم<sup>(١)</sup> .

هذا وقد بين القرآن الكريم منهج الرسول ﷺ في الدعوة الموجهة لعموم المدعوين في ثلاث آيات تحدد الخطوط الرئيسية للمنهج النبوي<sup>(٢)</sup> وهي كما يلي :

١ - الدعوة بمكارم الأخلاق : قال تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾<sup>(٣)</sup> .

٢ - الدعوة على بصيرة : قال تعالى : ﴿ قل هذه سبيل أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾<sup>(٤)</sup> .

٣ - الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة : قال تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾<sup>(٥)</sup> .

ولعل الباحث لا يكون مجانباً الصواب إن رأى أن الخطوط الرئيسية المذكورة تمثل منهج السنة النبوية في دعوة غير المسلمين على نحو ما سأفصله في الفروع التالية إن شاء الله تعالى .

(١) انظر : محمد شديد ، منهج القرآن في التربية ، ص ١٠ .

(٢) انظر : آدم الالوري ، تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم ، ص ١٤٥ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٩٩ .

(٤) سورة يوسف : الآية ١٠٨ .

(٥) سورة النحل : الآية ١٢٥ .

## الفرع الأول الدعوة بمكارم الأخلاق

قال تعالى مخبراً عن نبيه محمد ﷺ : ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾<sup>(١)</sup> ، ومر معنا قول عائشة (رضي الله عنها) : ﴿كان خلقه القرآن﴾<sup>(٢)</sup> ومعنى هذا كما قال ابن كثير (رحمه الله) : «أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن ، أمراً ونهياً ، سجية له وخلقا تطبعه ، وترك طبعه الجبلي ، فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل»<sup>(٣)</sup> وقد أخبر النبي ﷺ أن من مقاصد بعثته أن يتمم صالح الأخلاق ، قال عليه الصلاة والسلام : «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»<sup>(٤)</sup> وإن سيرة النبي ﷺ وكمال عقله وخلقه ، واستقامة نفسه ، وسلامة ما يدعو إليه ، كانت ولا تزال القوة الداعية إلى الإسلام قديماً وحديثاً<sup>(٥)</sup> .

وقد عرض القرآن الكريم ، وحوث السنة نماذج كثيرة من صورة دعوته ﷺ باخلق القويم والأسوة الحسنة ، يصعب حصرها ، ويطول عرضها ، ولكن لابد من الإشارة إلى خلقين لضرورتها الملحة للدعوة في هذا العصر ، ولأهميتهما في مجال دعوة غير المسلمين وهما الصبر ، والرفق .

(١) سورة القلم : الآية ٤ .

(٢) انظر : ص ١٠١ .

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٤ ، ص ٤٢٥ .

(٤) رواه أحمد ، في المسند ، ج٢ ، ص ٣٨١ ، ورواه البخاري في الأدب المفرد ، باب حسن الخلق ، رقم الحديث ٢٧٣ ، وصححه الألباني ، انظر : الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩ هـ ، ج١ ، ص ٧٥ ، رقم الحديث ٤٥ .

(٥) انظر : أبو زهرة ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٦٥ .



## أ - الصبر :

وهو من أعظم الأخلاق التي أمر الله بها رسوله ﷺ في مواضع كثيرة ، ورتب على الصبر أعظم الجزاء قال تعالى : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ، إن العاقبة للمتقين ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلاً ﴾<sup>(٣)</sup> .

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية : « يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه وأن يهجرهم هجرًا جميلاً وهو الذي لا عتاب معه »<sup>(٤)</sup> .  
لقد نزلت معظم الآيات الآمرة بالصبر في العهد المكي حيث بداية الدعوة ، وذلك يوحى بأهمية الصبر ، وعلو منزلته في مجال الدعوة بين صفوف المشركين ، فليست الدعوة كلمة تقال ثم ينتهي الأمر ، بل هي جهاد طويل يحتاج إلى صبر جميل .

إن الصبر هو زاد الطريق في دعوة الرسول ﷺ ... « الصبر على شهوات الناس ونقصهم ، وضعفهم وجهلهم ، وسوء تصورهم ، وانحراف طباعهم ، وأثرتهم وغرورهم ، والتوائهم واستعجالهم للثمار ، والصبر على تنفج الباطل ووقاحة الطغيان ، وانتفاش الشر وغلبة الشهوة ، وتصعير الغرور والخيلاء ، والصبر على قلة الناصر وضعف المعين<sup>(٥)</sup> وطول الطريق ... والصبر على مرارة الجهاد لذلك كله »<sup>(٦)</sup> .

(١) سورة الزمر : الآية ١٠ .

(٢) سورة هود : الآية ٤٩ .

(٣) سورة المزمل : الآية ١٠ .

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٤ ص ٤٦٢ .

(٥) من الناس .

(٦) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج١ ، ص ٥٥١ .

لقد كان النبي ﷺ مصدقا في قومه لم يكذبه أحد ، ومع ذلك رفضوا دعوته ظلما وعلوا ، فأمره الله تعالى بالصبر على ذلك قال تعالى : ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذي تقولون ، فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ، ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا ﴾<sup>(١)</sup> .

فكان الصبر زاد الأنبياء جميعا الذين كانت حياتهم مفعمة بالابتلاءات ، مفعمة بالآلام ، فصبروا على تكذيب أقوامهم حتى أتاهم نصر الله تعالى . وقد أمر الله نبيه ﷺ بالتأسي بهم يقول تعالى : ﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾<sup>(٢)</sup> ، وكان ﷺ إذا أؤذي في دعوته تذكر حال إخوانه من الرسل فيقول : « قد أؤذي موسى بأكثر من هذا فصبر »<sup>(٣)</sup> .

وفي مكة ألصق المشركون برسول الله ﷺ نعوتنا لا تليق بأحاديث الناس ، فكيف بالرسول الأعظم ، لقد قالوا عنه إنه مجنون وكذاب وساحر ، وواجه من قومه من صنوف الأذى ما واجه من إلقاء سلا الجزور على ظهره وهو يصلي<sup>(٤)</sup> ، ورميه بالحجارة حتى أدمت قدميه وهو يبلغ دعوة الله خارج مكة ، فما كان القرآن يأمره إلا بالصبر قال تعالى : ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾<sup>(٥)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ﴾<sup>(٦)</sup> .

(١) سورة الانعام : الآيات ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) سورة الأحقاف : الآية ٣٥ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب الصبر على الأذى ، ج٥ ، ص ٢٢٦٣ ، رقم الحديث ٦١٠٠ ، ورواه مسلم ، كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي ، ج٤ ، ص ١٦٤ ، رقم الحديث ١٠٦٢ .

(٤) انظر : صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ج٣ ص ١٣٩٩ ، رقم الحديث ٣٨٥٤ ، وصحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، ج٦ ، ص ٣٩٣ ، رقم الحديث ١٧٩٤ .

(٥) سورة ق : الآية ٣٩ .

(٦) سورة ص : الآية ١٧ .

وكان النبي ﷺ يربي أصحابه على الصبر ، وربما أتاه بعض الصحابة في فترات ضعفهم ، يشكون إليه شدة ما يجدون من المشركين ، فيعظهم ، ويذكرهم بمن قبلهم ، فيعودون إلى أهلهم وقد أطمأنت نفوسهم ، راضين بقدر الله ، صابرين على بلائه .

روى البخاري<sup>(١)</sup> بسنده عن خباب بن الأرت<sup>(٢)</sup> (رضي الله عنه) قال : « أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت يا رسول الله ألا تدعوا الله ، ففعد وهو محمر وجهه ، فقال : لقد كان من قبلكم يمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله و الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون »<sup>(٣)</sup> .

(١) أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم البخاري ، صاحب الجامع الصحيح ، أصح الكتب المصنفة ، ولد في بخارى عام ١٩٤ هـ ، رحل في طلب العلم ، صنف الصحيح في ستة عشر عاماً ، قال : ما وضعت في كتابي حديثاً إلا وقد اغتسلت قبله وصليت ركعتين ، توفي عام ٢٥٦ هـ ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص ٣٩١ .

(٢) خباب بن الأرت بن جندلة التميمي ، من السابقين الأولين ، أول من أظهر إسلامه وعذب عذاباً شديداً ، شهد المشاهد كلها ، توفي عام ٣٧ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج١ ، ص ٤١٦ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص ١١٤ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ج٣ ص ١٣٢٢ ، رقم الحديث ٣٦١٢ ، وكتاب فضائل الصحابة ، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ج٣ ص ١٣٩٨ ، رقم الحديث ٣٨٥٢ .

## ب - الرفق واللين :

قال تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك... الآية ﴾<sup>(١)</sup>.

إن الفظاظة والغلظة تنفر الناس من دين الله ، وتبغض صاحبها إلى الناس ، كما أن الرفق واللين في موضعه ، يجذب الناس إلى دين الله ويرغبهم فيه ، ويحبب صاحبه إلى الناس.

وكان رسول الله ﷺ وهو يبلغ الدعوة إلى الناس يدعو برفق ولين ، ويحث على ذلك. وكان ﷺ - كما في البخاري - ﴿ رحيما رفيقا ﴾<sup>(٢)</sup> وكان يقول : « إن الله عز وجل رفيق يحب الرفق ، ويعطي عليه مالا يعطي على العنف »<sup>(٣)</sup> ويقول - أيضا - : « ألا أخبركم بمن يحرم على النار وبمن تحرم عليه النار : على كل قريب هين سهل »<sup>(٤)</sup>.

وعندما أطل معاذ بن جبل (رضي الله عنه) الصلاة بالناس ، أنكر عليه الرسول ﷺ وقال له : « يامعاذ : أفتان أنت »<sup>(٥)</sup>.

وعندما توالى الهموم والأحزان على النبي ﷺ من صدور الناس عن دعوته لم يتخل عن الرفق ، فقد خيرته ملك الجبال وهو عائد من الطائف مهموما حزينا بين أن يطبق على

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الاذان ، باب من قال ليؤذن في السفر مؤذنا واحدا ، ج١ ص ٢٢٦ ، رقم الحديث ٦٢٨ ، ورواه مسلم ، كتاب المساجد ، باب من أحق بالإمامة ، ج٣ ، ص ١٨١ ، رقم الحديث ٦٧٤ .

(٣) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب فضل الرفق ، ج٨ ، ص ٣٨٣ ، رقم الحديث ٢٥٩٣ ، ورواه أحمد في المسند ج٤ ، ص ٨٧ ، ورواه البخاري بلفظ آخر ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء على المشركين ، ج٥ ، ص ٢٣٤٩ ، رقم الحديث ٦٣٩٥ .

(٤) رواه الترمذي ، كتاب صفة القيامة باب ٤٥ ، ج٤ ، ص ٦٥٤ ، رقم الحديث ٢٤٨٨ ، وصححه الألباني ، انظر : الألباني ، صحيح الترمذي ، أبواب صفة القيامة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ، ج٢ ، ص ٣٠٤ .

(٥) رواه البخاري ، كتاب الاذان ، باب من شكوا إمامه إذا طول ، ج١ ، ص ٢٤٩ ، رقم الحديث ٧٠٥ ، ورواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب القراءة في العشاء ، ج٢ ، ص ٤٢٧ ، رقم الحديث ٤٦٥ .

أهل مكة الأخشبين ، أو يستأني بهم فقال ﷺ : « أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً »<sup>(١)</sup> .

إن الرفق واللين سمة بارزة في دعوته عليه الصلاة والسلام ، والرفق في موضعه قوة للداعية ولدعوته وبه انجذب كثير من الناس إلى دين الله ، وبالغلظة والعنف - في غير موضعهما - انجفل كثير من الناس عن دين الله .

وإذا كان المشركون يقفون من الدعوة مواقف متعددة ، ينوعون فيها هجومهم على الدعوة ، فإن النبي ﷺ لم يترك موقفاً من تلك المواقف إلا ويغرس في نفوس أصحابه ما يناسب ذلك الموقف ، والرفق له نصيبه من ذلك ، روى البخاري بسنده عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : إن يهود أتوا النبي ﷺ فقالوا : السام عليكم ، فقالت عائشة عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم ، وفي رواية قالت : وعليكم السام واللعنة ، فقال رسول الله ﷺ : « مهلاً يا عائشة عليك بالرفق ، وإياك والعنف والفحش »<sup>(٢)</sup> ، وفي رواية لمسلم : « يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله ، قالت : أولم تسمع ما قالوا قال : أولم تسمعي ما قلت ، رددت عليهم فيستجاب لي عليهم ، ولا يستجاب لهم في »<sup>(٣)</sup> .

ولما أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي<sup>(٤)</sup> ، وعاد إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام أبطأوا عليه ، فأنف من ذلك ، فقد كان وجيهاً في قومه وما كان يظن أنهم يلبثون ملياً إذا دعاهم إلى الإسلام حتى يجيبوه ، فلما أبطأوا عليه جاء إلى رسول الله ﷺ بمكة فقال له : يا

(١) رواه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت أحدهما الأخرى ، جـ ٣ ص ١١٨١ ، رقم الحديث ٣٢٣١ ، ورواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والنافقين ، جـ ٦ ، ص ٣٩٧ ، رقم الحديث ١٧٩٥ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ، وباب الرفق في الأمر كله ، جـ ٥ ص ٢٢٤٢ ، ٢٢٤٣ ، رقم الحديثين ٦٠٢٤ ، ٦٠٣٠ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ، جـ ٧ ، ص ٣٩٥ ، رقم الحديث ٢١٦٥ .

(٤) الطفيل بن عمرو الدوسي الأسدي ، كان في الجاهلية شاعراً ليبياً ، أسلم وتبعه قومه ، كان يلقب ذا النور ، أستشهد في اليمامة ، انظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٣ ، ص ٧٩ .

رسول الله إنه قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم ، .. لقد ضاقت نفس الطفيل، ونفذ صبره ، وكره من قومه الاستمرار في الضلالة والانحراف ، فاستعان برسول الله ﷺ ليدعو عليهم، ولكن رسول الله ﷺ لم يستجب له ، فكان يدرك أهمية الرفق في الدعوة ، ويربي أصحابه على ذلك ، ولهذا دعا النبي ﷺ لقومه فقال : « اللهم اهد دوساً وأت بهم »<sup>(١)</sup> .

لقد كانت مواقف النبي ﷺ تتسم بطابع الرفق وهو يبلغ دعوته إلى الناس بكافة طوائفهم مع اختلاف مشاربهم .. ( مؤمنين أو منافقين أو مشركين ) فلم يكن يعنف أحداً ، أو يقسو عليه، وهو يبلغه دعوة الله ، وكان يحض على الرفق ويرغب فيه ويقول : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه »<sup>(٢)</sup> وكان من ثمار ذلك أن بلغت دعوته ﷺ الآفاق واستجاب لدعوته الكثيرون بقلوب تملؤها القناعة والرضى .

(١) رواه البخاري ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء للمشركين ، جـ ٥ ، ص ٢٣٤٩ ، رقم الحديث ٦٣٩٧ ، وانظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ١ ص ٣٨٢ وانظر : د. رؤوف شليبي ، الدعوة الاسلامية في العهد المكي ، ص ٢٥٠ .

(٢) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب فضل الرفق ، جـ ٨ ، ص ٣٨٣ ، رقم الحديث ٢٥٩٤ ، ورواه أبو داود ، كتاب الجهاد ، باب ما جاء في الهجرة ، جـ ٣ ، ص ٣ ، رقم الحديث ٢٤٧٨ .

## الفرع الثاني

### الدعوة إلى الله على بصيرة

إن من المعالم الرئيسية في منهج السنة النبوية في دعوة غير المسلمين ، مباشرة الدعوة إلى الله على بينة وبصيرة قال تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ (١).

هذه الآية أمر للنبي ﷺ أن يخبر الناس أن هذا سبيله أي : طريقه ومسلكه ، وسنته ، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ، ويقين وبرهان ، وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي (٢).

والنبي ﷺ وهو يبلغ دعوة الله إلى الناس كان على بصيرة بالشرع ، وبصيرة بالواقع ، ولم يبلغ دعوة الله جزافا ، ومما يبين ذلك ما يلي :

#### ١ - التيسير في الدعوة :

إن التيسير هو طبيعة هذا الدين ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه كما في الحديث الذي رواه البخاري بسنده أن النبي ﷺ قال : « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشيء من الدلجة » (٣) ، إن هذا الدين لم يأت ليضع الآصار والأغلال في أعناق أتباعه بل جاء ليضعها عنهم ويكلفهم من العمل ما يطيقون ، وفي أحكام الله وتشريعاته من اليسر والسهولة ما هو ظاهر ، قال تعالى :

(١) سورة يوسف : الآية ١٠٨ .

(٢) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ص ٥٤٣ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر جـ ١ ص ٢٣ ، رقم الحديث ٣٩ .

﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾<sup>(٢)</sup> ، وفي الإسلام من الرخص والتيسير على أهل الأعذار ما هو ظاهر .

وجاء في الإسلام النهي عن التكلف والتطوع والغلو ، قال تعالى : ﴿ قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾<sup>(٣)</sup> ، وقال ﷺ : « هلك المتطعون »<sup>(٤)</sup> ، قال النووي : « أي المتعمقون المشددون في غير موضع التشديد »<sup>(٥)</sup> وقال ﷺ محذرا أمته : « إياكم والغلو في الدين »<sup>(٦)</sup> .

وعندما بعث النبي ﷺ معاذًا وأبا موسى الأشعري إلى اليمن قال لهما : « يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطوعا ولا تختلفا »<sup>(٧)</sup> ، فلم يكتف ﷺ بالأمر بالتيسير والتبشير والتطوع حتى ضم إليه النهي عن ضده من التعسير والتنفير والاختلاف .

وكان ﷺ يأمر بالتيسير في الأمور كلها ويلتزم عمليا بما يأمر به الآخرين لا سيما في دعوة الناس إلى الإسلام وترغيبهم فيه .

(١) سورة الحج : الآية ٧٨ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

(٣) سورة ص : الآية ٨٦ .

(٤) رواه مسلم ، كتاب العلم ، باب هلك المتطعون ، ج٨ ، ص ٤٦١ ، رقم الحديث ٢٦٧٠ ، ورواه أبو داود ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ، ج٤ ، ص ٢٠١ ، رقم الحديث ٤٦٠٩ .

(٥) أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، ترجم له السيوطي والسخاوي تراجم مستقلة ، له مصنفات عديدة في الفقه والحديث منها : المجموع شرح المذهب ، شرح صحيح مسلم ، توفي بنوى عام ٦٧٦ هـ ، انظر : ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٥ ، ص ٣٥٤ .

(٦) النووي ، رياض الصالحين ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١٤٠٨ هـ ص ١٢٨ .

(٧) رواه أحمد في المسند ، ج١ ، ص ٢١٥ - ٣٤٧ ، ورواه النسائي ، كتاب المناسك ، باب التقاط الحصى ، ج٥ ، ص ٢٦٨ ، ورواه ابن ماجه ، كتاب المناسك ، باب قدر حصي الرمي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، بدون ، ج٢ ، ص ١٠٠٨ ، وصححه الألباني ، انظر : الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، الدار السلفية ، الكويت ، ط ١ ، ج٢ ، ص ٢٧٨ .

(٨) رواه البخاري ، وتقديم تخريجه ص ٤٠ .



وكان للتيسير موضعه في جميع مراحل دعوته ﷺ ، فعندما يدعو إلى توحيد الله تجد السهولة الواضحة في عرض التوحيد وتجد البعد عن التكلف ، فهو « يلفت أنظار المدعويين إلى ملكوت السماوات والأرض ، ويوقظ عقولهم إلى التفكير في آيات الله ونظام الكون البديع ، وينبه فطرهم إلى ما غرس فيها من إيمان »<sup>(١)</sup> ، ويدعوهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة ، وأن يتخلصوا من الشرك وعبادة الأوثان ، فكان وضوح الهدف وسهولة العرض سببا في إسلام من أسلم من الصحابة (رضي الله عنهم) .

وكان ﷺ يوجز دعوته في كلام يسير يفهمه العامة والخاصة ، وعندما كانت الوفود تقدم على النبي ﷺ ، لم يكن يحبسهم طويلا حتى يملأ عقولهم بحذافير الشريعة « بل كان يكفي بأن يعلمهم قواعد الإسلام والطهارة وبعض السور من القرآن ثم يطلق سراحهم إلى أهلهم ليدعوا غيرهم ، هذا الذي يتفق مع التيسير في الدعوة والتبشير بها وعدم التنفير عنها»<sup>(٢)</sup> ، وهذا المنهج النبوي في التيسير في الدعوة هو الذي أخذ به الصحابة (رضي الله عنهم)<sup>(٣)</sup> .

روى البخاري بسنده عن الأزرق بن قيس<sup>(٤)</sup> قال : كنا بالأهواز نقاتل الحرورية ، فبينما أنا على جرف نهر إذا رجل يصلي وإذا لجام دابته بيده ، فجعلت الدابة تنازعه ، وجعل يتبعها - قال شعبة<sup>(٥)</sup> - هو أبو برزة الأسلمي<sup>(٦)</sup> - فجعل رجل من الخوارج يقول

(١) جمعة عبد العزيز ، منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام ، ص ٤٣ .

(٢) آدم الألوي ، تاريخ الدعوة إلى الله ، ص ١٧٣ .

(٣) قد يلتبس على البعض أن الرفق والتيسير أمر واحد ، وهما وإن كان بينهما ارتباط ، إلا أن الرفق يكون بالمدعو والتيسير يكون في موضوع الدعوة .

(٤) الأزرق بن قيس الحارثي البصري ، قال ابن حجر : ثقة ، مات بعد العشرين ومائة ، انظر : ابن حجر ، تقريب التهذيب ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج١ ، ص ٥١ .

(٥) شعبة بن الحجاج بن الورد ، الإمام الحافظ أمير المؤمنين في الحديث ، توفي بالبصرة عام ١٦٠ هـ ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٧ ، ص ٢٠٢ .

(٦) أبو برزة الأسلمي ، صحابي اختلف في اسمه واسم أبيه ، قال ابن الأثير : أصح ما قيل فيه فضلة بن عبيد ، قاله أحمد بن حنبل ، وابن معين ، توفي بالبصرة عام ٦٠ هـ ، انظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٦ ، ص ٣٢ .

اللهم افعل بهذا الشيخ ، فلما انصرف الشيخ قال : إني سمعت قولكم ، واني غزوت مع رسول الله ﷺ ست غزوات أو سبع غزوات أو ثمان ، وشهدت تيسيره ، واني إن كنت أن أرجع مع دابتي أحب إلي من أن أدعها ترجع إلي مالفها فيشق علي<sup>(١)</sup> .

إن من يرفض التيسير في الدعوة الذي هو من طبيعة هذا الدين يؤول مصيره إلى هذا الخارج الذي دعا على أبي برزة الأسلمي وهو من صحابة رسول الله ﷺ ، ولم يكن الاختلاف والتفرق في هذه الأمة إلا من ترك التيسير في الدين ، واللجوء إلى التشديد والغلو في الدين ، وقد كان منهج النبي ﷺ اختيار الأيسر على أمته ، قالت عائشة (رضي الله عنها) : «ماخير رسول الله ﷺ بين أمرين أحدهما أيسر من الآخر ، إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما ، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه<sup>(٢)</sup>» .

### ٣ - اليقين والثقة :

وإذا كان الصبر له منزلته العظمى في دعوة النبي ﷺ فإن اليقين قرينه في المنزلة ، والأنبياء (عليهم السلام) لهم الحظ الأوفر من ذلك ، والذين خلفوا الأنبياء في تبليغ الدعوة من العلماء والأئمة لم يحملوا هذه الدعوة إلا بالصبر واليقين قال تعالى : ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾<sup>(٣)</sup> ، قال الإمام ابن كثير : « بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين »<sup>(٤)</sup> .

وعندما بدأ النبي ﷺ دعوته في قريش سلك معه كبار قومه ووجهائهم عدة محاولات لثنيه عن دعوته ، فأغروه بكل ما يستطيعون من مال وجاه ومنصب فما

(١) صحيح البخاري ، أبواب العمل في الصلاة ، باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة جـ ١ ص ٤٠٥ ، رقم الحديث ١٢١١ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا ، جـ ٥ ، ص ٢٢٦٩ ، رقم الحديث ٦١٢٦ ، ورواه مسلم كتاب الفضائل باب مبادئه ﷺ للأئمة واختياره من المباح أسهله ، جـ ٨ ، ص ٩٠ ، رقم الحديث ٢٣٢٧ .

(٣) سورة السجدة : الآية ٢٤ .

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ٥١٠ .

استطاعوا أن يصدوه عن دعوته بذلك ، وتجلّى يقينه بالله وثقته بدعوته عندما طلب منه عمه أبو طالب أن يكف عن دعوة قريش ، فقال له : « والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار »<sup>(١)</sup> .

إن اليقين في حياة الداعية هو روح دعوته ، « ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نوراً وإشراقاً ، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط ، وهم وغم ، فامتلاً محبة لله وخوفاً منه ، ورضى به وشكراً له ، وتوكلاً عليه وإنابة له »<sup>(٢)</sup> .

ومن قوي يقينه بالله حصل له من الأنس بالدعوة مالا يحصل لغيره ومع اليقين تكون الثقة عند الداعية ، ثقة الداعية بالله وبنصره وتأييده قال تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾<sup>(٣)</sup> ، والثقة إنما تكون بعد بذل الجهود ، والنبي ﷺ عندما هاجر من مكة مع صاحبه أبي بكر ، بذل ما في وسعه من أسباب لتضليل المشركين كي لا يصلوا إليه ، ولما لحقوا به ووصلوا إلى الغار خشي أبو بكر (رضي الله عنه) أن يصلوا إلى رسول الله ﷺ فقال له الرسول ﷺ في ذلك الموطن : ﴿ لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ﴾<sup>(٤)</sup> .

ومن الثقة واليقين يكون التسليم لحكم الله وقدره ، والتسليم « هو محض الصديقية

(١) الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، كتاب المغازي والسير ، باب تبليغ النبي ﷺ ما أرسل به وصره على ذلك ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢هـ ، ج ٦ ، ص ٩ ، قال الهيثمي : رواه أبو يعلى ورجال أبي يعلى رجال الصحيح ، وحسنه الألباني ، انظر : الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ج ١ ، ص ١٤٧ ، رقم الحديث ٩٢ ، وانظر : الغزالي ، فقه السيرة ، بتحقيق الألباني ، ص ١١٠ .

(٢) ابن القيم ، مدارج السالكين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٣هـ ، ج ٢ ، ص ٣٩٨ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٧٣ .

(٤) سورة التوبة : الآية ٤٠ .

التي هي بعد درجة النبوة ، وأكمل الناس تسليماً أكملهم صديقية ،<sup>(١)</sup> ، ولذلك كان الصديق (رضي الله عنه) أكثر الصحابة ثقة بالله وبقينا به ، فأمن برسول الله وصدقته وأنفق ماله كله في سبيل الله ، ووقف موقفه العظيم بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فكان أول المبشرين بالجنة ، وأفضل هذه الأمة بعد رسولها ﷺ .

وإذا كان للنبي ﷺ قدر عظيم من الثقة بالله وبما يدعو إليه ، فإن المجتمع الذي كان يعيش فيه لم يساوره شك في صدق دعوته وصحة نبوته .

إن قريشاً كلها كانت تثق برسول الله ﷺ قبل نبوته وبعدها ، فهو الذي ارتضوه لوضع الحجر الأسود عندما اختلفوا في وضعه ، وهو الذي لقبوه بالأمين وكانت ودائعهم عنده حتى قبل هجرته إلى المدينة ، فأبقى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يرد عليهم ودائعهم ، ولم تنته ثقفتهم به أبداً حتى « مع الحروب التي أثاروها على الدعوة بعد الهجرة فما زالوا في قرارة أنفسهم يعتقدون أنه صادق وأنه أمين وأنه على الحق »<sup>(٢)</sup> .

ومما يشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقد ذكر ابن جرير<sup>(٤)</sup> عند تفسير هذه الآية هذه المحاور التي جرت بين اثنين من أشد أعداء الدعوة فقد لقي الأخنس بن شريق<sup>(٥)</sup> أبا جهل يوم بدر فقال : يا أبا الحكم أخبرني عن محمد صادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس

(١) ابن القيم ، مدارج السالكين ، جـ٢ ، ص ١٥٠ .

(٢) د. رؤوف شلبي ، الدعوة الإسلامية في العهد المكي ، ص ١٨٠ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ٣٣ .

(٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، من أئمة التفسير ، استوطن بغداد ، قال الذهبي : كان مجتهداً لا يقلد أحداً ، له جامع البيان في تفسير القرآن وتاريخ الأمم والملوك ، توفي عام ٣١٠ هـ ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٤ ، ص ٢٦٧ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ٢ ، ص ٢٦٠ .

(٥) الأخنس بن شريق الثقفي ، هو أبي بن شريق ، ويعرف بـ الأخنس ، له صحبة أعطاه رسول الله ﷺ مع المؤلفات لقلبهم ، توفي أول خلافة عمر ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ١ ، ص ٣٩ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ١ ، ص ٦٠ .

ههنا غيري وغيرك فقال له : والله إن محمداً لصادق وما كذب محمد قط<sup>(١)</sup> .

فهذا أبو جهل من أكبر خصوم الدعوة أتى بعدد من المؤكدات ، من القسم وحرف التأكيد « إن » وحرف اللام والجملة الاسمية ، ولم يكتف بذلك بل نفى عنه الكذب أيضاً ، وهو ما يؤكد اعتقاده الجازم بصدق رسول الله ﷺ ، ولكن صده الكبر والعناد عن الإيمان ، قال تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾<sup>(٢)</sup> ، لقد كانت ثقة المجتمع برسول الله ﷺ « مبنية على وضوح في سلوكه ومعرفة تامة بأخلاقه ، ومعاملة مستمرة تظهر في كل يوم جميل خلقه ، ونفيس صدقه ، وعظيم وفائه ، ورفيع عطفه ، وشفقته على الناس »<sup>(٣)</sup> .

إن ثقة المجتمع بالنبي ﷺ كانت من أكبر دعائم دعوته وكانت ثقة المدعويين به من أكبر الوسائل في إقناعهم وقبولهم للدعوة ، وعندما تهتز ثقة المدعويين بالداعية أو تضعف تكون استجابتهم له محدودة .

### ٣ - التدرج في الدعوة

روى البخاري بسنده عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : « إنما نزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبداً ولو نزل لا تزنوا لقالوا : لا ندع الزنا أبداً »<sup>(٤)</sup> . لقد سلك رسول الله ﷺ الطريق العملي إلى القلوب والعقول ، فتدرج بالمدعويين مرحلة بعد مرحلة ، وخطوة بعدة خطوة ، دعاهم إلى العقيدة

(١) انظر : ابن جرير ، جامع البيان ، جـ ٧ ص ١٨٢ ، وأبو جهل هو عمرو بن هشام ، من صناديد قريش ، ومن أشد الناس عداوة للنبي ﷺ ولدعوته ، قتل يوم بدر ، قتله ابنا عفراء وأجهز عليه عبد الله بن مسعود ، انظر : البخاري ، كتاب المغازي ، باب قتل أبي جهل ، رقم الحديث ٣٩٦١ ، وانظر : ابن حجر ، فتح الباري ، جـ ٧ ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

(٢) سورة النمل : الآية ١٤ .

(٣) د. رؤوف شلي ، الدعوة الإسلامية في العهد المكّي ، ص ١٨١ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن ، جـ ٤ ، ص ١٩١٠ ، رقم الحديث ٤٩٩٣ .

أولا ، وأفرغ همه في ذلك لأنها الأساس وركيزة البناء الأول .

وجاء القرآن المكّي « يتحدث عن الله عز وجل ، وصفاته ، وآلانه ونعمه ، وآياته المشوثة في الكون ، وعن خلقه وتدبيره ، وعن إحاطته وعلمه وهيمنته ، وعن وجوب الإيمان به ، والاستعداد للقائه ، وعن البعث والحساب ، والجنة والنار »<sup>(١)</sup> .  
وفي المدينة نزلت آيات الأحكام تنظم المجتمع وتبني قواعده على أساس من تلك العقيدة .

والذين لا يعرفون هذه الحقيقة الهامة « يظنون أن القرآن كله نزل دفعة واحدة فلا بد من تنفيذه تماما في يوم واحد »<sup>(٢)</sup> ، والأنبياء الكرام (عليهم السلام) لا يسلكون هذا الطريق في تبليغ الدين ، بل يختارون الترتيب الحكيم الطبيعي في ذلك ، « فالعقائد مثلا لا تقبل التدرج ، لأن العقيدة تقوم على اعتبار الشيء حقا أو باطلا وهذا لا يصح التدرج فيه »<sup>(٣)</sup> .

إن قضايا العقيدة وأصول الملة والديانة تأتي في المقام الأول في دعوات الرسل ، فهي إن لم تصح في العبد فلن يجدي فيه الصنيع الحسن والعمل الطيب ، قال تعالى :  
﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) د. أحمد العسال ، الإسلام وبناء المجتمع ، ص ٩٣ .

(٢) أمين إصلاحي ، منهج الدعوة إلى الله ، ص ٥٥ .

(٣) د. يوسف أبو هلاله ، التدرج بين التشريع والدعوة ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ ، ص ٨ .

(٤) انظر : د. صالح الحميد ، مفهوم الحكمة في الدعوة ، دار الوطن ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ ، ص ١٢٩ ، والآية من سورة الكهف : الآيات ١٠٣ - ١٠٥ .

وهذا التدرج في الدعوة لا يتعلق بطبيعة الحال بكليات الدين وأساسه فلا مجال للتدرج في التوحيد وافراد الله بالعبادة ، فلقد رفض رسول الله ﷺ طلب المشركين حين عرضوا عليه أن يعبد أوثانهم سنة ويعبدون معبوده سنة ، فأنزل الله سورة (الكافرون) ، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية قال تعالى : ﴿ قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين ﴾<sup>(١)</sup> .

وكذلك عندما سأل وفد ثقيف أن يبقى رسول الله ﷺ لهم اللات لا يهدمها ثلاث سنين ، أبى رسول الله ﷺ ذلك ، فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم ، حتى سألوا شهراً واحداً بعد مقدمهم فأبى عليهم أن يدعها لهم شيئاً مسمى ، وأبى إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب<sup>(٢)</sup> والمغيرة بن شعبة<sup>(٣)</sup> فهدهماها .

كما سأله أن يعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال ﷺ : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه<sup>(٤)</sup> .  
إن في الدعوة « كليات وجزئيات ، وواجبات ومستحبات ، ومحرمات ومكروهات وقضايا كبرى وصغرى ، كل يجب أن تعرف مواقعها ، وتوضع في مواضعها »<sup>(٥)</sup> .

وعندما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له : « إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى ، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن

(١) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٤ ، ص ٥٩٦ ، والآيات من سورة الكافرون .

(٢) صخر بن حرب بن أمية ، القرشي الأموي ، أسلم عام الفتح ، وشهد حنين والطائف ، كان من المؤلفة قلوبهم ، وحسن إسلامهم ، توفي عام ٣٤ هـ في خلافة عثمان بن عفان ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٢ ، ص ١٧٢ .

(٣) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي ، أسلم قبل عمرة الحديبية ، من دهاة العرب ، كان يقال له مغيرة الرأي ، شهد اليمامة وفتح الشام والعراق ، توفي عام ٥٠ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٣ ، ص ٤٣٢ .

(٤) انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ٥٤٠ .

(٥) د. صالح الحميد ، مفهوم الحكمة في الدعوة ، ص ٣٠ .

الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم ، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم ، وتوق كرائم أموال الناس »<sup>(١)</sup> ، فالنبي ﷺ أمر معاذاً أن يتدرج في دعوة الناس ، فإذا وصل بهم إلى مرحلة بدأ بدعوتهم إلى المرحلة التي تليها ، وهذا هو الذي سلكه الرسول ﷺ في دعوته لغير المسلمين ، وهذا ما يسر عليهم قبول الدعوة ، وربما تعسر عليهم قبولها بغير هذا السيل .

قال الإمام النووي : « وقد كانت أمور الاسلام في التكليف على التدرج فمتى يسر على الداخل في الطاعة أو المرید الدخول فيها سهلت عليه وكانت عاقبته غالباً التزايد فيها ، ومتى عسرت عليه أوشك أن لا يدخل فيها ، وإن دخل أوشك أن لا يدوم أو لا يستحليها »<sup>(٢)</sup> ، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى : « وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه .. الحديث » قال ابن أبي جمرة<sup>(٣)</sup> : في هذا إشارة إلى التربية بالتدرج ومنع الأخذ بالقوة أولاً في التعبدات من نوافل الليل والنهار وغير ذلك ؛ لأن من يأخذ بذلك في بداءة أمره يغلبه الدين بالضرورة لقلة الرياضة<sup>(٤)</sup> .

إن السير بالمدعو من غير المسلمين على هدي وصية النبي ﷺ لمعاذ - من الدعوة إلى أركان الدين أولاً ، فإذا ما آمن بها المدعو وعمل بها دعي إلى غيرها من الواجبات والمستحبات - هو الذي يسر قبول الدعوة والإيمان بها .

- (١) رواه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، ج٦ ، ص ٢٦٨٥ ، رقم الحديث ٧٣٧٢ ، ورواه أيضاً في كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، بلفظ آخر ، ج٢ ، ص ٥٢٩ رقم الحديث ١٣٩٥ ، ورواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، ج١ ، ص ٣١٠ ، رقم الحديث ١٩ .
- (٢) النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج٦ ، ص ٢٨٥ .
- (٣) أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الملك الأندلسي ، له عدة مصنفات منها شرح مختصر البخاري ، توفي عام ٥٩٩ هـ ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢١ ، ص ٣٩٨ .
- (٤) انظر : ابن أبي جمرة ، بهجة النفوس ، شرح مختصر صحيح البخاري ، دار الجليل ، بيروت ، ط٣ ، بدون تاريخ ، ج١ ، ص ٧٥ ، والحديث رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، ج٥ ، ص ٢٣٨٥ ، رقم الحديث ٦٥٠٢ .



## ٤ - الاختيار

الدعوة الإسلامية تحتاج دائماً إلى قلوب تحمل هديها ، وإلى عقول تفهم أسرارها ومقاصدها ، وإلى نفوس تبذل كل ما في وسعها لإيصالها إلى الناس ، ولا تدخر في سبيل ذلك شيئا من جهدها أو وقتها أو مالها أو جاهها .

ولذلك كانت الدعوة دوماً تحتاج إلى الوجهاء والرؤساء ، وقد حصل للمسلمين عزة من بعد إسلام عمر<sup>(١)</sup> (رضي الله عنه) ، وازدادت الدعوة من بعده قوة ، بل إن النبي ﷺ قد سأل ربه أن يسلم قال ﷺ : « اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل ، أو بعمر بن الخطاب »<sup>(٢)</sup> ، وكان ابن مسعود<sup>(٣)</sup> (رضي الله عنه) يقول : « مازلنا أعزة منذ أسلم عمر »<sup>(٤)</sup> ، ومن هنا كان منهج الاختيار للمدعوين واضحاً في دعوات الرسل (عليهم السلام) . « وفي ضوء التاريخ الذي عرضه علينا القرآن ، نرى أن الأنبياء إنما يخاطبون أولاً سراة قومهم ووجهاءهم ، ويتخذون إصلاحهم وسيلة لإصلاح الجمهور »<sup>(٥)</sup> .

لقد بدأ إبراهيم (عليه السلام) دعوته بأسرته التي كانت لها الزعامة الدينية ، ثم دعا الملك الذي كان يزعم أنه يحيي ويميت ، قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال

(١) الخليفة الراشد ، عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، أبو حفص ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، أول من وضع التاريخ الهجري واتخذ بيت المال ، توفي عام ٢٣ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٢ ، ص ٥١١ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ١٤٥ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ، جـ ٢ ، ص ٩٥ ، وراه الترمذي ، كتاب المناقب ، باب في مناقب عمر بن الخطاب ، جـ ٥ ، ص ٦١٧ ، رقم الحديث ٣٦٨١ ، وصححه الألباني ، انظر : الألباني ، صحيح الترمذي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ، جـ ٣ ، ص ٢٠٤ .

(٣) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي ، أسلم قديماً وهاجر الهجرتين ، شهد بدرًا والمشاهد بعدها ، كان صاحب نعلي رسول الله ﷺ ، وروى عنه كثيراً ، توفي عام ٣٢ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٢ ، ص ٣٦١ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب إسلام عمر بن الخطاب ، جـ ٣ ، ص ١٤٠١ ، رقم الحديث ٣٨٦٣ .

(٥) أمين إصلاحي ، منهج الدعوة إلى الله ، ص ٣٤ .

إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين»<sup>(١)</sup> ، كما أن موسى (عليه السلام) أمر أن يخاطب فرعون أولاً ، قال تعالى : « اذهب إلى فرعون إنه طغى »<sup>(٢)</sup> .

وعندما بعث الله محمداً ﷺ أمره بإنذار الأقربين من عشيرته ، الذين كانوا أقرب الناس إليه ، وكان بعد ذلك يدعو رؤساء القبائل ووجهاءهم ، ومن بعد ذلك وجه رسائله إلى ملوك العالم<sup>(٣)</sup> .

إن هذا المنهج الذي سلكه الأنبياء (عليهم السلام) كانوا يتطلعون من ورائه إلى إسلام الكل عن طريق إسلام البعض ، ويؤيد ذلك ما رواه أبو هريرة<sup>(٤)</sup> ، عن النبي ﷺ قال : « لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود »<sup>(٥)</sup> .

قال الحافظ ابن حجر : « والذي يظهر أنهم الذين كانوا حينئذ رؤساء في اليهود ومن عداهم كان تبعاً لهم »<sup>(٦)</sup> .

ويؤيد ما ذكره ابن حجر (رحمه الله) ما رواه الطبري بسنده عن ابن عباس<sup>(٧)</sup> (رضي الله عنهما) ، قال : كلم رسول الله ﷺ رؤساء من أحيار يهود منهم عبد الله بن سوريا ، وكعب ابن أسد فقال لهم : « يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فوالله إنكم لتعلمون أن الذي

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٨ .

(٢) سورة النازعات : الآية ١٧ .

(٣) انظر : أمين إصلاحي ، منهج الدعوة إلى الله ، ص ٣٤ .

(٤) عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، اختلف في اسمه ، قدم المدينة عام خيبر فأسلم ولزم النبي ﷺ ، من أكثر من روى عن النبي ﷺ ، له ٥٣٧٤ حديثاً ، توفي عام ٥٩ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٤ ، ص ٣٠٠ .

(٥) رواه البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة ، ج ٣ ، ص ١٤٣٤ ، رقم الحديث ٣٩٤١ ، ورواه مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب نزل أهل الجنة ، ج ٩ ، ص ١٤٢ ، رقم الحديث ٢٧٩٣ .

(٦) ابن حجر ، فتح الباري ، ج ٦ ، ص ٢٧٥ .

(٧) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، جبر الأمة وترجمان القرآن ، ولد بمكة ، روى كثيراً عن رسول الله ﷺ ، له ١٦٦٠ حديثاً ، توفي عام ٦٨ هـ ، انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ .

جنتكم به الحق» (١).

إن هذا السبب ، يبدو هو الرئيسي في خطاب الأنبياء لعلية القوم ، ذلك أن العامة يتبعون الكبراء والخاصة في الأخلاق والعمل ، والسلوك والعادات ، كما أن هناك أسباباً أخرى منها :

أ - أن الأنبياء لا يتعصبون ضد الطبقة العليا كما أنهم لا يحتقرون الطبقة السفلى ، ولكنهم يقدمون إصلاح الطبقة العليا لأنها تعدي أمراضها إلى غيرها ، فيهتمون بعلاجها قبل أي طبقة ليسهل كل علاج بعدها .

ب - أن الطبقة العليا في المجتمع تتمتع بالسمو الفكري غالباً ، فإذا ضاعت هذه الطبقة خسر المجتمع قوة كبيرة .

ج - أن هذه الطبقة تتميز بالاعتبار المادي ، والقوة المادية ستصرف إلى تأييد الحق ودعم الدعوة إذا أسلم أصحابها (٢) .

د - أن أصحاب هذه الطبقة إن لم يسلموا ويهتدوا ويتبعوا ويؤمنوا بدعوة الأنبياء قادوا - على الفور - حملة المعارضة الشديدة وأداروا مع الأنبياء حوار الجدل بالباطل ليدحضوا به الحق .

هـ - أن متابعة من يدخلون في الإسلام أهمية خاصة في حماية الدعوة من جانب وحماية المجتمع من جانب آخر (٣) ، ولذلك فإن الاختيار للعناصر المؤثرة في المجتمع يثمر في عملية المتابعة لأن هذه العناصر غالباً تتحمل جزءاً كبيراً من متابعة المدعوين .

(١) ابن جرير الطبري ، جامع البيان ، جـ ٥ ، ص ١٢٤ ، وأصله في صحيح مسلم برواية أبي هريرة قال : « بينا نحن في المسجد إذ خرج إلينا رسول الله ﷺ ، فقال : انطلقوا إلى يهود ، فخرجنا معه حتى جئناهم ، فقام رسول الله ﷺ فناداهم فقال : يا معشر يهود أسلموا تسلموا ، فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم ..... الحديث ، انظر صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب إجلاء اليهود من الحجاز ، جـ ٦ ، ص ٣٣٣ ، رقم الحديث ١٧٦٥ .

(٢) انظر : أمين إصلاحي ، منهج الدعوة إلى الله ، ص ٣٧ - ٤٣ .

(٣) انظر : د. رؤوف شلبي ، الدعوة الإسلامية في عهدها المدني ، دار القلم ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ، ص ٥٠١ .

## ٥ - فهم بيئة المدعوين .

كان الأنبياء (عليهم السلام) ينطلقون في دعوتهم من البيئة التي يعيشون فيها ، وكانوا على معرفة تامة بما يجري حولهم ، ولم تكن الحدود الجغرافية تحول بينهم وبين تخطيها، فتجاوزت معرفتهم إلى أمكنة لم يصلوا إليها ، وكان لهم من الفطنة ما يستوعبون به الماضي والحاضر على نور من وحي الله ، ويستخرون ذلك كله لخدمة دعوتهم .

« لقد تعرف النبي ﷺ على طبيعة المجتمع - في مكة - بأسلوب المخالطة والاشترك وهو نمط أقوى في إدراك حقائق الأمور من الدراسات المستعجلة التي يحاول إتقانها الأخصائيون في العصر الحديث »<sup>(١)</sup>.

كما عاش النبي ﷺ مع المجتمع الذي سينقل إليه الدعوة عيشة المستوعب لثقافة البيئة دون أن ينغمس في حياة المجتمع واتجاهاته التي تؤثر مستقبلا عليه ، فهو لم يغفل عنها ولم ينغمس فيها ، بل عاش حياة المجتمع الفاضلة فكان راعيا للغنم عند قريش على قراريط، وكان تاجرا معهم في السوق ، وكان قاضيا لهم في مدلهمات الأمور عند وضع الحجر الأسود ، واشترك معهم في حلف الفضول ، وشهد معهم حرب الفجار .

لقد عاش النبي صلى الله عليه وسلم مع قريش الحياة الاجتماعية في مستواها العفيف، وعاش معهم الحياة السياسية في مستواها العادل الواضح ، وعاش معهم الحياة الاقتصادية في مستواها الأمين الحلال ، ومع هذا فما سجد لصنم قط ، ولا حلف باللات والعزى ، ولا احتفل بعيد لهم ، ولا شرب لهم خمرا ، ولا طعم لهم ذبيحة ذبحوها على النصب ، لقد عصمه الله عز وجل عن ذلك كله منذ اختاره لهداية الناس<sup>(٢)</sup>.

وكانت لدى رسول الله ﷺ معرفة كاملة بالجانب الرفيع من ثقافة المجتمع ، كما كان لديه حصانة فطرية لا ينجذب معها إلى ثقافة لا تتفق مع سويته التي خلق بها ليكون

(١) د. رؤوف شلبي ، الدعوة الإسلامية في العهد المكي ، ص ١٩٠ ، بتصرف يسير .

(٢) المرجع السابق ص ١٩١ ، بتصرف .

للعالمين نذيرا ، فهو لم يندمج كليا فيغامس حياة المجتمع كلها ، ولم يتعزل عنها فيجهلها كلها<sup>(١)</sup>.

وعندما بدأ النبي ﷺ دعوته استخدم جميع الطرق والأسباب التي كانت سائدة في عصره إذا رآها تعين على بث الدعوة ، ولم ير منها ما يخالف مبادئ الأخلاق ، أو يناقض عقيدة التوحيد ، ومن ذلك تنظيمه في بدء الدعوة لمأدبة دعا فيها جميع آل عبد المطلب ثم عرض عليهم دعوته من خلالها ، وكذلك ذهب إلى رؤساء مكة في موسم الحج وعرض عليهم دعوة الإسلام ، وبعث إلى بعض الأعيان سفراءه ، وكان ينتهز فرصة انعقاد أسواق العرب فيتردد إليها يعرض دعوته<sup>(٢)</sup>.

كما استخدم طريقة المراسلة ووجه إلى كثير من الملوك رسائل يعرفهم فيها بدعوة الإسلام ، ويدعوهم إلى توحيد الله .

وحيث إن النبي ﷺ بعث إلى الناس كافة ورسالته لم تكن محدودة بزمان أو مكان ، فقد كان ﷺ على بصيرة بما حوله من المجتمعات .

فمن ذلك أنه لما ضاقت الأرض على المسلمين في مكة ؛ بسبب أذى قريش لهم أمرهم النبي ﷺ أن يهاجروا إلى الحبشة ، وأخبرهم أن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد .

ومن ذلك أيضا أنه لما عاد من الطائف بعد أن عرض عليهم دعوته وقابلوه بالرفض لقي في دعوته عداسا<sup>(٣)</sup> ، غلام عتبة بن ربيعة<sup>(٤)</sup> ، فلما أخبره أنه نصراني من أهل نينوى قال رسول الله ﷺ : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس : وما يدريك ما

(١) د . رؤوف شلبي ، الدعوة الإسلامية في العهد المكي ، ص ١٩٢ ، بتصرف .

(٢) انظر : أمين إصلاحي ، منهج الدعوة إلى الله ، ص ٥٩ ، ٦٠ .

(٣) مولى شيبه بن ربيعة ، كان نصرانيا فأسلم ، له ذكر في صفة النبي ﷺ ، توفي في السنة الثانية من الهجرة ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٢ ، ص ٤٦٠ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٤ ، ص ٤ .

(٤) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي ، كان من صناديد قريش ، قتل يوم بدر ، قتله عبيدة بن الحارث وأجهز عليه علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب ، انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٢٦٤ ، ص ٢٩٤ ، ص ٦٢٥ .

يونس بن متى ؟ قال : ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي ، فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه وقدميه<sup>(١)</sup> .

ومن جوانب اهتمام النبي ﷺ بواقع عصره أنه لم يكن يهمل الجانب المظهري في الدعوة ، فكان ﷺ إذا قدمت الوفود عليه لبس أحسن ثيابه وأجملها وأمر أصحابه بذلك . ومع الاهتمام بالهيئة كان ﷺ يهتم بالتنظيم - أيضا - ويظهر ذلك مع غير المسلمين الذين يفدون عليه ، فكان استقبالهم وعرض الإسلام عليهم يتم في مكان معين وفق ترتيب وتنظيم معين فمن ذلك :

أ - نزولهم في دار الضيافة .

ب - تحديد موعد لاستقبال النبي ﷺ .

ج - تحديد من يقوم بالخطابة والشعر من الصحابة .

د - تقديم الهدية<sup>(٢)</sup> .

وقد كان لهذا التنظيم والترتيب والاهتمام بالواقع أثره الكبير فأسلم أكثر الوفود .

(١) انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص ٤٢١ .

(٢) انظر : د. رؤوف شلبي ، الدعوة الإسلامية في العهد المدني ، ص ٤٨٧ ، ص ٤٩٥ .

## ٦ - منهج المخاطبة :

تعد المخاطبة المحور الأساس في دعوة الأنبياء (عليهم السلام) ، وقد عرض القرآن الكريم لطريقة الأنبياء في مخاطبة أقوامهم . كما اشتملت السنة وكتب السيرة على توجيهات نبوية ، وعرض لمواقف عديدة ، تبين المنهج النبوي في مخاطبة المدعوين . ومن أبرز السمات التي ميزت خطاب الأنبياء (عليهم السلام) في القرآن الكريم والسنة المطهرة ما يلي<sup>(١)</sup> :

أ - أن الأنبياء كانوا يخاطبون أقوامهم بالدعوة بلغتهم ، قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾<sup>(٢)</sup> وكذلك كانوا يختارون لدعوتهم عند الحاجة من بينها أجمل بيان وأفصح ، قال تعالى : ﴿ وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني ﴾<sup>(٣)</sup> ، وكان النبي ﷺ يختار لبعث رسائله وكتبه من يناسب للقوم الموجه إليهم ، ومصداق ذلك ما حكم به المقوقس -عظيم القبط في مصر- بعد أن جرى بينه وبين حاطب بن أبي بلتعة<sup>(٤)</sup> حوار غلب فيه حاطب ، فقال له المقوقس : «أحسنت أنت حكيم من عند حكيم»<sup>(٥)</sup> ، بل لقد تعلم كل مبعوث لغة البلد التي سيسافر إليها قال ابن سعد<sup>(٦)</sup> : « وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين

(١) اقتبست هذه السمات من كتاب أمين إصلاحي ، منهج الدعوة إلى الله ، ص ٦٩ - ٧٦ « بتصرف » .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

(٣) سورة القصص : الآية ٣٤ .

(٤) حاطب بن أبي بلتعة اللخمي ، صحابي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، كان من أشد الرماة وله تجارة واسعة ، توفي عام ٣٠ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ١ ، ص ٤٣١ .

(٥) انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار بيروت ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ ، ج ١ ، ص ٢٦٠ .

(٦) محمد بن سعد الزهري ، المؤرخ ، صحب الواقدي وروى عنه ، أشهر كتبه الطبقات الكبرى ، توفي عام ٢٣٠ هـ ، انظر الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٥ ، ص ١٨٢ .

بعث إليهم»<sup>(١)</sup>.

ب- أن خطابهم كان بينا فيختارون من الأساليب ما يؤدي الغرض في كل وضوح وجلاء، وكانوا يسيرون نحو هدفهم بعدة طرق وقد عبر القرآن عن هذه الحقيقة بـ (تصرف الآيات) ، أي تفهيم الحقيقة الواحدة وتقريبها إلى الأفهام بشتى الأساليب وأنواع الطرق، وكان خطابهم للناس « على حسب عقولهم وبالأقدار التي تؤثر فيهم »<sup>(٢)</sup>.

ج- أن خطابهم بجانب كونه مدعماً بالأدلة والحجج الواضحة فإنه يتدفق بالحماس والعاطفة الحية ، فهم لا يخاطبون العقل وحده بل يتعرضون للعواطف الإنسانية ، وقد جاء في وصف النبي ﷺ أنه إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه ، حتى كأنه منذر جيش يقول : صباحكم ومساءكم<sup>(٣)</sup>.

د - أن الأنبياء لا يظهرون التعالي على المخاطبين عند التحاور ، ولا يستعلون عليهم ، ولا ينتقدون حياتهم في صورة الاستخفاف والانتقاص عند بدء الدعوة ، بل يوجهون إليهم رسالتهم في كل لين وتلطف قال تعالى لموسى وهارون : ﴿ اذها إلى فرعون إنه طغى ، فقولا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى ﴾<sup>(٤)</sup>.

هـ - أنهم كانوا يتحاشون جرح المشاعر ، ويجيبون عن فظاظة المخاطب باللطف واللين ، قال تعالى : ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة ، كأنه ولي حميم ﴾<sup>(٥)</sup> ، وعندما بعثت قريش عتبة بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ تحدث معه طويلاً وأفرط في الحديث ، وذكر كلاماً يشير الحليم ويهيج العفيف ، ويغضب الحر ، فلما انتهى قال النبي ﷺ له : أفرغت يا أبا الوليد ؟ بهذا الأدب الجم ، واستعمال الكنية في مخاطبة عتبة بن ربيعة ، وبنداء رخي هاديء ،

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص ٢٥٨ .

(٢) فصي يكن ، كيف ندعو إلى الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١٠ ، ١٤٠٧هـ ، ص ٢٠٨ .

(٣) انظر : صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، ج٣ ، ص ٤٠٣ ، رقم الحديث ٨٦٧ .

(٤) سورة طه : الآيات ٤٣ ، ٤٤ .

(٥) سورة فصلت : الآية ٣٤ .



تحدث النبي ﷺ إلى عتبة مجيباً عليه<sup>(١)</sup>.

و - والأنبياء في خطابهم يلاحظون نفسية المخاطبين في انتقاء اللفظ والمعنى ، والإطالة والإيجاز ، والأسلوب وطريقة العرض ، قال ﷺ : « إن من البيان لسحراً »<sup>(٢)</sup> .

وربما احتاج المدعو إلى التكرار فكان دأب النبي ﷺ « إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه »<sup>(٣)</sup> ولم يكن يهذ الكلام هذاً ، بل يتكلم بكلام يعده العاد .

ز - وكانت الطريقة النبوية في مخاطبة تتم بهيئة الجو المناسب ، « وإثارة الشوق قبل إلقاء الحديث والدخول في الموضوع ، حتى تفتح القلوب أبوابها لاستقباله استقبالا كريما ، فيلجها بسهولة ، ويحدث أثره المطلوب ، لأن القلوب كالبيوت لا يستحسن دخولها إلا بعد استئناس واستئذان »<sup>(٤)</sup> .

فمن ذلك أنه لما لقي رسول الله ﷺ الخزرج ، قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج ، قال : أمن موالي يهود ؟ قالوا نعم ، قال أفلا تجلسون أكلمكم ، قالوا : بلى ، فجلسوا معه وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن<sup>(٥)</sup> .

ومن ذلك - أيضاً - أنه ﷺ لما أراد دعوة قريش إلى الإسلام ، صعد جبل أبي قبيس والمشركون في أنديتهم يتحلقون حول الكعبة ، فناداهم بطننا بطننا ، فاجتمعوا لديه فكان هو في أعلى الجبل وهم في أسفله فدعاهم إلى الله<sup>(٦)</sup> .

ح - ولما كان الأنبياء (عليهم السلام) يعثون في عصر لا يمكن التمييز فيه بين الحق

(١) انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٢٩٤ ، رانظر : د. رؤوف شلي ، الدعوة في العهد المكي ، ص ٢٤٥ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الطب ، باب إن من البيان سحراً ، ج ٥ ، ص ٢١٧٦ ، رقم الحديث ٥٤٣٤ ، وكتاب النكاح ، باب الخطبة ، ج ٥ ، ص ١٩٧٦ ، رقم الحديث ٤٨٥١ ، رواه مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، ج ٣ ، ص ٤٠٧ ، رقم الحديث ٨٦٩ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب العلم ، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه ، ج ١ ، ص ٤٨ ، رقم الحديث ٩٤ .

(٤) د . عبد الرحمن بله علي ، أسلوب النبي ﷺ في الدعوة ، مجلة هذه سبيلي ، العدد الثاني ، ١٣٩٩ هـ ، ص ١٣٩ .

(٥) انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٤٢٨ .

(٦) انظر : صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب وأنذر عشيرتكَ الأقرين ، ج ٤ ، ص ١٧٨٧ ، رقم الحديث ٤٤٩٢ .

والباطل إلا بوحى السماء ، ورغم يقينهم بأن الحق إلى جانبهم وحدهم ، فإنهم لا يخاطبون أقوامهم في بدء دعوتهم بخطاب يا أيها الكافرون أو يا أيها المشركون وحدوا ، بل إنهم يخاطبون الناس بطريقة مختلفة مثل ﴿ يا أيها الناس ﴾ و ﴿ يا قوم ﴾ و ﴿ يا أهل الكتاب ﴾ و ﴿ يا أيها الذين هادوا ﴾ ... وما إلى ذلك من خطابات مختلفة ، ويستمررون على ذلك ما لم تنقطع آمالهم عنهم بسبب عنادهم وفساد طبيعتهم ، عندها يتبرؤن منهم ، ويعلنون كفرهم ، كما كان لإبراهيم (عليه السلام) في بدء دعوته لأبيه وقومه فلما ازدادوا تمردا وكفرا أعلن براءته منهم ، قال تعالى: ﴿ قد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾<sup>(١)</sup>

ومع ذلك فإن الله تعالى « نهى رسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها ، وهي مقابلة المشركين بسبب إله المؤمنين ، وهو الله لا إله إلا هو ، قال تعالى : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ﴾<sup>(٢)</sup> .

إن هذه الملامح من دعوة النبي ﷺ تبين ما كانت عليه دعوته ﷺ من تطابق مع التوجيهات القرآنية له ، فدعوته كانت على هدى من الله ونور ، وحجة واضحة ، وعلم بصحة ما يدعو إليه ، وهي أيضا دعوة تتسم بالحكمة التامة التي أرشده الله إليها بقوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾<sup>(٣)</sup> ، وهذا ما سأتناوله في الفرع التالي إن شاء الله .

(١) سورة الممتحنة : الآية ٤ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ١٨٣ ، والآية من سورة الأنعام : الآية ١٠٨ .

(٣) سورة النحل : الآية ١٢٥ .

## الفرع الثالث

### الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة

قال تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ (١).

في هذه الآية الكريمة بيان لأبرز معالم المنهج النبوي في دعوة غير المسلمين ، وإرشاد للنبي ﷺ وطريقة سيره في دعوة الناس كافة ، وقد اختلف المفسرون في الآية هل تشمل الكفار ؟ أم أنها محكمة في جهة العصاة من الموحدين ، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين ؟ والجمهور على أنها محكمة (٢) ، قال القرطبي : « وقد قيل إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ويرجى إيمانه بها دون قتال فهي فيه محكمة » (٣) ، وهذا القول هو الأقرب للصواب والله أعلم لاسيما مع غير المسلمين الذين أجاز لهم الإسلام حق البقاء في ديار المسلمين .

وقد اشتملت الآية السابقة على أربعة أمور :

#### أ - الدعوة إلى سبيل الله .

فقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يدعو إلى سبيل ربه ، أي شريعته التي شرعها خلقه وهو الإسلام (٤) ، وهو أمر له ولأتباعه من بعده أن تكون دعوتهم خالصة لله ، لا لغرض دنيوي ولا لمصلحة شخصية ، فهي دعوة إلى سبيل الله « لا لشخص الداعي ولا لقومه ، فليس للداعي من دعوته إلا أنه يؤدي واجبه لله ، لا فضل له يتحدث به ، لا على الدعوة ولا على من يهتدون به ، وأجره بعد ذلك على الله » (٥).

(١) سورة النحل : الآية ١٢٥ .

(٢) انظر : الألوسي ، روح المعاني ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٥ هـ ، ج ١٤ ، ص ٢٥٦ .

(٣) القرطبي ، أحكام القرآن ، ج ١٠ ، ص ٢٠٠ .

(٤) انظر : ابن جرير ، جامع البيان ، ج ١٤ ، ص ١٩٤ .

(٥) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ٢٢٠٢ .

## ب - الدعوة بالحكمة :

الحكمة هي : وضع الشيء في موضعه وهي « إصابة الحق بالعلم والعقل »<sup>(١)</sup> وهي منحة الله لأنبيائه ، ولمن يشاء من خلقه ، قال تعالى : ﴿ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة ﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾<sup>(٣)</sup>.

وكما أن الحكمة تعني وضع الشيء في موضعه فهي أيضاً تعني العقل والوعي وتقدير الموقف ثم التفاعل مع الحدث تفاعلاً مثمراً لا يخرج عن نهج الحق والصواب الذي اتضحت معالمه بنور القرآن وسير الأنبياء ، والحكمة ليست هي اللين والضعف كما يظن البعض ، بل هي أكبر من ذلك والحكمة إذا أفردت بالذكر دخلت فيها الموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى والمجادلة بغير الحسنى لمن يستحق ذلك<sup>(٤)</sup>.

ولما كان الناس مختلفين في طبائعهم ومدركاتهم ، في العلم والذكاء ، وفي الأمزجة والمشاعر ، وفي الميول والاتجاهات ، فقد سلك النبي ﷺ « الطرق الكفيلة معهم لنجاح دعوته فأورد لكل مقام مقالا يليق به وخاطب كل طبقة بما يناسبها »<sup>(٥)</sup>.

وكان ﷺ ينظر في « أحوال المخاطبين وظروفهم والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يثقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها »<sup>(٦)</sup>.

(١) الراغب الاصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ١٢٦ .

(٢) سورة النساء : الآية ٥٤ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٦٩ .

(٤) انظر : د. زيد بن عبد الكريم الزيد ، الحكمة في الدعوة إلى الله ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١٤١٢هـ ، ص ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٨ .

(٥) علي محفوظ ، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ، ص ٣١ .

(٦) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ٢٢٠٢ .

لقد كانت دعوته ﷺ تفسيرا عمليا لقوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ الآية ، روى البخاري بسنده عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال لي النبي ﷺ : « يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم - قال ابن الزبير<sup>(١)</sup> : بكفر - لنقضت الكعبة فجعلت لها بايين باب يدخل الناس وباب يخرجون »<sup>(٢)</sup>.

إن مواقف الحكمة في دعوة النبي ﷺ لغير المسلمين وللمسلمين الجدد في صدر الإسلام كثيرة مبثوثة في كتب السنة والمغازي والسير ، وليس المقام مقام سرد لتلك المواقف ولكن إعمالا لمبدأ مالا يدرك كله لا يترك جله نعرض لحادثتين اثنتين منها :

أ - جاء زيد بن سعة - وهو أحد أحرار اليهود وعلمائهم - إلى رسول الله ﷺ ، فأخذ بمجامع قميصه وردائه وجذبه ، وأغلظ له القول ، ونظر إلى النبي ﷺ بوجه غليظ وقال : يا محمد ألا تقضيني ، إنكم يا بني عبد المطلب قوم مطل ، وشدد له في القول ، فنظر إليه عمر وعيناه تدوران في رأسه كالفلك المستدير ثم قال : يا عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع ، وتفعل ما أرى ، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك ، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال « أنا وهو يا عمر كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر ، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي ، اذهب به يا عمر فاقضه حقه ، وزده عشرين صاعا من تمر »<sup>(٣)</sup>.

وكان هذا الموقف من رسول الله ﷺ سببا في إسلام زيد فبعد أن رأى عظيم أخلاق

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي ، أمه أسماء بنت أبي بكر ، ولد عام الهجرة ، حفظ عن النبي ﷺ وهو صغير ، شهد فتح أفريقيا ، ببيع بالخلافة عام ٦٤ هـ ، توفي عام ٧٣ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٢ ، ص ٣٠١ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس فيقعوا في أشد منه ، ج ١ ، ص ٥٩ ، رقم الحديث ١٢٦ ، ورواه مسلم ، كتاب الحج ، باب نقض الكعبة وبنائها ، ج ٥ ، ص ٩٧ ، رقم الحديث ١٣٢٣ .

(٣) انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ١ ، ص ٥٤٨ ، وقد توفي زيد في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر ، انظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٢ ، ص ٢٨٨ .

النبي ﷺ وحكمته قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله .

ب - أما الموقف الثاني فمع أحد المسلمين الجدد وهو معاوية بن الحكم السلمي قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم ، فقلت يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلي ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني ، لكتني سكت ، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ، فوالله ما كهرني ، ولا ضربني ، ولا شتمني ، ثم قال : إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن .... الحديث «<sup>(١)</sup>» .

لقد تجلت حكمة النبي ﷺ في مواقف عديدة ، وفي هذين الموقفين عالج النبي ﷺ أخطاء الناس معه بالحكمة ، وكان لهذه المعالجة الحكيمة أثرها البالغ في نفوس من وقعت منه ، وتعلم منها الصحابة (رضي الله عنهم) دروسا عملية في الدعوة .

(١) رواه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة ، جـ ٣ ، ص ٢٣ ، رقم الحديث ٥٣٧ ، ومعاوية بن الحكم السلمي صحابي سكن المدينة ، له عدة أحاديث في صحيح مسلم وغيره ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٣ ، ٤١١ .

## ج - الدعوة بالموعظة الحسنة :

الموعظة الحسنة هي النصيحة بالأسلوب المحب والوجه المقبول ، وهي الكلام الملين للقلب بما فيه من ترغيب وترهيب يحمل السامع إليه إلى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه .  
وقيدت الموعظة الحسنة ولم تقيد الحكمة ؛ « لأن الحكمة هي تعليم لمتطلبي الكمال من معلم يهتم بطلابه ، فلا تكون إلا في حالة حسنة ، فلا حاجة إلى التنبه على أن تكون حسنة ، أما الموعظة فلما كان المقصود منها - غالباً - ردع نفس الموعوظ عن أعمال سيئة أو عن توقع ذلك منه كانت مظنة لصدور غلظة من الواعظ ، ولحصول انكسار في نفس الموعوظ ، ومن الوعظ الحسن إلانة القول ، وترغيب الموعوظ في الخير »<sup>(١)</sup> .

ويكون الوعظ بذكر أيام الله في الأمم الخالية وعواقبهم ومصيرهم إلى الجنة أو النار ، وما في الجنة من نعيم ، وما في النار من عذاب أليم ، وبوعد الله ووعيده ، وهذه أكثر ما يكون الوعظ بها ويكون بغيرها كتذكير الإنسان بأحوال نفسه ، « وإنما يحصل المقصود من الموعظة إذا حسن لفظها ، بوضوح دلالة على معناها ، وحسن معناها ، بعظيم وقعه في النفوس ، فتستقر في القلوب ، وتبلغ مبلغها في دواخل النفس البشرية »<sup>(٢)</sup> .

وهذا هو هدي النبي ﷺ في مواعظه ، فقد كان ﷺ « يتحرى بالموعظة أوقات الحاجة والفراغ والنشاط إلى استماعها حتى لا يجعل الوعظ على الناس ركاما فيتشاكلوا عن سماعه ، ويفوتهم كثير من إرشاداته النافعة »<sup>(٣)</sup> ، كما كان ﷺ يعظ كلاً بحسبه ، « فيستعمل التبشير والوعد بالخير مع النفوس المقبلة ، ويستعمل الإنذار والوعيد مع النفوس المعرضة المدبرة »<sup>(٤)</sup> ، وكان عليه الصلاة والسلام يراعي الحكمة في الموعظة ، فيضع

(١) د. صالح الحميد ، مفهوم الحكمة في الدعوة ، ص ١١ .

(٢) ابن باديس ، الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية ، ص ٣٧ .

(٣) علي محفوظ ، هداية المرشدين ، ص ٣٤ .

(٤) د. عمارة نجيب ، مميزات الدعوة الإسلامية منهجاً وأسلوباً ، مجلة هذه سيلي ، العدد الأول ، ١٣٩٨ هـ ، ص ٣٧٦ .

الإطناب في وقته المناسب ، وكذلك الإيجاز في وقته المناسب . ويراعي الإحساس والعواطف وترتيب الحديث . وفي الحديث عن العرياض بن سارية<sup>(١)</sup> (رضي الله عنه) قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا؟ ، فقال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »<sup>(٢)</sup> .

إن الموعظة المؤثرة « تفتح طريقها إلى النفس مباشرة عن طريق الوجدان وتهزه هذا وتثير كوامنه »<sup>(٣)</sup> ، والقرآن والسنة ملينان بالمواعظ والتوجيهات بل إن القرآن كله موعظة كما قال تعالى : ﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ﴾<sup>(٤)</sup> .

وغير المسلمين اليوم بحاجة إلى من يهز مشاعرهم ويعظهم ويذكرهم بما يهيج عواطفهم ، فيخرجون بعد الموعظة وقد تأثرت نفوسهم ، ورقت قلوبهم ، واستجابت لدعوة الله وآمنت بها .

(١) العرياض بن سارية ، أبو نجیح السلمي ، من أهل الصفة ، حديثه في السنن الأربعة ، توفي عام ٧٥ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٢ ، ص ٤٦٦ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ١٩ .

(٢) رواه أبو داود ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ، جـ ٤ ، ص ٢٠١ ، رقم الحديث ٤٦٠٧ ، ورواه الترمذي ، كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، جـ ٥ ، ص ٤٤ ، رقم الحديث ٢٦٧٦ ، ورواه أحمد في المسند ، جـ ٤ ، ص ١٢٦ ، وصححه الألباني ، انظر : الألباني ، صحيح سنن أبي داود ، جـ ٣ ، ص ٨٧١ .

(٣) محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، دار الشروق ، بيروت ط ٢ ، بدون تاريخ ، ص ٢٣٠ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٣٨ .



## د - المجادلة بالتبني هي أحسن .

الجدال هو أحد الطرق المستخدمة في الدعوة لإقناع المدعو ، وإزالة الشبهة ، وإقامة الحجج والبراهين على صحة الدعوة وبطلان ما سواها ، وهو لا يكون إلا عند الحاجة ، ويقصد توضيح الحق وإبطال الباطل ، وهو جدال مشروط بأن يكون بالتبني هي أحسن ، قال ابن كثير (رحمه الله) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وجادلهم بالتبني هي أحسن ﴾ : « أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب »<sup>(١)</sup>.

ولذلك كانت الحاجة إلى الجدال في الدعوة تختلف عن الحاجة إلى الحكمة والموعظة الحسنة ، فالدعوة بوجهيها الحكمة والموعظة الحسنة من جهة، والجدال من جهة، «ليستا في منزلة واحدة في القصد والدوام ، فإن المقصود بالذات هو الدعوة ، وأما الجدال فإنه غير مقصود بالذات ، وإنما يجب عند وجود المعارض بالشبهة والصاد بالباطل عن سبيل الله ، فالدعوة بوجهيها أصل قائم دائم ، والجدال يكون عند وجود ما يقتضيه ، ولهذا كانت الدعوة بوجهيها محمودة على كل حال ، وكان الجدال مذموماً في بعض الأحوال وذلك فيما إذا استعمل عند عدم الحاجة إليه فيكون حينئذ شاغلاً عن الدعوة ومؤدياً في الأكثر إلى الفساد والفتنة »<sup>(٢)</sup>.

ولذلك مال بعض المفسرين إلى أن الجدال ليس من طرق الدعوة وأن المقصود منه غرض آخر مغاير لها وهو الإلزام والإفحام ، وجعلوا الدعوة محصورة في طريقين هما الحكمة والموعظة الحسنة<sup>(٣)</sup>.

ولأن الجدال ليس محموداً على كل حال فقد جاء في القرآن مقيداً بالحسن ليميزه

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٦٥٢ .

(٢) ابن باديس ، الدرر الغالية في آداب الداعية ، ص ٤٤ .

(٣) انظر : الألوسي ، روح المعاني ، جـ ١٤ ، ص ٢٥٦ ، والشوكاني ، فتح القدير ، جـ ٣ ، ص ٢٠٣ .

عن الجدل المذموم « ويشير إلى إباحته أو الندب إليه أو وجوبه تبعاً للأحوال »<sup>(١)</sup>.

وأسلوب القرآن في الجدل والمخاجة من أنجح الأساليب وأفضلها ، وفي القرآن آيات عديدة تبين أن الأنبياء جادلوا أقوامهم قال تعالى في قصة نوح (عليه السلام) : ﴿ قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين . قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ، ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون ﴾<sup>(٢)</sup> وقال في قصة موسى (عليه السلام) : ﴿ قال فمن ربكما يا موسى ، قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، قال فما بال القرون الأولى ، قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾<sup>(٣)</sup> ، وكذلك قول فرعون لموسى (عليه السلام) : ﴿ قال فرعون وما رب العالمين ، قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم مؤمنين ، قال لمن حوله ألا تستمعون ، قال ربكم ورب آبائكم الأولين ، قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ، قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ : ﴿ قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ، فأنى توفكون ، قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق ، قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون ﴾<sup>(٥)</sup> ، قال ابن عبد البر<sup>(٦)</sup> : « فهذا كله تعليم من الله للسؤال

(١) د. علي جريشة آداب الحوار والمناظرة ، دار الوفاء المنصورة ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، ص ٢٨ .

(٢) سورة هود : الآيات ٣٢ - ٣٥ .

(٣) سورة طه : الآيات ٤٩ - ٥٥ .

(٤) سورة الشعراء : الآيات ٢٣ - ٢٨ .

(٥) سورة يونس : الآيات ٣٤ ، ٣٥ .

(٦) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد الأندلسي ، حافظ المغرب في زمانه ، صاحب التصانيف الفائقة ، منها : التمهيد ، الإستهباب في أسماء الصحابة ، توفي عام ٤٦٣ هـ ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١٨ ، ص ١٥٣ .

والجواب والمجادلة»<sup>(١)</sup>.

وجادل رسول الله ﷺ المشركين في مكة ، فإنه ﷺ لما بين بطلان عبادتهم « أقبلوا مجادلين ، ولكن الجدل باللسان أعجزهم وهم القوم الخصمون ، فعمدوا إلى الاستهزاء والسخرية ، وأغروا به السفهاء ، ثم انتقل الأمر من جدل ومقارعة إلى اضطهاد ومقاطعة»<sup>(٢)</sup> حتى أذن الله لنبيه بالهجرة إلى المدينة ، وكان موقف المشركين في جدالهم موقف المعاند الذي يجادل بعيدا عن طلب الحق والصواب ، « وكان همهم في جدلهم أن يقدموا مطالب لا حدود لها ، وكل ما تجود به مخيلتهم يقدمونه مطلبا ، ويتخذون من عدم إجابته حجة يحتجون بها »<sup>(٣)</sup> ، وعندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ودعا أهل الكتاب بها إلى الإسلام قابلوه بالجدل ، وكان جدلهم معه كجدل أسلافهم مع موسى (عليه السلام) : « جدل المتعنتين الذين لا يطلبون رشادا ولا يبغون سدادا ولا يريدون حقا ينصرونه بل باطلا يلوون ألسنتهم به »<sup>(٤)</sup>.

وكان النبي ﷺ يأخذ هؤلاء وهؤلاء برفق وعطف وأناة حيناً وحزم حيناً ، وقد اعتصم في حوارهم معهم وجدله لهم بصفات جعلته المثل الكامل للبشر ، فقد اعتصم بالحلم والصبر على الأذى ، وخفض الجناح ، والرفق ، وحسن المعاملة ، وكان إذا اشتد أذاهم عليه وعلى أصحابه قال مقالة الصابرين المطمئن : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون »<sup>(٥)</sup> ويتذكر حال إخوانه من أولي العزم من الرسل ويقول « لقد أؤذي موسى بأكثر من هذا فصبر »<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ ، جـ ٢ ، ص ١٠١ .

(٢) أبو زهرة ، تاريخ الجدل ، دار الفكر العربي ، مصر ، بدون تاريخ ، ص ٤٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(٥) رواه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم ، جـ ٣ ، ص ١٢٨٢ ، رقم الحديث ٣٢٩٠ ، ورواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة أحد ، جـ ٦ ، ص ٣٩١ ، رقم الحديث ١٧٩٢ .

(٦) رواه البخاري ، وتقدم تخريجه . ص ١٦٩ .

وإذا كان الله قد أمر نبيه ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين فإن « من كان من أهل الذمة والعهد والمستأمن منهم لا يجاهد بالقتال ، وهو داخل فيمن أمر الله بدعوته ومجادلته بالتي هي أحسن وليس هو داخلاً فيمن أمر الله بقتاله »<sup>(١)</sup> .

ويكون حسن الجدل مع غير المسلمين في الالتزام بموضوعيته وبعده عن الانفعال ، وفي الترفع عن المسائل الصغيرة في مقابل القضايا الكبرى ، « حفظاً للوقت ، وعزة للنفس وكمالاً للمرءة ، مع الحرص على الرفق واللين ، والبعد عن الفظاظة والتعنيف »<sup>(٢)</sup> ، وعدم التحامل على المدعو أو ترذيله ، « حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل ولكن الإقناع والوصول إلى الحق ، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة ، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس ، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها ، والجدل بالحسنى هو الذي يطمئن من هذه الكبرياء الحساسة ، ويشعر المجادل أن ذاته مصونة وقيمتها كريمة ، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها والاهتداء إليها في سبيل الله لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر »<sup>(٣)</sup> .

(١) ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، جـ ١ ، ص ٦٦ .

(٢) د. صالح الحميد ، مفهوم الحكمة في الدعوة ، ص ١٢ .

(٣) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، جـ ٤ ، ص ٢٢٠٢ .

المبحث الثالث  
دعوة غير المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين

المطلب الأول  
عصر الخلفاء الراشدين

المطلب الثاني  
معالم الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين

## المطلب الأول

### عصر الخلفاء الراشدين

تميز عصر اخلفاء الراشدين بميزات عدة ، فأهله معظمهم قد نال شرف الصحبة لرسول الله ﷺ ، وشهدوا نزول آيات الله وأحكامه ، ومنهم الذين آووا رسول الله ﷺ ونصروه، وعزروه ، ووقروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه ، فأنعم الله عليهم بنعمة الإيمان واليقين والتمكين في الأرض ، فنالوا سعادة الدنيا ونعيم الآخرة .

وان عصرا اجتمع فيه خير الناس بعد الأنبياء ، لجدير بأن يكون مميّزا في جميع جوانبه ، فالصحابا (رضوان الله عليهم) قد تتلمذوا في مدرسة النبوة ، ونهلوا من معينها ، وكان ﷺ يودع في نفوسهم حب هذه الدعوة ، ويحملهم أمانة تبليغها ، ويبعث البعوث أفرادا وجماعات لنشر هذا الدين ، وترسيخ قيمه ومبادئه في نفوس الناس .

وبعد أن كملت شرائع الإسلام ، وأتم الله على عباده النعمة وأنزل على رسوله قوله تعالى : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»<sup>(١)</sup> .

عندها اختار النبي ﷺ جوار ربه وانتقل إلى الرفيق الأعلى ، ولم يكن مجتمع الإسلام حينذاك قد تجاوز حدود الجزيرة العربية « وكان على المسلمين أن يثبتوا مقدراتهم على الاستقرار بعد رسول الله ﷺ في الحفاظ على الدين الإسلامي ، والحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية»<sup>(٢)</sup> .

وبابح المسلمون أبا بكر<sup>(٣)</sup> (رضي الله عنه ) خليفة لرسول الله ﷺ ، ليتمكنوا تحت

(١) سورة المائدة : الآية ٣ .

(٢) د. فححة النبراوي ، عصر اخلفاء الراشدين ، دار اللواء ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٠١هـ ، ص ٥ .

(٣) عبد الله بن عثمان التيمي ، ضديق هذه الأمة ، أول الناس إسلاما ، صاحب رسول الله ﷺ في الغار ، حارب المرتدين بعد وفاة النبي ﷺ ، توفي عام ١٣ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج٢ ، ص ٣٣٣ ، ابن الأثير ، أسد الغابة، ج٣ ، ص ٣٣٣ .

قيادته من حمل أمانة الدعوة ورفع راية الجهاد كما كانوا يرفعونها أيام رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.  
لقد حمل الصحابة (رضي الله عنهم) هذه الأمانة فكانوا أئمة في الخير ودعاة إليه ،  
وقادة في الفتح ، سعوا إلى نشر هذا الدين وتبليغه إلى أم الأرض كلها ، وسرعان ما انتشر  
الإسلام في عهدهم في بلاد الفرس والروم وشمل العراق والشام ومصر ، وما وراءهما بعد  
ذلك .

وإن من حكمة الله تعالى ورحمته أن اصطفى لعباده الرسل والأنبياء وأرسلهم إليهم  
ومعهم النور الذي يهدون به الناس ، ويرشدونهم إلى أسباب السعادة في الدنيا والفلاح في  
الآخرة .

وجاءت نصوص الكتاب والسنة تؤكد أنه كما اصطفى الله الأنبياء والرسل عليهم  
السلام فإنه اصطفى كذلك أتباع الأنبياء الذين يحملون الدعوة من بعدهم ، قال تعالى:  
﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾<sup>(٢)</sup> .

وفي السنة المطهرة أحاديث كثيرة تبين أن الصحابة (رضي الله عنهم) هم خيرة هذه  
الأمة وأطهرها قال ﷺ: « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم »<sup>(٣)</sup> ، وقال عليه الصلاة  
والسلام : « لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد  
أحدهم ولا نصيفه »<sup>(٤)</sup> .

ولقد اجتمعت الأمة على أن أفضل الصحابة هم الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر  
وعثمان وعلي (رضي الله عنهم) .

(١) انظر : آدم الألوري ، تاريخ الدعوة إلى الله ، ص ١٨٤ .

(٢) سورة فاطر : الآية ٣٢ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ج٣ ، ص ١٣٣٥ ، رقم الحديث ٣٤٥١ ،  
ورواه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ، ج٨ ، ص ٣٢٠ ، رقم الحديث ٢٥٣٣ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ، ج٣ ، ص ١٣٤٣ ، رقم الحديث  
٣٤٧٠ ، ورواه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة ، ج٨ ، ص ٣٢٦ ، رقم الحديث ٢٥٤٠ .

وكان لهؤلاء الخلفاء من الصفات ما يؤهلهم، ومن الفضل والبذل في الدين ما يميزهم عن غيرهم ، ومن أبرز السمات التي تميزوا بها في خلافتهم ما يلي :

- ١ - اهتمامهم بالقرآن الكريم .
- ٢ - اتخاذهم الشورى فيما لم يرد فيه نص .
- ٣ - اهتمامهم بالقضاء ليعم العدل جميع رعايا الخلافة .
- ٤ - اهتمامهم بتنظيم المناطق المفتوحة لتشملها الرعاية .
- ٥ - توظيفهم موارد الدولة لخدمة الإسلام .
- ٦ - اهتمامهم بإيجاد موارد ثابتة لخدمة الدعوة ونشر الإسلام<sup>(١)</sup> .

لقد كانت الدعوة هي غاية الدولة الإسلامية أيام الخلفاء الراشدين ، وكان العلماء والأمرء في عهدهم يسيرون في موكب واحد ويهدفون إلى غاية واحدة ، وهي تبليغ الدعوة ونشرها بكل وسيلة ممكنة من الوسائل السلمية والوسائل الجهادية<sup>(٢)</sup> .

وكان الاهتمام بالدعوة في عهد الخلفاء الراشدين له مظاهر عدة من أبرزها ما يلي :

المظهر الأول :

إرشاد المسلمين وتوجيههم إلى حكم الله وهدى الرسول ﷺ في كل أمر ديني وديني في خطب الجمع والأعياد وفي كل مناسبة .

المظهر الثاني :

تبليغ الدعوة لغير المسلمين بكافة الأساليب وشتى الوسائل الدعوية ، فإن عاق عائق فالجهاد ، وكان الصحابة (رضي الله عنهم) « يقومون بالدعوة في البلاد المفتوحة حتى

(١) انظر هذه السمات مفصلة في الاتجاهات الدعوية في سياسة الخلفاء الراشدين ، عيد عوض الجهني ، رسالة دكتوراة ، الجامعة الإسلامية . المدينة ، ١٤١٠ هـ .

(٢) انظر : آدم الألوري ، تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم ص ١٥٤ ، ص ١٨٦ ، ص ٢٦٧ .



أسلم أهلها ، وكان دخولهم في الإسلام اختيارياً ورغبة «<sup>(١)</sup> .

المظهر الثالث :

تقوية الروح المعنوية في جيوش المسلمين وتحريضهم على الانتظام في الجهاد في سبيل الله نشرًا للدعوة في بلاد غير المسلمين ، وكان الصحابة يكثرون من تلاوة آيات القتال في سورة الأنفال والتوبة ، ويذكرون الناس بما أعده الله للشهداء<sup>(٢)</sup> .

لقد كان الخط الذي رسمه الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) في سياستهم للدولة ، وترسيخهم لمبادئ الدين ، واهتمامهم بالدعوة ، هو النور الذي استرشد به من استرشد من بعدهم من الخلفاء والملوك ، ولعل من أبرزهم عمر بن عبد العزيز<sup>(٣)</sup> (رحمه الله) .

فقد سار عمر بن عبد العزيز على منهاج الخلفاء ، وكان لذلك أثر كبير في إقبال الناس على الإسلام ، حتى كتب له عامله في مصر بدخول كثير من أهل الذمة في الإسلام ، وترتب على ذلك نقصان الخراج ، واقترح عليه ألا يعفى من يدخلون في الإسلام بعد ذلك من أداء الجزية ، فقال عمر مقالته العظيمة : « إن الله بعث محمداً هادياً ولم يعثه جابياً »<sup>(٤)</sup> .

(١) محمد أبو زهرة ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٧٧ .

(٢) انظر : آدم الألوري ، تاريخ الدعوة إلى الله بين أمس واليوم ، ص ١٨٤ ، ص ١٨٥ .

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي القرشي ، الخليفة الصالح ، من خلفاء بني أمية ، ترجم له جماعة ، منهم ابن الجوزي ، توفي عام ١٠١ هـ ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ٥ ، ص ١١٤ .

(٤) انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٥ ، ص ٢٨٣ .

## المطلب الثاني

### معالم الدعوة في عصر الخلفاء الراشدين

كان عهد الخلفاء الراشدين هو العصر الأول للأمة الإسلامية لقيادة دول العالم وهدايتها بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وقد أثبت المسلمون في عصر الخلفاء الراشدين قدرتهم على ذلك ، فاهتدوا بهدي رسول الله ﷺ وساروا على منهجه ، وكان من أبرز معالم الدعوة في هذا العصر ما يلي :

#### أولاً : الجهاد في سبيل الله .

عندما توفي النبي ﷺ وانتقل إلى جوار ربه ، بايع الناس أبا بكر (رضي الله عنه ) بالخلافة ، فاهتم (رضي الله عنه ) بالجهاد كوسيلة من وسائل نشر الدعوة الإسلامية ، فأول ما بدأ به من أعمال كان تسيير جيش أسامة بن زيد<sup>(١)</sup> (رضي الله عنه ) . ولم يكن الجهاد والفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين للغلبة والسيطرة ، بل كانت دعوة إلى دين الله ، وتحريراً للشعوب من الاضطهاد والظلم ، ويظهر ذلك جلياً من خلال الآتي :

أ - كانت الدعوة هي روح الجهاد في سبيل الله وهي الغاية التي جاهد المسلمون من أجلها ، ولم يقاتل أحد من المشركين إلا بعد دعوته إلى الإسلام وترغيبه فيه ، وما كان الجهاد إلا « لحماية الدعوة لا لإكراه الناس على الإسلام بل كان لفتح الطريق إلى الدعوة إلى الإسلام وحمايتها »<sup>(٢)</sup> .

إن تاريخ الجهاد في سبيل الله وفتوحات الإسلام لم يسبق فيه أن فصلت الدعوة عن الجهاد ، وكانت الدعوة تتجه للأفراد والجماعات على حد سواء .

وكانت بعوث النبي ﷺ وسراياه هدفها الدعوة إلى الله وما أرسل الخلفاء من بعده

(١) أسامة بن زيد بن حارثة ، حب رسول الله ﷺ ، وابن حبه ، ولد في الإسلام ، أمه أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ ، استعمله النبي ﷺ وهو ابن ١٨ سنة ، توفي عام ٥٤ هـ ، ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ١ ، ص ٤٦ .

(٢) محمد أبو زهرة ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٦٦ .

بعثوا ولا جهزوا جيشاً إلا لنشر دين الله في الأرض .

ولم يكن الصحابة (رضي الله عنهم) يكتبون بدعوة غير المسلمين قبل المعركة بل كانوا يواصلون دعوتهم في أثنائها ومن بعدها .

أما دعوتهم قبل المعركة فقد أرسل الرسول ﷺ في حياته كتباً إلى الملوك والرؤساء خارج جزيرة العرب يدعوهم فيها إلى توحيد الله والإيمان برسالته ، وكان منهم هرقل ملك الروم ، وكسرى ملك الفرس ، وكان قادة الجهاد من بعد رسول الله ﷺ يخبرون الكفار بين ثلاثة أشياء الإسلام أو الجزية أو الحرب ، فيدعونهم إلى الإسلام أولاً فإن أبوا فالجزية فإن أبوا قوتلوا<sup>(١)</sup> .

ومن دعوتهم أثناء المعركة ما حدث في اليرموك ، حيث قال شرحبيل بن حسنة<sup>(٢)</sup> (رضي الله عنه) لأحد الروم : أراك تعرف كلام العرب ، فلو تركت ما أنت عليه من عبادة الصليب ودخلت في دين الإسلام كنت من أهل الجنة وسعدت ، فأبى أن يدخل في الإسلام فحمل عليه شرحبيل فقتله<sup>(٣)</sup> .

وذكر ابن كثير أن أحد الأمراء الكبار ويدعى جرجه ، خرج من الصف في معركة اليرموك واستدعى خالد بن الوليد<sup>(٤)</sup> ، فجاء إليه حتى اختلقت أعناق فرسيهما فقال جرجه : يا خالد أخبرني فاصدقني ولا تكذبني ، فإن الحرا لا يكذب ، ولا تخادعني ، فإن الكريم لا يخادع ، هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكمه فلا تسله على أحد إلا هزمته؟ قال : لا ، قال : فبم سميت سيف الله؟ قال : إن الله بعث فينا نبيه فدعانا ونفرنا منه ونأينا

(١) قال ابن القيم رحمه الله « دعوة الكفار قبل قتالهم إلى الإسلام ، واجب إن كانت الدعوة لم تبلغهم ومستحب إن بلغتهم الدعوة » أحكام أهل الذمة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠١ هـ ، ص ٥٠ .

(٢) شرحبيل بن حسنة (وهي أمه) ، هو ابن عبد الله بن المطاع الكندي ، أسلم وهاجر إلى الحبشة ، تولى لأبي بكر وعمر ، توفي في طاعون عمواس عام ١٨ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ١ ، ص ١٤١ .

(٣) انظر : الواقدي ، فتوح الشام ، دار الجليل ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج ١ ، ص ٢١٦ .

(٤) خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي ، أسلم في السنة السابعة ، وأبلى في الإسلام ، قاد معركة اليرموك ، توفي عام ٢١ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ١ ، ص ٤١٢ .

عنه جميعاً ، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا كذبه وباعده ، فكنت فيمن كذبه وباعده ، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعنا ، فقال لي : أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين ، ودعا لي بالنصر فسميت سيف الله بذلك ، فأنا من أشد المسلمين على المشركين . قال جرجه : يا خالد : إلام تدعون ؟ قال : إلى شهادة إن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله والإقرار بما جاء به من عند الله عز وجل ، قال فمن لم يجبكم ؟ قال : فالجزية ومنعهم ، قال : فإن لم يعطها قال : فنؤذنه بالحرب ثم نقاتله .

قال : فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم ؟ قال : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضعنا وأولنا وآخرنا ، ، قال جرجه : فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر ؟ قال : نعم وأفضل ، قال : كيف يساويكم وقد سبقتموه ؟ فقال خالد : إنا قبلنا هذا الأمر وبايعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا يأتيه خبر السماء ، ويخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع ، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا ، فقال جرجه : بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ، قال : تالله لقد صدقتك ، وإن الله ولي ما سألت عنه ، فعند ذلك قلب جرجه الترس ، ومال مع خالد وقال : علمني الإسلام فمال به خالد إلى فسطاطه ، فشن عليه قرية من ماء ثم صلى به ركعتين .

قال ابن كثير : وأصيب جرجه (رحمه الله) ولم يصل إلا تلك الركعتين<sup>(١)</sup> .

إن هاتين الحادثتين وغيرهما مما يحدث في معارك المسلمين مع المشركين . تؤكد الروح التي بنى عليها الجهاد في الإسلام ، وهي إزالة ما علق بأذهان الناس من أوضاع الجاهلية وعبادة الأوثان ، وإذا ما صحت أفهام المشركين واستجابوا لدعوة الإسلام كانوا إخوة للمسلمين بعد ذلك .

إن احتدام القتال بين المسلمين والمشركين لا يمنع من إقامة الحججة أثناء الحرب ، وإزالة الشبهة ، فالجهاد للمشركين كما يكون بالسيف والسنان ، يكون بالحجة والبيان .

(١) انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، دار الفكر بيروت ، ٢٠٤ هـ ، ج٧ ، ص ١٣ .

ب - لقد كان الجهاد في سبيل الله طريقاً إلى جلب الأسرى إلى المجتمع الإسلامي ، وكان المتبع في عهد الخلفاء الراشدين « أن يرسل الأسرى إلى المدينة حيث مقر الحاكم ، وهناك يتصرف أمير المؤمنين مع الأسرى بما يراه مصلحة للمسلمين ولهم ، فكان يمن على من يرى المن ، ويسترق من يرى استرقاقه ... وأولئك الأسرى يعمل المسلمون على ربطهم بالمودة مع المؤمنين ، يتزوجون نساءهم ويدخلون عليهن بملك اليمين »<sup>(١)</sup> .

وكان للصحابة (رضي الله عنهم) اهتمام كبير بدعوة الأسرى إلى الإسلام ، وكانوا يعلمونهم الدين ويكرمونهم بالبر والإحسان وعوامل الهداية ، فكان من أولئك الأسرى من أسلم واتجه إلى المعرفة حتى كان منهم العلماء والفقهاء . ومما يؤكد ذلك أن « أكثر علماء العصر الأول من الموالي الذين دعوا إلى الإسلام فأجابوا ، يستوي في ذلك من جرى عليه الأسر والرق ومن لم يجبر عليهم ، فالجميع قد سموا بالموالي ، فكان منهم العلماء والهداة والمرشدون »<sup>(٢)</sup> .

لقد كان لدعوة الأسرى إلى الإسلام ثمارها الواضحة في تاريخ الإسلام ، وكان المسلمون يستبشرون بإسلامهم ويفرحون به ، فقد روى الطبري في سياق فتح الاسكندرية أنه كان وقع بعض الأسرى في أيدي المسلمين فخيروا بين الإسلام والجزية فمن قبل الإسلام صار من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم ، ومن اختار دين قومه أخذت منه الجزية مثل قومه ، فكان من اختار الإسلام كبرله المسلمون تكبيرة أشد من تكبيرة الفتح<sup>(٣)</sup> ، وهذا بين هدف المسلمين من الفتح ، ويؤكد شدة حرص المسلمين على هداية الناس إلى الحق والهدى وفرحهم بدخولهم في دين الإسلام .

(١) محمد أبو زهرة ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٧٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٣) انظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ، ج ٢ ، ص ٥١٣ .

إن تكبير المسلمين لدخول واحد من الأسرى في الإسلام يعبر عن حب المسلمين لدينهم، « وحبهم أن يكون هذا الدين ديناً للناس كلهم ، فدخول انسان واحد في الإسلام أغلى وأعظم عند المسلمين وأرجح ميزاناً من فتحهم بلداً عنوة يحوزونه بما فيه من غنائم ومتاع دنيا »<sup>(١)</sup>.

(١) محمد الصادق عرجون ، الموسوعة في سماحة الإسلام ، جـ ٢ ، ص ٩٦٤ .

## ثانياً : الاهتمام بالدعوة الفردية وبعث الدعاة :

كان للدعوة الفردية دور بارز في تاريخ الدعوة الإسلامية ، وعندما بدأ النبي ﷺ دعوته بدأ بها ، فدعا من حوله من أهله وخاصته .

وكان الصحابة (رضي الله عنهم ) يقومون بالدعوة الفردية في عهد النبي ﷺ ومن بعد وفاته ، فعندما أسلم أبو بكر (رضي الله عنه ) - وكان أول من أسلم من الرجال - كان يدعو إلى الإسلام من وثق به ، حتى أسلم على يديه جمع من الصحابة<sup>(١)</sup> .

ولقد نهل الصحابة (رضي الله عنهم ) من معين النبوة ، واستقوا منهجهم في الدعوة من رسول الله ﷺ ، وكانوا في حياته وبعد مماته خير من عمل بالكتاب والسنة ، يستوي في ذلك الرجال والنساء ، فكانوا يدعون إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادلون من يدعونه بالتي هي أحسن بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة ، ومن أمثلة ذلك ما يلي :

أ - عندما هاجر رسول الله ﷺ والصحابة إلى المدينة كان اليهود يشكلون أقلية غير إسلامية داخل المدينة ، وكان للصحابة أثر في مجادلتهم ودعوتهم إلى الإسلام ، روى ابن هشام<sup>(٢)</sup> في السيرة النبوية أن أبا بكر (رضي الله عنه ) دخل في زمن النبي ﷺ على يهود وقد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص ، وكان من علمائهم وأخبارهم ، فقال أبو بكر لفنحاص : ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل ، فقال فنحاص لأبي بكر : يا أبا بكر . ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، وما نتضرع إليه كما يتضرع

(١) منهم عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم .

(٢) عبد الملك بن هشام بن أيوب ، العلامة النحوي الأخباري ، هذب السيرة النبوية وسمعها من زياد البكائي صاحب ابن إسحاق ، توفي بمصر ، عام ٢١٨ هـ ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ٤٢٨ .

إلينا ، وإنا عنه لأغنياء وما هو عنا بغني ، ولو كان عنا غنياً ما استقرضنا أموالنا ، كما يزعم صاحبكم ، ينهانا عن الربا ويعطيناه ، ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا ، فغضب أبو بكر فضرب وجهه فنحاص ضرباً شديداً وقال : والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت رأسك عدو الله ، وفي هذه القصة نزل قول الله تعالى : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ، سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ، ونقول ذوقوا عذاب الحريق ﴾<sup>(١)</sup> .

وفي هذه الحادثة دليل على قيام الصحابة (رضي الله عنهم ) بالدعوة الفردية داخل المجتمع الإسلامي وغشيان مجالس اليهود لدعوتهم إلى الله .

ومما يؤكد ذلك أيضاً ما رواه الطبري بسنده عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ﴾<sup>(٢)</sup> .

حيث قال : كان لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه ) أرض بأعلى المدينة فكان يأتيها وكان عمره على طريق مدراس اليهود<sup>(٣)</sup> ، وكان كلما دخل عليهم سمع منهم ، وإنه دخل عليهم ذات يوم فقالوا : يا عمر ما في أصحاب محمد ﷺ أحد أحب إلينا منك ، إنهم يمرون بنا فيؤذوننا ، وتمر فلا تؤذينا ، وأنا لنطمع فيك ، فقال لهم عمر : أي يمين فيكم أعظم قالوا: الرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء ، فقال لهم عمر : فأنشدكم بالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء أتجدون محمداً ﷺ عندكم ؟ فسكتوا ، فقال : تكلموا ما شأنكم ؟ فوالله ما سألتكم وأنا شاك في شيء من ديني ، فنظر بعضهم إلى بعض فقام رجل منهم فقال : أخبروا الرجل ، لتخبرنه أو لأخبرنه قالوا : نعم إنا

(١) انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ١ ، ص ٥٥٩ ، والآية من سورة آل عمران : الآية ١٨١ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٩٧ .

(٣) المدراس هو البيت الذي يدرسون فيه ، انظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، جـ ٢ ، ص ١١٣ .



نجده مكتوبا عندنا<sup>(١)</sup>.

إن هاتين الحادثتين من خليفتي رسول الله ﷺ تبينان كيف كان الصحابة (رضي الله عنهم) يغشون مجالس اليهود في المدينة ويدعونهم إلى الإسلام .

كما أن في هاتين الحادثتين بيانا لحرص الصحابة (رضي الله عنهم) على هداية الناس وعظم اهتمامهم بنشر الدعوة بين غير المسلمين ، حتى ولجوا بالدعوة إلى دورهم وأماكن عبادتهم .

ب - ومن أمثلة الدعوة الفردية داخل المجتمع الاسلامي ما كان يفعله عمر (رضي الله عنه) مع غير المسلمين من أهل الذمة أو ممن يمرون منهم بالمدينة .

فقد دعا (رضي الله عنه) كعب الأحبار إلى الإسلام حينما مر بالمدينة وهو يريد بيت المقدس ، فخرج إليه عمر فقال : يا كعب أسلم ، فقال : أستم تقولون في كتابكم: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾<sup>(٢)</sup> ؟ واني قد حملت التوراة ، فتركه عمر ثم خرج حتى انتهى إلى حمص ، فسمع رجلا من أهلها حزينا وهو يقرأ : ﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أديارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا﴾<sup>(٣)</sup> فقال كعب : يا رب أسلمت ، مخافة أن تصيبه هذه الآية ثم رجع فأتى أهله في اليمن ثم جاء بهم مسلمين<sup>(٤)</sup> .

وكان لعمر (رضي الله عنه) عبد نصراني يقال له أسبق فقال له عمر : أسلم حتى نستعين بك على بعض أمور المسلمين ، فإنه لا ينبغي أن نستعين على أمورهم من ليس منهم

(١) انظر الطبري ، جامع البيان ، جـ ١ ، ص ٤٣٤ .

(٢) سورة الجمعة : الآية ٥ .

(٣) سورة النساء : الآية ٤٧ .

(٤) انظر : ابن جرير ، جامع البيان ، جـ ٥ ، ص ١٢٤ .

فأبى فأعتقه ، وقال له : اذهب حيث شئت <sup>(١)</sup> .

كما كان رضى الله عنه يدعو النساء أيضا فقد قال (رضي الله عنه) لعجوز نصرانية:  
أسلمي أيتها العجوز تسلمي فإن الله بعث محمداً بالحق قالت : أنا عجوز كبيرة والموت قريب  
فقال عمر : اللهم اشهد وتلا ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ <sup>(٢)</sup> .  
وقد احتج بهاتين الحادتين من قال من العلماء بأن قوله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾  
غير منسوخة <sup>(٣)</sup> .

قال ابن كثير (رحمه الله) عند تفسير هذه الآية : «يقول تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾  
أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام ، فإنه بين واضح جلي دلالة وبراهينه ، لا  
يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه ، بل من هداه الله للإسلام ، وشرح صدره ، ونور  
بصيرته دخل فيه على بينة ، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره ، فإنه لا يفيد  
الدخول في الدين مكرها مقسورا » <sup>(٤)</sup> .

وقال السعدي <sup>(٥)</sup> (رحمه الله) : « فمن ظن من المفسرين أن هذه الآية تنافي آيات  
الجهاد فجزم بأنها منسوخة ، فقوله ضعيف لفظاً ومعنى كما هو واضح بين عند تدبر الآية  
الكريمة » <sup>(٦)</sup> .

إن هذا الدين لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه ، فهو بكماله وشموله

(١) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٣٣٣ ، وانظر : ابن القيم ، أحكام أهل الذمة ، جـ ١ ، ص ٢١١ .

(٢) انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، جـ ٣ ، ص ٢٨٠ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٨٠ .

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٣٣٣ .

(٥) عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، من علماء نجد ، ولد بعنيزة ، عام ١٣٠٧ هـ ، له عدة مؤلفات في التفسير والفقه  
والأصول ، تأثر كثيراً بأراء شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ، توفي عام ١٣٧٦ هـ ، انظر : محمد القاضي ، روضة  
الناظرين ، مطبعة الحلبي ، مصر ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ ، جـ ١ ، ص ٢١٩ ، والنزركلي ، الأعلام ، جـ ٣ ، ص ٣٤٠ .

(٦) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، جـ ١ ، ص ١٥٣ .

وظهور آياته وحججه ، ينسجم مع الفطرة السليمة ويوافق العقل الصحيح .

وقد كان واجب الرسل وأتباعهم أن يبلغوا البلاغ المبين ، وأن يقيموا الحجة على العالمين ليحيى من حي عن بينة ، ويهلك من هلك عن بينة ، وقد بينت آيات عديدة في القرآن الكريم أن الله تعالى له الحكمة التامة في هداية الخلق وغوايتهم ، فهو تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب ليبين للناس طريق الهدى والحق وطريق الضلال والغي ، فمن آمن فلنفسه ومن عمي فعليها ، قال تعالى : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى : ﴿ نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار ، فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾<sup>(٢)</sup> .

إن القول بأن الآية ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ غير منسوخة كما تؤيده الأدلة من الكتاب والسنة فإن الواقع يؤيده ويشهد به ، فقد كان الصحابة والتابعون لا يبدأون أحدا بالقتال قبل دعوته إلى دين الإسلام ، وكانوا يفرحون فرحا كبيرا بإسلام من يسلم منهم ، كما أن الإسلام أقر غير المسلمين من أهل الكتاب على العيش في بلاد المسلمين بعد بذل الجزية مع بقائهم على دينهم ، وهذا هو الذي يتوافق مع سماحة الإسلام وطبيعة الفطرة الإنسانية .

لقد كان غير المسلمين في المجتمع الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين يلقون الحرص التام من الصحابة لهدايتهم ، فعثمان بن عفان<sup>(٣)</sup> (رضي الله عنه ) دعا إلى الإسلام أبا حفصة وكان طيبا يهوديا فأسلم على يديه<sup>(٤)</sup> .

(١) سورة يونس : الآية ٩٩ .

(٢) سورة ق : الآية ٤٥ .

(٣) عثمان بن عفان ، ثالث الخلفاء الراشدين ، ذو النورين ، أسلم على يد أبي بكر ، كان يقول أني لرابع أربعة في الإسلام ، توفي عام ٣٥ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٢ ، ص ٤٥٥ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٣ ، ص ٥٨٤ .

(٤) انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، دار الثقافة ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ ٥ ، ص ١٨٩ ، وأبو حفصة هو يزيد مولى مروان بن الحكم ، قيل اشتراه عثمان ثم وهبه لمروان ، انظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ١٨٩ .

وروى الطبري عن ابن أبي نجيح<sup>(١)</sup> قال سمعت مجاهدا<sup>(٢)</sup> يقول لغلام له نصراني :  
يا جريز أسلم ، ثم قال هكذا كان يقال لهم<sup>(٣)</sup> .  
ومقولة مجاهد هذه وفعل الصحابة (رضي الله عنهم) تؤكد اهتمام الصحابة (رضي  
الله عنهم) بدعوة غير المسلمين وهدايتهم إلى الإسلام.

(١) ابن أبي نجيح ، أبو يسار ، مولى ثقيف ، كان ثقة كثير الحديث ، توفي بمكة عام ١٣٢ هـ ، انظر : ابن سعد ، الطبقات  
الكبرى ، ج٥ ، ص ٤٨٣ .

(٢) مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المكي ، تابعي مفسر ، قال الذهبي ، شيخ القراء والمفسرين ، وتلميذ بن عباس ، توفي  
عام ١٠٤ هـ ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص ٤٤٩ هـ .

(٣) انظر : ابن جريز الطبري ، جامع البيان ، ج٣ ، ص ١٧ .

ب - أما بعث الدعوة إلى الأمصار لدعوة الناس إلى الدين فأمره واضح في تاريخ الدعوة ، فقد بعث النبي ﷺ الدعوة قبل الهجرة وبعدها ، بعثهم يعلمون الناس الدين ، وينشرون الهداية بين الناس ، بل كان كل من يأتي وافدا من قومه ويسلم يعود داعيا إلى قومه ، ومصعب بن عمير<sup>(١)</sup> ، ومعاذ بن جبل ، والطفيل بن عمرو وغيرهم من الصحابة كانوا خير سفراء للنبي ﷺ يمثلون أمره وينشرون رسالته .

وكما كان النبي ﷺ يبعث الأفراد كان يبعث الجماعات ، وكان لهذه البعث أثرها في تبليغ الدعوة وهداية الناس .

وعندما آل الأمر إلى الخلفاء الراشدين كانوا (رضي الله عنهم) يسيرون على نهج النبي ﷺ ويقتفون أثره ، فكانوا يهتمون كثيرا ببعث الدعوة قبل القتال وقد بعث الصديق (رضي الله عنه) العديد من الكتب للذين ارتدوا بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وفي هذه الكتب يقول لهم: «إني بعثت إليكم فلانا في جيش من المهاجرين ، وأمرته ألا يقاتل أحد حتى يدعوه إلى داعية الله فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحا قبل منه وأعانه ، ومن أبي أمرت أن يقاتله على ذلك»<sup>(٢)</sup> ، قال الطبري : « فحارب أبو بكر المرتدة بالرسول والكتب »<sup>(٣)</sup> فاستجاب له من استجاب منهم وعادوا إلى حظيرة الإسلام .

ولما بعث أبو بكر (رضي الله عنه) خالد بن الوليد إلى العراق أمره بالدعوة قبل القتال ، فلما أقبل خالد بن الوليد على الحيرة سنة اثنتي عشرة للهجرة خرج إليه أشرافهم مع قبيصة بن إياس بن حية الطائي وكان أمره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر فقال له خالد ولأصحابه : « أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام فإن أجبتهم إليه فأنتم من المسلمين لكم ما لهم

(١) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ، من فضلاء الصحابة وخيارهم ، وأحد السابقين إلى الإسلام ، شهد بدرًا واستشهد في أحد ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج-٣ ، ص ٤٠١ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج-٦ ، ص ٣١٦ .

(٣) ابن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج-٢ ، ص ٢١٤ .

وعليكم ما عليهم ، فإن أيتهم فالجزية ، فإن أبيتهم الجزية فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة وجاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم »<sup>(١)</sup> .

لقد كانت الدعوة هي الرسالة الأولى التي يحملها الصحابة (رضي الله عنهم) إلى الأمم كلها ، وما بعث الخلفاء الراشدون جيشا إلا لدعوة الناس إلى الإسلام فإن أبوا ذلك فالجزية والا قاتلوهم وإن هم قبلوا دعوة الله وأسلموا فهم من المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم .

وكان الخلفاء الراشدون يرسلون العمال إلى الأقاليم دعاة إلى الإسلام هداة مرشدين ، فعمر بن الخطاب يقول لعماله وولاته : « إنني ما أرسلتكم لتضربوا أبشار الناس ، ولكن لتعلموهم أمر دينهم »<sup>(٢)</sup> ، ومن تعليمهم أمور الدين أن يبينوا لغير المسلمين - من أهل الذمة والمستأمنين - أصول الإسلام وحقائقه ، ولهم الحرية بعد ذلك في الدخول فيه قال تعالى : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »<sup>(٣)</sup> .

ولم يكن الدعاة من الصحابة (رضي الله عنهم) وقفا على بلد معين بل كانوا ينتقلون من بلد إلى بلد لتعليم الناس وإرشادهم ، ولما اتسعت الفتوحات في عهد عمر (رضي الله عنه) واشتدت حاجة الناس إلى الفقه في الدين والتبصير بالأحكام ، بعث عددا من كبار الصحابة (رضي الله عنهم) .

فقد بعث عمار بن ياسر<sup>(٤)</sup> وعبد الله بن مسعود إلى الكوفة وهما من نجباء الصحابة وقال (رضي الله عنه) في كتابه لأهل الكوفة: « إنني قد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على

(١) ابن جرير الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٢ ، ص ٣٠٧ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٣ ، ص ٢١ ، وانظر : أبو يوسف الخراج ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ ، ص ١٩٥ .

(٣) سورة الكهف : الآية ٢٩ .

(٤) عمار بن ياسر بن عامر ، من السابقين الأولين ومن عذب في الله ، شهد المشاهد كلها ، قتل بصفين ، عام ٣٧ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٢ ، ص ٥٠٦ ، وابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ١٢٩ .

نفسى»<sup>(١)</sup>، كما بعث (رضي الله عنه) عمران بن حصين<sup>(٢)</sup>، إلى أهل البصرة، وبعث إلى الشام معاذ بن جبل، وأبا الدرداء<sup>(٣)</sup>، وعبادة بن الصامت<sup>(٤)</sup>.

وهكذا يتضح مدى اهتمام الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) بالدعوة الفردية وبعث الدعاة إلى مختلف الأمصار التي امتدت إليها الدعوة الإسلامية في عهدهم الراشد.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٧، وانظر: الهندي، كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ، ج٤، ص٥٥٥.

(٢) عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي، أسلم عام خيبر، روى عدة أحاديث عن النبي ﷺ، توفي عام ٥٢هـ، انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ج٣، ص٢٧، وأسد الغابة، ج٤، ص٢٨١.

(٣) أبو الدرداء عويمر بن عامر بن مالك الأنصاري الخزرجي، شهد المشاهد بعد أحد، ولي قضاء دمشق في عهد عثمان، توفي عام ٣٣هـ، انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٦، ص٩٧.

(٤) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص١٧٢، وعبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، هو أحد الصحابة، شهد المشاهد كلها، بعد بدر، وشهد فتح مصر، توفي عام ٣٤هـ، انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٢٦٠.

## ثالثاً : حسن المعاملة :

لقي غير المسلمين - من أهل الذمة والمستأمنين - في عهد الخلفاء الراشدين براً واحساناً من المسلمين ، الذين كانوا في ذلك يمثلون توجهات الكتاب والسنة ، كقوله تعالى : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ﴾<sup>(١)</sup> . وقوله تعالى : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقوله ﷺ : « ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة »<sup>(٤)</sup> .

لقد كان الإحسان إلى أهل الذمة والمستأمنين محل اهتمام الخلفاء الراشدين ، فكان أبو بكر (رضي الله عنه ) يوصي الجيوش الإسلامية الفاتحة بقوله : « وستمرون على قوم في الصوامع رهباناً يزعمون أنهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تدموا صوامعهم »<sup>(٥)</sup> . ومن بعده قال عمر (رضي الله عنه ) عند وفاته مؤكداً على ضرورة الوفاء بالعهد للذميين والمستأمنين : « أوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ﷺ ، أن يوفي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، ولا يكلفهم فوق طاقتهم »<sup>(٦)</sup> .

وكان عمر (رضي الله عنه ) حريصاً على أن لا يحمل أهل الذمة فوق طاقتهم في

(١) سورة الممتحنة : الآية ٩ .

(٢) سورة الانعام : الآية ١٥٢ .

(٣) سورة المائدة : الآية ١ .

(٤) رواه أبو داود ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب في تعشير أهل الذمة ، ج٣ ، ص ١٧١ ، رقم الحديث ٣٠٥٢ ، وصححه الألباني ، انظر : الألباني ، صحيح سنن أبي داود ، ج٢ ، ص ٥٩ .

(٥) الواقدي ، فتوح الشام ، ج١ ، ص ٨ .

(٦) ابو يوسف ، كتاب الخراج ، ص ١٢٠ ، وهو في صحيح البخاري بلفظ : « أوصيكم بذمة الله فإنهم ذمة نبيكم ورزق عيالكم » ، وسيأتي في أول الفصل الثاني .



الخراج، ومن ذلك أن وجه عثمان بن حنيف<sup>(١)</sup>، وحذيفة بن اليمان لمسح أرض السواد، وأمرهما أن لا يحملأ أحداً فوق طاقته<sup>(٢)</sup>.

وقد امتثل عمر (رضي الله عنه) ما أوصى به عمليا فقد « مر بباب قوم وعليه سائل يسأل، شيخ كبير ضريب البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي، فقال: فمن الجأك إلى ما أرى؟ قال أسأل الجزية، والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده فذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباه، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، «إنما الصدقات للفقراء والمساكين» الفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وضربائه»<sup>(٣)</sup>.

وكان العلماء من بعد ذلك يوصون الخلفاء بالاهتمام بأهل الذمة، فقد جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف<sup>(٤)</sup>: « وقد ينبغي يا أمير المؤمنين - أيدك الله - أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ﷺ والتفقد لهم حتى لا يُظلموا ولا يؤذوا، ولا يكلفوا فوق طاقتهم ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم»<sup>(٥)</sup>، وكان أبو يوسف يخاطب بذلك الخليفة العباسي هارون الرشيد<sup>(٦)</sup>.

(١) عثمان بن حنيف الأنصاري الأوسي، شهد أحداً والمشاهد بعدها، استعمله عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، توفي في خلافة معاوية، انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٢، ص ٤٥٢.

(٢) انظر: أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ١٢٨، ويحيى بن آدم، الخراج، دار التراث، القاهرة، ط٢، بدون تاريخ، ص ٢٤٠.

(٣) المرجع السابق، ص ١٢٦.

(٤) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي، صاحب أبي حنيفة، توفي عام ١٨٢ هـ، انظر: الذهبي، سير أعلام الذهبي، ج٨، ص ٥٣٥.

(٥) أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ١٢٠.

(٦) هارون الرشيد أبو جعفر بن المهدي محمد بن المنصور، الخليفة العباسي، كان من أنبل الخلفاء وأحشم الملوك، ذا حج، وجهادٍ وغزو وشجاعةٍ ورأي، توفي عام ١٩٣ هـ، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٩، ص ٢٨٦.

لقد أوجد الفتح الإسلامي جوارا بين المسلمين وغير المسلمين ، « فتمكنت دعوة الإسلام من غزو قلوب أهل الكتاب في الشام ومصر والعراق بفضل المعاملة الحسنة التي لقوها من عمر بن الخطاب والولادة المسلمين ، وبفضل نشاط الدعاة »<sup>(١)</sup> ، وما رأوه من بر المسلمين واحسانهم وتألفهم وتعاطفهم ، فأسلم عدد كبير منهم .

لقد كانت معاملة المسلمين لأهل الذمة تقرب النفوس وتؤلفها ، « فإذا تألفت النفوس سهل وصول الحق إليها ، ودخل إلى القلوب من أبوابها .. فإن المعاملة الحسنة تدني ، والجفوة تبعد والقول الطيب يهدي ، وغيره ينفر »<sup>(٢)</sup> .

(١) د. جميل المصري ، تاريخ الدعوة الإسلامية ، مكتبة الدار ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ ، ص ٢٤٦ .

(٢) محمد أبو زهرة ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٧٨ .

## رابعاً : العدل :

خص الله تعالى أمة محمد ﷺ بخصائص منها أن جعلها أمة الشهادة ، فهي تشهد على الناس كلهم يوم القيامة قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾<sup>(١)</sup> .

وهي أمة العدل بما امتثلت من أوامر الله تعالى ورسوله، فقد جاءت آيات القرآن الكريم تحت على العدل في الأقوال والأفعال قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ﴾<sup>(٣)</sup> وقال تعالى : ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾<sup>(٤)</sup> .

كما جاء في السنة أحاديث عديدة تبين أهمية العدل وعاقبة الظلم ، فقد أكد النبي ﷺ على عدم ظلم أهل العهد والذمة ، وتوعد من يفعل ذلك بأن يكون حججه يوم القيامة، قال ﷺ : « ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حججه يوم القيامة »<sup>(٥)</sup> وكان النبي ﷺ أعدل الناس ، وقد ربي أصحابه على العدل في دينهم ودنياهم ، في عباداتهم ومعاملاتهم .

ذكر ابن كثير (رحمه الله) أن عبد الله بن رواحة<sup>(٦)</sup> (رضي الله عنه) « كان يأتي اليهود

(١) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٣٥ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ١٥٢ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٨ .

(٥) رواه أبو داود ، وتقدم تخريجه ، ص ١٦٠ .

(٦) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ، الشاعر ، شهد بدرأ ومابعدا ، كان عظيم القدر في الجاهلية والإسلام ، توفي في مؤتة عام ٨ هـ ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .

في كل عام فيخرجها<sup>(١)</sup> عليهم ، ثم يضمنهم الشطر ، فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خرصه ، وأرادوا أن يرشوه ، فقال : يا أعداء الله تطعموني السحت ، والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي ، ولأنتم أبغض إلي من عدتكم من القردة والخنازير ، ولا يحملني بغضي إياكم وحيي إياه على أن لا أعدل عليكم ، فقالوا : بهذا قامت السماوات والأرض<sup>(٢)</sup> .

ومن بعد وفاة النبي ﷺ حمل لواء العدل خلفاؤه الراشدون فكانت معاملتهم لرعيته من المسلمين وغير المسلمين غاية في العدل والإنصاف ، وكان ذلك من أكبر الأسباب التي سهلت دخول الناس في الإسلام .

ففي عهد عمر (رضي الله عنه) فتح المسلمون بلاد الفرس وغنموا أرض السواد<sup>(٣)</sup> ، فأبى عمر (رضي الله عنه) تقسيمها على المقاتلين وتركها ليأخذ خراجها ليستعين به على تجهيز الجيوش وحماية الثغور في الأمصار المفتوحة خوفا على الدعوة الإسلامية من أن يصيبها كيد الكائدين ، وترتب على تملك الأراضي للفلاحين أنهم أحسوا لأول مرة أنهم أصحاب الأراضي نظير دفع خراج في استطاعتهم دفعه دون إكراه ، ومن ثم فقد سارعوا إلى الدخول في الإسلام الذي انتشر بينهم بسرعة مذهلة<sup>(٤)</sup> .

وكما رأى أهل الذمة العدل مع الجماعات رأوه مع الأفراد ، فكان غير المسلم يأخذ حقه كاملا غير منقوص ، فمن ذلك ما حدث في عهد عمر أن اختصم مسلم ويهودي إلى عمر (رضي الله عنه) فرأى الحق لليهودي فقضى له عمر به ، فقال له اليهودي : والله لقد

(١) هكذا في البداية والنهاية ولعلها فيخرصها ، والخرص هو الحزر قال ابن الأثير : خرص النخلة والكرمة يخرصها خرصاً إذا حزر ما عليها من الرطب تمراً ومن العنب زيباً ، انظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، جـ ٢ ، ص ٢٢ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٤ ، ص ١٩٩ .

(٣) أرض السواد تقع في العراق ، وسميت بذلك لكثرة النخيل والزروع والأشجار فيها ، انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ ، جـ ٣ ، ص ٢٧٢ .

(٤) انظر : حسني غيطاس ، الدعوة في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، ص ١٣٢ ، ص ١٣٦ ، وانظر : عبيد الجهنبي ، الاتجاهات الدعوية في سياسة الخلفاء الراشدين رسالة دكتوراه ، ص ٤١٥ .

قضيت بالحق، فضربه عمر بالدرة وقال: وما يدريك؟ فقال اليهودي: والله إنا نجد في التوراة ليس قاض يقضي إلا كان عن يمينه ملك، وعن شماله ملك، يسددانه ويوقفانه للحق مادام مع الحق فإذا ترك الحق عرجا وتركاه<sup>(١)</sup>.

وعندما كان المسلمون بالجالية<sup>(٢)</sup> وفيهم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، أتاه رجل من أهل الذمة يخبره أن الناس قد أسرعوا في عنبه، فخرج عمر (رضي الله عنه) حتى لقي رجلا من أصحابه يحمل ترسا من عنب، فقال عمر: وأنت أيضا فقال: يا أمير المؤمنين أصابتنا مجاعة، فانصرف عمر (رضي الله عنه) وأمر لصاحب الكرم بقيمة عنبه<sup>(٣)</sup>.

ومن صور العدل الرائدة في حياة الخلفاء الراشدين ما حدث لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) مع رجل نصراني، فقد ذكر ابن كثير (رحمه الله) أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وجد درعه عند رجل نصراني فأقبل به إلى شريح القاضي<sup>(٤)</sup> يخاصمه، وقال له: الدرع درعي ولم أبع ولم أهب. فقال شريح القاضي: ما تقوله فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي. وما أمير المؤمنين عندي بكاذب. فالتفت شريح إلى علي فقال يا أمير المؤمنين هل من بينة؟ فضحك علي (رضي الله عنه) وقال: أصاب شريح مالي بينة، فقضى بها شريح للنصراني.

« هذه الواقعة لاشك هزت الرجل من أعماقه وفتحت بصيرته على أفق جديد وأماني عذبة من العدل والمساواة، ليس فقط بين أفراد عاديين، ولكن بين خليفة أكبر دولة وبين

(١) رواه مالك، الموطأ، كتاب الأفضية، باب الترغيب في القضاء بالحق، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٦ هـ، ج ٢، ص ٧١٩.

(٢) الجالية: موضع قرب دمشق، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٩١.

(٣) الهندي، كنز العمال، ج ٤، ص ٤٩٠.

(٤) أبو أمية شريح بن الحارث الكندي، أسلم في حياة النبي ﷺ، ولم يثبت له صحبة، ولي قضاء الكوفة لعمر ومن بعده حتى توفي عام ٧٨ هـ، انظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ج ١، ص ٨٥.

رجل عادي من أتباع ديانة أخرى»<sup>(١)</sup> ، وهو أمر لم يألفه وربما لم يخطر بباله وجوده ، ولذلك رجع بعد أن مشى خطوات فقال : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء ، أمير المؤمنين يطالبني عند قاضيه فيقضي عليه ، أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين ، اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى صفين ، فخرجت : من بعيرك الأورق ، فقال : أما إذ أسلمت فهي لك وحمله على فرسه<sup>(٢)</sup> .

لقد كان إنصاف أهل الذمة في عهد الخلفاء الراشدين سببا في إسلام الكثير منهم ، ففي كتاب الخراج لأبي يوسف أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) « بعث زياد بن حدير الأسدي على عشور العراق والشام ، وأمره أن يأخذ من المسلمين ربع العشر ، ومن أهل الذمة نصف العشر ومن أهل الحرب العشر ، فمر به رجل من بني تغلب من نصارى العرب ومعه فرس ، فقوموها بعشرين ألفا فقال : أعطني الفرس وخذ مني تسعة عشر ألفا أو أمسك الفرس وأعطني ألفا ، قال : فأعطاه ألفا وأمسك الفرس قال : ثم مر عليه راجعا في سنته فقال له : أعطني ألفا أخرى ، فقال له التغلبي : كلما مررت بك تأخذ مني ألفا قال نعم قال فرجع التغلبي إلى عمر (رضي الله عنه) فوافاه بمكة وهو في بيت فاستأذن عليه فقال من أنت ؟ فقال : رجل من نصارى العرب وقص عليه قصته فقال له عمر : كفيت ، ولم يزد على ذلك ، قال : فرجع التغلبي إلى زياد بن حدير ، وقد وطن نفسه على أن يعطيه ألفا أخرى ، فوجد كتاب عمر سبق إليه ، من مر عليكم فأخذت منه صدقة فلا تأخذ منه شيئا إلى مثل ذلك اليوم من قابل إلا أن تجد فضلا ، قال فقال الرجل : قد والله كانت نفسي طيبة أن أعطيه ألفا ، وأني أشهد الله أنني بريء من النصرانية ، وأني على دين الرجل الذي كتب إليك هذا الكتاب<sup>(٣)</sup> .

(١) جمعه الخولي ، تاريخ الدعوة ، جـ ٢ ، ص ٦٠ .

(٢) انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٥ ، وانظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٣ هـ ، ج ٢ ، ص ٢٠١ .

(٣) أبو يوسف ، الخراج ، ص ١٣٥ ، وانظر : الهندي ، كنز العمال ، جـ ٤ ، ص ٥١٤ ، وزياد بن حدير هو عامل عمر على العشور ، وكان يقول : أنا أول من عثر في الإسلام ، انظر : يحيى بن آدم ، الخراج ، ص ٦٣ .

## خامساً : القدوة :

عندما أجاز الإسلام بقاء غير المسلمين في بلاد الإسلام فإن من حكم ذلك أن يشهدوا من سماحة هذا الدين وشموله ، وأثره في نفوس معتنقيه ما يدعوهم إلى الدخول فيه عن رضا وقناعة تامة ، وقد كان ذلك ، حيث دخلت أفواج كثيرة عبر التاريخ من غير المسلمين من أهل الذمة والمستأمنين ... دخلوا في الإسلام عندما شاهدوا آثار تعاليم هذا الدين في المسلمين وقد ترجمت ترجمة عملية في علاقاتهم ومعاملاتهم وبيعهم وشرائهم وحلهم وترحالهم وفي كل شأن من شؤون حياتهم يرون لهذا الدين دوراً بارزاً يسير المسلمون على ضوئه ووفق تعاليمه .

إن شعائر الإسلام الظاهرة وهدية في المعاملة عندما تظهر في سلوك الأفراد ، تكون دعوة بليغة في كل أرض يطؤها المسلم وقد امتثل هذه الشعائر والتزم هدي الإسلام في المعاملة ، «وإن صلاح المؤمن هو أبلغ خطبة تدعو الناس إلى الإيمان ، وعندما يهوى سلوك الأفراد في المجتمع المسلم لا ينتظر أن يحترم الإسلام أو يقبل عليه غير المسلمين»<sup>(١)</sup> .

ولقد نهل الصحابة (رضي الله عنهم) من أخلاق رسول الله ﷺ واستنوا بسنته ، وقد كان ﷺ قدوة في قومه قبل أن يبعث ، ويصور ذلك ما قالته خديجة<sup>(٢)</sup> (رضي الله عنها) عندما أخبرها بما حدث له في غار حراء وقال : « لقد خشيت على نفسي » فقالت خديجة : « كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا ، فوالله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق»<sup>(٣)</sup>

(١) علي محفوظ ، هداية المرشدين ، ص ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، « بتصرف » .

(٢) خديجة بنت خويلد ، أم المؤمنين ، تزوجها النبي ﷺ قبل البعثة وعمره ٢٥ عاماً ، آمنت بالنبي ﷺ وأرزته وصدقته ، توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٤ ، ص ٢٧٣ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، جـ ١ ، ص ٤ ، رقم الحديث ٣ ، وكتاب التفسير ، باب تفسير سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق ، جـ ٤ ، ص ١٨٩٤ ، رقم الحديث ٤٩٥٣ ، ورواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، جـ ١ ، ص ٥٥٧ ، رقم الحديث ١٦٠ .

وعندما بعث الله نبيه ﷺ رحمة للعالمين كان عليه الصلاة والسلام قدوة للناس في واقع الأرض يروونه - وهو بشر منهم - تتمثل فيه صفات الكمال البشري ، فأمن الصحابة به وبما يدعو إليه من تعاليم الإسلام لأنهم يرونها في رسول الله ﷺ رأى العين ، فتتحرك لها نفوسهم وتهفوا لها مشاعرهم ويحاولون أن يقبسوا قبسات من رسول الله ﷺ كل بقدر ما يطيق أن يقبس ، وكل بقدر ما يحتمل كيانه الصعود ، لا يياسون ولا ينصرفون .. ولا يدعونه حلما مترفا لذيذا يطوف بالأفهام ، فهم يروونه واقعا يتحرك في واقع الأرض ، ويروونه سلوكا عمليا لا أمانى في الخيال<sup>(١)</sup> .

لذلك كان رسول الله ﷺ « أكبر قدوة للبشرية في تاريخها الطويل وكان مربيا وهاديا بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به »<sup>(٢)</sup> .

ولما انتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه ، كان الصحابة (رضي الله عنهم ) يعون ويدركون وصيته لهم عليه الصلاة والسلام بقوله : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكنم بهما ، كتاب الله وسنة رسوله »<sup>(٣)</sup> .

وقد امثل الصحابة (رضي الله عنهم ) هذه الوصية ، فتخلقوا بأخلاق القرآن واتبعوا هدي المصطفى ﷺ في كل شأن من شؤون حياتهم ، ولم يكونوا يقرأون القرآن إلا لتشرب نفوسهم بتعاليمه ، وتشع حياتهم نوراً من نوره .

إن الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين لم تكن تقف عند تعريف غير المسلمين بالقرآن الكريم وبالرسول ﷺ ودعوته ، بل كانت « أخلاق الصحابة التي تربوا عليها في ظل الإسلام تجلب المحبة لهم وتحث على اتخاذهم قدوة »<sup>(٤)</sup> ، فالدعاة من الصحابة (رضي الله عنهم )

(١) محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، ص ٢٢٥ ، « بتصرف » .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

(٣) رواه مالك في الموطأ ، كتاب القدر ، باب النهي عن القول بالقدر ، ج٢ ، ص ٨٩٩ ، وحسنه الألباني ، انظر : الألباني ، كتاب التوسل ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٥ ، ١٤٠٦ هـ ، ص ١٦ .

(٤) محمد أبو زهرة ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٧٧ .



« أعطوا الصورة الصادقة عن الإسلام في سلوكهم وتعاملهم ، وصدقهم وأمانتهم ووفائهم ، ثم بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة »<sup>(١)</sup> فكانت هذه الأخلاق من أعظم الأسباب في دخول غير المسلمين إلى الإسلام عن اقتناع ورغبة وإيمان ، وشهد بذلك غير المسلمين أنفسهم ففي كتاب الدعوة إلى الإسلام يقول توماس آرنولد<sup>(٢)</sup> : « وان من أقوى العوامل الفعالة التي أدت إلى انتشار الإسلام ما رآه غير المسلمين من أخلاق المسلمين ومعاملتهم ، حيث كانوا يتخذون من هدي الرسول ﷺ مثلاً أعلى وقدوة صالحة »<sup>(٣)</sup>.

إن القدوة من أهم الوسائل في تبليغ الدعوة إلى الله وجذب الناس إلى الإسلام، فالسيرة الطيبة لرجل الدعوة ، وأفعاله الحميدة ، وصفاته العالية ، وأخلاقه الزاكية ، لها أثرها الكبير على الناس ، لأن التأثير بالأفعال والسلوك أحياناً يبلغ وأكثر من التأثير بالكلام وحده . وتكمن أهمية القدوة في تبليغ الدعوة عندما تختلف لغة المدعويين عن لغة الداعي ، أو عند قصور الداعية في طرق التبليغ ، أو عجزه عن الإفصاح والبيان فإن العمل يقوم مقام ذلك كله.

ويرجع أصول القدوة الصالحة إلى أصلين كبيرين :

الأول : حسن الخلق و الثاني : موافقة العمل للقول .

« فإذا تحقق هذان الأصلان حسنت سيرة الداعي وأصبحت سيرته الطيبة دعوة صادقة إلى الإسلام ، وإن فاته هذان الأصلان ساءت سيرته وصارت دعوته صامته منفرة عن الإسلام »<sup>(٤)</sup>.

(١) حسني أدهم النجار ، القدوة الصالحة ، دار الضياء ، الأردن ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٦ .

(٢) توماس آرنولد ، مستشرق بريطاني ، وكاتب مؤثر ، عمل أستاذاً بالتاريخ المعاصر بجامعة أكسفورد ، له كتاب الدعوة إلى الإسلام ، توفي عام ١٩٣٠ م - ١٣٤٩ هـ ، انظر : الموسوعة العربية العالمية ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

(٣) توماس . آرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرون ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٧٠ م ، ص ٢٧ .

(٤) عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ، ص ٤٦٨ ، وانظر : حسني أدهم النجار ، القدوة الصالحة ، ص ١٧ .

إن منهج الدعوة في عهد األفاء الراشدين ليس إلا امتداد للعهد النبوي ، وترسيخ لمبادئه التي تسير وفق المنهج القرآني الذي بين منهج الدعوة وأساليبها مع المدعويين بجميع أصنافهم .

وإن معرفة هدي النبي ﷺ وأصحابه في دعوة غير المسلمين واقتفاء أثرها أمر تتطلبه الدعوة في كل زمان ، كما تتطلب الدعوة أيضا الوقوف على سمات غير المسلمين وحقوقهم وواجباتهم وهذا ما سأبينه في الفصل التالي إن شاء الله .

# الفصل الثاني

## الفصل الثاني واقع غير المسلمين في مدينة الرياض

تمهيد

المبحث الأول  
السمات الاجتماعية والثقافية لغير المسلمين  
وفيه مطلبان :

المطلب الأول  
مدلول السمات الاجتماعية والثقافية وأهمية معرفتها في الدعوة

المطلب الثاني  
أبرز السمات الاجتماعية والثقافية لغير المسلمين

## تمهيد :

لما قضى الله سبحانه وتعالى وقدر أن لا يؤمن الناس كلهم ، وجعل الحق والباطل يتصارعان في هذه الحياة ، وقدر بقاء الكفر إلى أن يشاء سبحانه وتعالى ، وله الحكمة التامة في ذلك قال تعالى: ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال تعالى: ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم ﴾<sup>(٣)</sup>.

ولا يتصور مع بقاء الكفر في الأرض أن ينعزل المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات، فقد نظمت شريعة الإسلام علاقة المسلم بالمسلم، وعلاقته بغيره من بني جنسه أفراداً وجماعات ، ووضعت الضوابط الكاملة في ذلك داخل المجتمع الإسلامي وخارجه.

وعندما قام النبي ﷺ بدعوة الناس إلى دين الله امتثالاً لأمر الله تعالى بقوله: ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾<sup>(٤)</sup>، آمن به من آمن وأعرض عنه آخرون، ويقوا على ملتهم ، وقد نظم الإسلام علاقاته بهم ووضع الضوابط في التعامل معهم. وقد تناول الفقهاء التعريف بأصناف غير المسلمين في كتبهم وأفاضوا في بيان أصنافهم، وأفاضوا في بيان حقوقهم وواجباتهم على نحو ما سأذكره إن شاء الله في المبحث الثاني من هذا الفصل .

\* أما أصناف غير المسلمين بالنسبة لدار الإسلام فهم صنفان : أهل حرب ، وأهل عهد.

ومجال هذا البحث من أهل الصنف الثاني ، وهم أهل العهد وينقسمون إلى ثلاثة

أقسام :

قال ابن القيم (رحمه الله) : « وأهل العهد ثلاثة أصناف : أهل ذمة ، وأهل هدنة ،

وأهل أمان ، وقد عقد الفقهاء لكل صنف باباً فقالوا : باب الهدنة ، باب الأمان ، باب

(١) سورة القصص : الآية ٦٨ .

(٢) سورة يوسف : الآية ١٠٣ .

(٣) سورة يونس : الآية ٩٩ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .

عقد الذمة. ولفظ الذمة والعهد يتناول هؤلاء كلهم في الأصل ، وكذلك لفظ الصلح فإن الذمة من جنس لفظة العهد والعقد ، وقولهم : «هذا في ذمة فلان» أصله من هذا أي في عهده وعقده... وهكذا لفظ الصلح عام في كل صلح ، وهو يتناول صلح المسلمين بعضهم مع بعض وصلحهم مع الكفار ، ولكن في اصطلاح كثير من الفقهاء «أهل الذمة» عبارة عنم يؤدي الجزية ، وهؤلاء لهم ذمة مؤبدة ، وهؤلاء قد عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم الله ورسوله ، إذ هم مقيمون في الدار التي يجري فيها حكم الله ورسوله ، بخلاف أهل الهدنة فإنهم صالحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم سواء كان الصلح على مال أو غير مال ، ولا تجري عليهم أحكام الإسلام كما تجري على أهل الذمة، لكن عليهم الكف عن محاربة المسلمين وهؤلاء يسمون أهل العهد وأهل الصلح وأهل الهدنة .

وأما المستأمن فهو الذي يقدم بلاد المسلمين من غير استيطان لها ، وهؤلاء أربعة أقسام رسل ، وتجار ، ومستجيرون حتى يعرض عليهم الإسلام والقرآن فإن شاءوا دخلوا فيه، وإن شاءوا رجعوا إلى بلادهم ، وطالبوا حاجة من زيارة وغيرها ، وحكم هؤلاء أن لا يهاجروا ، ولا يقاتلوا ، ولا تؤخذ منهم الجزية ، وأن يعرض على المستجير منهم الإسلام والقرآن فإن دخل فيه فذاك ، وإن أحب اللحاق بمأمنه ألحق به ، ولم يعرض له قبل وصوله إليه فإذا وصل مأمنه عاد حربيا كما كان<sup>(١)</sup> .

وفي ضوء ما سبق ، تكون أصناف غير المسلمين المقيمين في دار الإسلام ثلاثة : معاهد ومستأمن وذمي ، والفرق بينهم أن المعاهد هو من أخذ عليه العهد من الكفار والمستأمن هو من دخل دارنا منهم بأمان ، والذمي من استوطن دار الإسلام بتسليم الجزية<sup>(٢)</sup> .

(١) ابن القيم ، أحكام أهل الذمة ، ج٢ ، ص ٤٧٦ .

(٢) انظر : عبد الرحمن بن قاسم ، حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع ، بدون ، ط٣ ، ١٤٠٥هـ ، ج٤ ، ص ٣٠٢ .

وتختص جزيرة العرب بعدم جواز بقاء غير المسلمين فيها بقاءً دائماً ، فلا تعقد لهم الذمة فيها وإنما يفدون إليها بعقد أمان عند الضرورة والحاجة<sup>(١)</sup>.

وعلى ذلك فالمستأمن اليوم هو من قدم بإذن خاص وهو ما يسمى «تأشيرة دخول» وعلى ضوء عقد أمان للقيام بعمل أو قضاء حاجة ، والأمان من نظم الإسلام الدالة على سماحته ، حيث يبيح للمستأمن الدخول في دار الإسلام لأغراض متعددة ويوجب على المسلمين حمايته مادام في دار الإسلام .

واقامة المستأمن في بلاد الإسلام إقامة مؤقتة ، بخلاف عقد الذمة فهو يقتضي إقامة مؤبدة ولذلك فالمستأمن ليس من دار الإسلام حيث لا يحق له الإقامة الدائمة بها بخلاف الذمي فهو من أهل دار الإسلام<sup>(٢)</sup>، وهنا يحق للباحث أن يلفت الأنظار إلى مجانية الصواب في الرأي القائل: « للمستأمن أن يدخل ديار الإسلام ويقيم فيها إقامة دائمة ومؤقتة»<sup>(٣)</sup>.

هذا ومن حق المقام علينا أن نذكر بأن عقد الأمان ينتقض بالاعتداء على مسلم بقتل ، أو زنا ، أو قذف ، أو تجسس ، أو إيواء جاسوس ، أو ذكر الله ورسوله وكتابه بسوء<sup>(٤)</sup>.  
\* أما عن أصناف غير المسلمين بالنسبة للدعوة فهم ثلاثة أصناف :

الأول : من بلغتهم الدعوة الإسلامية واضحة بينة وعلموا كل شيء عن الإسلام ورسوله بواسطة الدعاة أو المجاورة أو المخالطة أو غير ذلك<sup>(٥)</sup> ، وهؤلاء مسؤولون يحاسبون إن لم يقبلوا دعوة الإسلام ويدخلوا فيه ، ويتوعدون بالنار إن ماتوا على كفرهم .

(١) انظر : تقي الدين السبكي ، الفتاوى ، دار الجليل ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج١ ، ص ٣٨٢ .

(٢) انظر : الشيباني ، شرح السير الكبير ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، بدون ، ج١ ، ص ١٤٠ ، وانظر : د. عبد الكريم زيدان ، أحكام الذميين والمستأمنين ، ص ٦٧ .

(٣) د. إبراهيم سليمان عيسى ، معاملة غير المسلمين في الإسلام ، دار المنار ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ ، ص ١٨ .

(٤) انظر : يوسف بن عبد الهادي الخنيلي ، مغني ذوي الأفهام ، شركة المدينة للطباعة ، ط ١ ، ١٣٨٨ هـ ، ص ٧٥ .

(٥) انظر : محمد الغزالي ، مع الله ، ص ٦٦ .

الثاني : من لم تبلغهم الدعوة الإسلامية أصلاً ولم يعلموا شيئاً عن الإسلام ولا عن رسوله ﷺ فهؤلاء غير مؤاخذين وحكمهم حكم أهل الفترة ، ولكنهم يلقون بالتبعية على المسلمين في عدم تبليغهم الإسلام ، لاسيما في هذا العصر الذي تعددت فيه وسائل التبليغ واقتربت فيه الأمم من بعضها البعض ، فحق على أهل الإسلام أن يوصلوا دعوة الله إلى كل أحد .

الثالث : وهم من علموا بالدعوة الإسلامية وسمعوا عن رسول الله ﷺ ولكن بصورة مشوهة منكرة ، كأن يقال : إن كذاباً مدلساً ادعى النبوة ، وإن الإسلام دين الرجعية والتخلف ، فهذا حكمه حكم أهل الفترة أيضاً لأن ما يعلمه كعدمه<sup>(١)</sup> ، قال الشيخ محمد ابن عثيمين<sup>(٢)</sup> : « إذا كان الرجل لا يسمع عن الإسلام إلا شيئاً مشوهاً ، وأنه ليس بدين وأنه نحلة انتحلها رجل من الناس فهذا حكمه حكم أهل الفترة ، يعامل ظاهراً على أنه على دينه الذي هو عليه ، وفي الآخرة أمره إلى الله »<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر : محمد الغزالي ، مع الله ، ص ٦٦ .

(٢) محمد بن صالح بن عثيمين ، عضو هيئة كبار العلماء بالملكة ، أستاذ بكلية الشريعة جامعة الإمام فرع القصيم ، له العديد من المؤلفات في التفسير والتوحيد والفقه والأصول ، حاز على جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام عام ١٤١٤ هـ ، انظر : الموسوعة العربية العالمية ، ج ٨ ، ص ٩٢ .

(٣) ابن عثيمين ، دعوة الجاليات ، محاضرة أقيمت في ١٩/٦/١٤١٤ هـ في مدينة الرياض « شريط » .



\* الحكمة من بقاء غير المسلمين في المجتمع الإسلامي .

من سماحة هذا الدين أنه أذن لخصومه أن يعيشوا في أرضه مع بقائهم على دينهم وعدم إكراههم على الإسلام ، ولم يخل عصر من العصور من وجود غير المسلمين داخل المجتمع المسلم ، يعيشون بين المسلمين ، وينعمون بالأمن على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ولا يعني بقاءهم داخل المجتمع المسلم بأي وجه من الوجوه الرضا بما هم عليه من الكفر بالله، فإن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر ، وإنما أذن الشارع لهم بالبقاء لحكم عديدة منها:

١ - أن يخالطوا المسلمين ويتأملوا في محاسن الإسلام وشرائعه وينظروا فيها ، فيجدوها مؤسسة على ما تحتمله العقول وتقبله ، فيدعوهم ذلك إلى الإسلام ، ويرغبهم فيه ، فيدخل في الإسلام بعضهم وهذا أحب إلى الله من قتلهم ، والمقصود من ذلك أن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله<sup>(١)</sup> .

٢ - إن عدم اختلاطهم بالمسلمين يفوت هذه المصلحة ، وهي معرفتهم بالإسلام قال السبكي<sup>(٢)</sup> (رحمه الله) : « وعدم اختلاطهم يبعدهم عن معرفة محاسن الإسلام ، ألا ترى من الهجرة إلى زمن الحديبية لم يدخل في الإسلام إلا قليل ، ومن الحديبية إلى الفتح دخل فيه نحو عشرة آلاف ؛ لاختلاطهم بهم للهدنة التي حصلت بينهم فهذا هو السبب في مشروعية عقد الذمة »<sup>(٣)</sup> .

٣ - إن المخالطة بهم سبب رئيس في إسلام أهل الكتاب بصفة خاصة ؛ لأنهم يشهدون بأصل النبوت واليوم الآخر ، وفي كتبهم ذكر للنبي ﷺ وصفاته والبشارة به .

(١) انظر : ابن القيم ، أحكام أهل الذمة ، جـ ١ ، ص ١٨ .

(٢) تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي ، قال ابن العماد : كان محققاً مدققاً له في الفقه وغيره الاستنباطات الجليلة والدقائق والقواعد المحررة ، صنف نحو ١٥٠ كتاباً مطولاً ، توفي بمصر ، عام ٧٥٦ هـ ، انظر : ابن العماد ، شذرات الذهب ، جـ ٦ ، ص ١٨٠ .

(٣) تقي الدين السبكي ، الفتاوى ، جـ ٢ ، ص ٤٠٤ .

٤ - ومن الحكم ما ذكره ابن الجوزي<sup>(١)</sup> (رحمه الله) من أن وجود أهل الكتاب وتعبدهم وحفظهم شرع نبهم عيسى ليس ببدع من الرسل، فقد اجتمعت الجن وهم على إثبات الصانع والإقرار بالرسل، فإن أننا ما ابتدعنا ما لم يكن<sup>(٢)</sup>.

٥ - ومن الحكم أيضا أنهم يصبرون على باطلهم ويؤدون الجزية، فكيف لا نصبر على حق والدولة لنا<sup>(٣)</sup>.

٦ - ومن الحكم الاستفادة من خبرات غير المسلمين وطاقاتهم، وقد جاء في كتاب عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) إلى عدي بن أرطاة<sup>(٤)</sup> «أما بعد فإن الله سبحانه إنما أمر أن تؤخذ الجزية ممن رغب عن الإسلام واختار الكفر عتيا وخسرانا مبينا، فضع الجزية على من أطاق حملها وخل بينهم وبين عمارة الأرض، فإن في ذلك صلاحا لمعاش المسلمين وقوة على عدوهم<sup>(٥)</sup>».

ومن الأمور التي جاءت تبعاً لبقائهم، الجزية التي تؤخذ من غير المسلمين الذين يرغبون بالبقاء الدائم في بلاد الإسلام، ولم تكن الحكمة من بقائهم الرغبة في أموالهم قال النووي: «وليس المقصود من عقد الذمة تحصيل المال عن طريق الجزية<sup>(٦)</sup>»، لكن هذه الجزية جاءت جزاءً لإصرارهم على الكفر، وهي أيضاً مقابل حماية المسلمين لهم في دارالإسلام، ولذلك فإن الجزية في بلاد الإسلام مصدر مالي غير مقصود بذاته من غير

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، ولد عام ٥٠٨هـ، صنف في التفسير والتاريخ والوعظ، من كتبه زاد المسير في علم التفسير، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، توفي عام ٥٩٧هـ، انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص ٣٦٥.

(٢) انظر: ابن الجوزي، صيد الخاطر، دار الفكر، دمشق، ط ٣، ١٣٩٩هـ، ص ٧١.

(٣) انظر: ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص ٧١.

(٤) عدي بن أرطاة الفزاري الدمشقي، أمير البصرة لعمر بن عبد العزيز، توفي عام ١٠٢هـ، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص ٥٣.

(٥) أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأموال، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، ١٩٨٧م، ص ٥٦.

(٦) النووي مغني المحتاج، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، ج٤، ص ٢٤٢.

المسلمين ، وعلى ذلك يحمل قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حيث قال : « أوصيكم بدمة الله فإنهم دمة نبيكم ورزق عيالكم »<sup>(١)</sup> . أي : ما يؤخذ منهم من الجزية والحراج ، قال في الفتح: فيه حسن النظر إلى عواقب الأمور والاصلاح لمعاني المال وأصول الاكتساب<sup>(٢)</sup> .

إن الاستفادة من جهود غير المسلمين وخبراتهم في المجتمع الإسلامي ليست وليدة العصر الحاضر ، فلا يتصور بقاء غير المسلمين في ديار الإسلام دون أن يكون لهم أثر في الحياة العامة .

ولو نظرنا إلى التاريخ لوجدنا أن غير المسلمين « قد تخصصوا ببعض الأعمال في المجتمع الإسلامي ، فبالإضافة إلى الذين يعملون منهم في مجال الزراعة والصناعة والتجارة، فإن هناك منهم الصيارفة في الشام والعراق وكان معظمهم من اليهود ، كما أن أن منهم الأطباء ، وكان معظم أطباء الخلفاء في العصر العباسي من النصارى، كما أن معظم المترجمين في العصر العباسي نصارى أيضاً، وكان منهم أيضاً الأدباء والشعراء والعلماء »<sup>(٣)</sup> .  
والجزيرة العربية لم تكن تستقطب أعداداً كبيرة من غير المسلمين لأسباب منها :  
عدم مشروعية استيطانهم فيها فلا تعقد لهم الذمة فيها ، كما لا يسمح لهم باقامة دور عبادة لهم فيها .

ثم إن جزيرة العرب من الناحية الاقتصادية كانت تعاني من قلة الموارد والثروات ، فهي صحاري قاحلة تقل فيها المياه ، ويقل تبعاً لذلك استيطان الناس فيها .

وفي العصر الحاضر شهدت منطقة الجزيرة العربية والخليج بعد اكتشاف النفط فيها تدفق العمالة الأجنبية إليها من المسلمين وغير المسلمين كما « يعتبر عام ١٩٧٥م نقطة فاصلة في تطور الهجرة إلى أقطار الخليج العربي ، وبالتالي في حجم وتركيب قوة العمل

(١) رواه البخاري ، كتاب الجزية والموادعة ، باب الوصية بأهل ذمة رسول الله ﷺ ، ج٣ ، ص١١٥٤ ، رقم الحديث ٣١٦٢ .

(٢) انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ج٦ ، ص ٢٦٧ .

(٣) أنور الرفاعي ، الإسلام في حضارته ونظمه ، دار الفكر ، دمشق ، ط٣ ، ١٤٠٦هـ ، ص ٢٦٢ ، بتصرف .

والسكان فيها ، ويعود ذلك إلى موجة الإنفاق الضخمة التي ترتبت على تصحيح أسعار النفط عام ١٩٧٣»<sup>(١)</sup> .

وتنقسم العمالة الوافدة إلى الخليج إلى ثلاث مجموعات رئيسة من الجنسيات هي العرب ، والآسيويون ، والغربيون ، وبين هذه الجنسيات فروق واضحة في طبيعة العمل ، كما أن هناك فرقاً كبيراً في نسبة الوافدين من كل دولة .

وقد كثرت الدراسات في السنين المتأخرة عن العمالة الوافدة إلى بلدان الخليج ؛ من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ؛ ومن ناحية الهجرة والاختلاط والأثر الثقافي ، لكن تلك الدراسات كلها تعاني من ندرة المعلومات الكافية الموثقة عن وجود هؤلاء وقد يعود ذلك إلى أسباب منها :

١ - تنقل هؤلاء وقصر مدة إقامتهم .

٢ - عدم وجود إحصاءات تصنف هؤلاء تصنيفاً دقيقاً .

وقد عانى الباحث من ندرة المعلومات السكانية المتوافرة التي تخدم البحث .

ويمكن القول بوجه عام أن « السعودية تعد من الدول التي حرصت على الالتزام بمبدأ إعطاء الأولوية في الاستقدام للعمالة العربية ثم الأجنبية درءاً للأخطار المتوقعة ، وحفاظاً على الهوية العربية»<sup>(٢)</sup> ، كما أن المملكة العربية السعودية لم تركز على جنسية واحدة في الاستقدام مما يقلل من فرصة وجود التكتلات البشرية ، فإن وجود العمالة ليست مشكلة ، ولكن المشكلة كثافتها من جنس واحد .

إن « الوضع الاقتصادي العالمي للنفط اليوم له انعكاسه على النشاط الاقتصادي في

(١) نادر فرجاني وآخرون ، العمالة الأجنبية في أقطار الخليج العربي ، مجموعة أبحاث من منشورات المعهد العربي للتخطيط ، الكويت ١٩٨٣ م ، ص ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٤٢ .

دول الخليج وبالتالي في حجم وتركيب قوة العمالة الوافدة<sup>(١)</sup> ، فمع تدهور أسعار النفط بدأت دول الخليج بتقليص عدد العمالة الوافدة ومحاولة الاعتماد على اليد المحلية تطبيقاً لسياسة الإحلال الوطنية .

وفي هذا الفصل يعرض الباحث لأبرز السمات الاجتماعية والثقافية لغير المسلمين، ومدلول هذه السمات وأثرها في دعوتهم ، كما يعرض لحقوق الجالية غير المسلمة وواجباتها ، وقبل البدء في ذلك يبين الباحث المقصود بلفظ الجاليات الذي يطلقه البعض عند الحديث عن دعوة غير المسلمين .

(١) نادر فرجاني ، العمالة الأجنبية في أقطار الخليج العربي ، ص ٢٧ .

\* المقصود بالجالية :

شاع استخدام كلمة الجاليات في العصر الحاضر ، وهي تطلق على مجموعات المهاجرين من أي دولة أياً كان غرض الهجرة ، كما استخدمت هذه الكلمة في مجال الدعوة عندما قامت مكاتب الدعوة بإضافة توعية الجاليات إلى مهمتها ، ولتحرير اللفظ واستعماله على الوجه الصحيح كان الرجوع إلى معاجم اللغة للبحث عن أصل الكلمة واشتقاقها .

قال ابن منظور<sup>(١)</sup> : «جلا القوم عن أوطانهم يجلون وأجلوا : إذا خرجوا من بلد إلى بلد... والجالية : لفظ يطلق على أهل الذمة ، وإنما سموا بهذا الاسم لأن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أجلاهم عن جزيرة العرب ، فسموا جالية ، ولزمهم هذا الاسم أين حلوا ، ثم لزم كل من لزمته الجزية من أهل الكتاب بكل بلد ، وإن لم يجلبوا عن أوطانهم ... كما يطلق الجالية على الذين جلبوا عن أوطانهم ، والجالية مثل الجالية ، ويقال استعمل فلان على الجالية أي على جزية أهل الذمة»<sup>(٢)</sup> .

وجاءت الجالية على اللفظ المفرد بتأويل الجماعة كالمعتزلة ونحوها ، والعامية تطلق الجالية على نفس الجزية ، وجمع الجالية جوال<sup>(٣)</sup> .

وفي المعجم الوسيط : الجالية الذين جلبوا عن أوطانهم ، أو جماعة من الناس تعيش في وطن غير وطنهم الأصلي<sup>(٤)</sup> .

وعلى ذلك فلفظ الجالية يقصد به الذين جلبوا عن أوطانهم ، وهو عند إطلاقه في دار الإسلام ينصرف إلى أهل الذمة غالباً .

(١) أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري ، له نظم ونثر ، اختصر تاريخ بن عساكر ، أشهر كتبه لسان العرب ، توفي بمصر ، عام ٧١١هـ ، انظر : ابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٦ ، ص ٢٦ .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، ص ١٤٩ .

(٣) انظر : بطرس البستاني ، محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ص ١١٩ .

(٤) انظر : المعجم الوسيط ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٣هـ ، ج١ ، ص ١٣٢ .

**المطلب الأول**  
**مدلول السمات الثقافية والاجتماعية**  
**وأهميتها في الدعوة**

**الفرع الأول**  
**مدلول السمات الثقافية والاجتماعية**

**الفرع الثاني**  
**أهمية معرفة الدعوة للسمات الاجتماعية**  
**والثقافية لغير المسلمين**

## الفرع الأول مدلول السمات الثقافية والاجتماعية

تعد مشكلة التعريف من أعقد المشاكل في ميدان العلوم النظرية ، فما زالت كثير من المصطلحات الحديثة بحاجة إلى تعريفات جامعة مانعة ، « فالعلوم الطبيعية والعلوم الرياضية المسماة علوماً دقيقة ، غالباً ما تتخلص من التعريفات اللغوية بفضل المنطق الشكلي ، إذ تستبدل هذه العلوم الكلمات برموز اصطلاحية تكون محددة المعالم محصورة الدلالة ، أما التعريف بواسطة الكلمات فيكتفه دائماً إطار واسع من المدلولات المتداخلة ، المتوافقة حيناً ، والمتنافرة حيناً آخر ، الأمر الذي يقود إلى الالتباس وبالتالي إلى الغموض فالإبهام »<sup>(١)</sup>.

ولذلك فمن الصعوبة تحديد مدلول السمات الاجتماعية والثقافية ، فالثقافة والاجتماع من « الألفاظ المعنوية التي يصعب على الباحث تحديدها ، شأنها في ذلك شأن معنى المعرفة ، أو الفكر ، أو الفن ، أو المدنية ، أو التربية ، وذلك لأنها مصطلحات تجري على الألسن دون وضوح مدلولاتها في أذهان مستعملها وضوحاً مميزاً »<sup>(٢)</sup>.

فالثقافة مثلاً لها أكثر من ١٥٠ تعريفاً ، والذين يعرفون الثقافة يجعلونها شاملة لكل شيء في حياة الإنسان<sup>(٣)</sup>.

إن السمات الاجتماعية والثقافية لكل مجتمع هي وحدة متكاملة يصعب فصلها ،

- (١) د. سمير أيوب ، تأثيرات الأيديولوجيا في علم الاجتماع ، معهد الانماء العربي ، بيروت ، ط ١ ، عام ١٩٨٣م ، ص ٢٣ .  
(٢) د. علي السالوسي وآخرون ، دراسات في الثقافة الاسلامية ، مكتبة الفلاح ، الكويت ط ٢ ، ١٤٠١ ، ص ٨ .  
(٣) انظر : د. عبد العليم مرسي ، الثقافة والغزو الثقافي في دول الخليج العربية ، مكتبة العبيكان ، الرياض ط ١٤١٥ هـ ، ص ٣٢ .



وهي متداخلة وتؤثر ببعضها البعض ، فاللغة كسمة اجتماعية هي العامل الموصل للثقافة كما أن الثقافة تنمو من خلال العلاقات الاجتماعية بين الناس ، وكثير من السمات الاجتماعية تدرس على أنها سمات ثقافية والعكس أيضاً .

ولذلك يرى بعض الباحثين أن الثقافة تتخلل كل جزء من أجزاء حياة الإنسان الاجتماعية وتزحف على كل نشاط يقوم به ، وكل تفكير يخطر له وكل سلوك يقوم به<sup>(١)</sup> .

كما يجد الباحث مع هذا التداخل وجود خلط في مصدر الثقافة عند من تكلموا في تعريفها ، فأحد الباحثين يعرف الثقافة بأنها « نتاج العقل الإنساني من تفكير وعلم فن وأدب وتكنولوجيا<sup>(٢)</sup> » ويقول في موضع آخر إن الثقافة تشمل : « الفن والموسيقى والعمارة والأدب والعلم والتكنولوجيا والفلسفة والدين وأشياء أخرى لا يمكن حصرها<sup>(٣)</sup> » .

فقوله : إن الثقافة نتاج العقل الإنساني ، وإدخاله الدين ضمن الثقافة لا ينطبق على الدين الإسلامي الذي مصدره الوحي الإلهي وليس العقل الإنساني .

أما الديانات الأخرى غير الإسلام فينطبق عليها ذلك لأن العقل له أثره الكبير عليها سواء في تحريفها كالنصرانية واليهودية ، أو وضعها وإنشائها كالهندوسية والبوذية والجينية والكنفوشية وغيرها .

ولذلك سوف يعتمد الباحث إلى تقسيم إجرائي في هذا البحث ، يتحدث فيه أولاً عن الدين كظاهرة مستقلة في كل مجتمع وسمة بارزة فيه ، ثم يعرض بعد ذلك لأبرز السمات الاجتماعية والثقافية لغير المسلمين في مدينة الرياض .

وتشمل السمات الاجتماعية : التركيب العمري والنوعي لغير المسلمين ، كما تشمل علاقاتهم الاجتماعية ، والأسرية ، وأسباب قدومهم إلى المملكة .

أما السمات الثقافية فتشمل : التعليم واللغة .

(١) انظر : د. عاطف غيث علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٠م ، ص ١٣٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

## الفرع الثاني أهمية معرفة الدعاة للسمات الاجتماعية والثقافية لغير المسلمين

تعد معرفة السمات الثقافية والاجتماعية لغير المسلمين من الأمور المهمة في الدعوة ، إذ لا يتصور نجاح دعوة قوم بعيداً عن فهم ودراسة مجتمعهم وواقعهم الذي يعيشون فيه دراسة وافية، تلم إجمالاً بالظروف والمشكلات الظاهرة في المجتمع ، وتبين النواحي الإيجابية والسلبية في أفراد المجتمع ، ومن ثم الإفادة منها في دعوتهم إلى الإسلام ، وربما كان رائد ذلك - في نظر الباحث - المعرفة الجغرافية الصحيحة .

إن كثيراً من الجغرافيين قديماً كتبوا عن البلاد التي يعيشون فيها أو تلك البلاد التي رحلوا إليها ، فظهر في كتاباتهم ورحلاتهم وصف الأرض وسكانها الذين يعيشون فيها . ومعظم السمات الاجتماعية والثقافية ، من الأمور التي يتناقلها الناس قديماً وحديثاً ، وربما أغفلوا تدوينها ؛ لأنها ظاهرة ومعلومة لكل أحد ولا تحتاج إلى تدوين .

ويرى الباحث أن الجغرافياً تخدم كثيراً في مجال الدعوة إذا وجهت فيها البحوث والدراسات لخدمة الدعوة .

وإذا كانت المعرفة الجغرافية الصحيحة قد أدت عملها في بلاد الغرب لخدمة حركة التنصير، فإنها في كثير من بلاد المسلمين لم تؤد - حتى الآن - عملها الكامل المنشود لخدمة الدعوة الإسلامية ، فكتب الجغرافياً - في الغالب - لا تعطي الصورة الواضحة للسمات الاجتماعية والثقافية للدول غير الإسلامية ، بل حتى الجغرافيين أنفسهم يركزون على المعرفة بتلك الدول من الناحية الطبيعية ( السطح ، المناخ ، والنبات ، والثروات الطبيعية .... ) في حين أن معرفتهم قليلة في مجال السكان ، وعاداتهم ، وطبائعهم ، وغير ذلك من الأمور التي تخدم الدعوة وتسهل مهمتها .

ولعل للنصارى النصيب الأكبر في ذلك حيث سخرروا كل المعارف والظروف الاجتماعية في سبيل نشر دعوتهم المحرفة ، وعندما بدأت رحلاتهم إلى القارة الأفريقية مثلا لم تقف المعلومات التي كانوا يسعون إليها عند كنوز وخيرات القارة ، بل اهتمت كثيراً بالسكان وأحوالهم ولغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ولا زال تاريخ القارة الأفريقية في العصر الحديث وجغرافيتها يعتمد على كتابات الرحالة والمستكشفين النصارى الذين جابوا أرجاء القارة في مراحل كشفها واستعمارها .

لقد كانت رحلات الأوروبيين إلى القارة الأفريقية متعددة الأغراض و « أخذت الجمعيات الجغرافية في أوروبا بزمام المبادرة ، ووظفت الرحلة الجغرافية توظيفاً يخدم تطلعات الفتح الأوربي ، سواء وهو يطلب الكشف الجغرافي عن الأرض ، أو وهو يجهز للاستعمار ، أو وهو يحمل لواء التبشير ، ولقد شددت الدول الأوروبية على قيمة الرحلة الجغرافية ، وباركت الكنيسة تحرك الرحلة وبشرتها برضوان الله »<sup>(١)</sup>.

وهذه المعارف التي جمعها الرحالة الأوروبيون وظفت فيما بعد لخدمة التنصير ، فكان المنصرون يتقنون لغة المدعوين ويحيطون بثقافتهم وأفكارهم ، كما يقومون بتدريسها لئلي جنسهم.

فمن ذلك مثلاً زويمر - المبشر النصراني - كان يتقن اللغة العربية وكان عالماً بالإسلاميات<sup>(٢)</sup>.

كما قضى كريدز - وهو أحد المبشرين النصارى - ١٦ عاماً يدرّس اللغة العربية والإسلامية للمتطوعين ومواطني البلد العاملين في مجال التنصير ؛ لأنه كان يعتقد بضرورة معرفة أفكار أولئك الذين يحاول الوصول إلى قلوبهم وعقولهم معرفة دقيقة شاملة<sup>(٣)</sup>.

(١) د. صلاح الدين الشامي ، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٢م ، ص ١٩٣ .

(٢) انظر : التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ، الترجمة الكاملة لأعمال مؤتمر كلورادو عام ١٩٧٨م ، ص ٣٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٢ .

وكان زويمر يقول : « إذا أرادت الكنيسة أن توصل الكتاب المقدس إلى العالم الإسلامي فعلينا أولاً أن نعرف العالم الإسلامي ونفهمه »<sup>(١)</sup>.

إن هذا المنهج لم يكن بدعاً من النصارى ، وإنما كان للمسلمين الأوائل فضل السبق في ابتكار هذا المنهج والعمل به ، وما انتشرت الدعوة قديماً وحديثاً إلا وكان التصور الصحيح والمعرفة التامة بالمدعوين سبباً تالياً لفضل الله تعالى في نجاحها ، وإن الدعوة لا تؤتي ثمارها المرجوة ما لم تكن مرتكزة على معرفة واضحة تامة بأحوال المدعوين الاجتماعية والثقافية وغيرها .

وقد تقدم الحديث أن الأنبياء ينطلقون في دعوتهم من البيئة التي يعيشون فيها وأنهم يعلمون تماماً سمات المدعوين وأحوالهم وكذلك الدعاة قديماً وحديثاً على دراية تامة بسمات المدعوين ، وقدوتهم في ذلك المصطفى ﷺ ، وشواهد ذلك من سيرته لا تحصى ، فمن ذلك عندما اشتد أذى قريش على أصحابه أمرهم في البداية أن يهاجروا إلى الحبشة ، وحين مات النجاشي ملك الحبشة قال ﷺ « مات اليوم رجل صالح ، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة »<sup>(٢)</sup> ، ثم أمرهم بعد ذلك بالهجرة إلى المدينة ، وفي ذلك دليل على إحاطته بتلك المجتمعات ومعرفة بها .

وكما كان ﷺ يعرف الأقباط كان يعرف الأفراد أيضاً ، ففي صحيح البخاري أن قريشاً بعثت في صلح الحديبية رجلاً من بني كنانة<sup>(٣)</sup> ، فلما أشرف على رسول الله ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ : « هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له » ، فبعث له واستقبله الناس يلبون ، فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن

(١) انظر : التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ، الترجمة الكاملة لأعمال مؤتمر كلورادو عام ١٩٧٨ م ، ص ٣٣ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب موت النجاشي ، ج ٣ ، ص ١٤٠٧ ، رقم الحديث ٣٨٧٧ ، وانظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ج ٧ ، ص ١٨٨ ، وابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٣٢١ .

(٣) هو الخليل بن علقمة ، أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، كان سيد الأحابيش ، انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٣١٢ .

البيت، كما بعثت مكرز بن حفص<sup>(١)</sup> أيضاً ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال : « هذا مكرز وهو رجل فاجر »<sup>(٢)</sup> .

وكان ﷺ يخاطب الملوك والرؤساء بالدعوة فلا يهمل مكانتهم الاجتماعية في دولهم فيخاطب ملك الروم بقوله « من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم »<sup>(٣)</sup> .  
كما أن النبي ﷺ شأنه شأن الأنبياء من قبله عاش في قومه قبل البعثة ، وأحاط معرفة بسماتهم وظروف معيشتهم ، وذلك مما يسهل على كل رسول مهمته ، قال تعالى :  
﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ، ليبين لهم ، فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾<sup>(٤)</sup> .

واقطفى الصحابة (رضوان الله عليهم) ومن بعدهم أثر النبي ﷺ في ذلك ، جاء في تفسير المنار : « وقد كان الصحابة ( رضي الله عنهم ) أعلم أهل زمانهم بالتاريخ وما يسمى الآن بتقويم البلدان وبالجغرافيا ، ولذلك أقدموا على الفتوح ومحاربة الأمم ، فانتصروا عليهم بالعلم لا بالجهل ، فلو كانوا يجهلون مسالك بلادهم وطرقها ومواقع المياه وما يصلح موقعا للقتال فيها لهلكوا ، وكان الجهل أول أسباب هلاكهم ، ومن قرأ ما حفظ من خطبهم وكتبهم التي كانوا يتراسلون بها ومحاوراتهم في تدبير الأعمال يظهر له ذلك بأجلى بيان»<sup>(٥)</sup> .

(١) مكرز بن حفص بن الأخيف ، اختلف في صحته ، انظر : ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٥ ، ص ٤٣٦ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ، جـ ٢ ، ص ٩٧٤ ، رقم الحديث ٢٧٣١ .

(٣) رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، جـ ١ ، ص ٩ ، رقم الحديث ٧ ، ورواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ، جـ ٦ ، ص ٣٤٦ ، رقم الحديث ١٧٧٣ .

(٤) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

(٥) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم (المنار) ، جـ ٤ ، ص ٤٠ .

فالصحابة (رضي الله عنهم) كانوا بسلامة فطرتهم ، وذكاء قريحتهم ، وبما هداهم القرآن بآياته ، والرسول ﷺ ببيانه وسيرته ، على بصيرة بحال من توجه إليهم الدعوة ، وأبو بكر (رضي الله عنه) وهو أفضل الصحابة ، عُرف عنه أنه أنسب العرب ، وكان ذلك من جملة الأسباب في ارتضاء الصحابة لخلافته (رضي الله عنه) ، قال صاحب تفسير المنار: «ومعنى ذلك أنه كان أعلم الصحابة بأحوال قبائل العرب وبطونها ، وتاريخ كل قبيلة وسابق أيامها وأخلاقها ، كالشجاعة والجن ، والأمانة والخيانة ، ومكانها من الضعف والقوة ، والغنى والفقر ، وما كان إقدامه - مع لينة وسهولة خلقه - على حرب أهل الردة إلا لهذا العلم الذي كان به على بصيرة»<sup>(١)</sup>.

ومع انتشار الفتوحات الإسلامية بدأ الرحالة المسلمون يجوبون بلاد الإسلام ، بل ويتجاوزونها إلى غيرها من البلاد الأخرى ، وألفوا الكتب التي خلدت ذكراهم إلى هذا اليوم ، وحث كتبهم وصفا دقيقا للشعوب التي رأوها ، وهي برهان على صبرهم ، وشاهد على جدهم في البحث العلمي الدؤوب ، فكانوا مثار إعجاب الأمم والأفراد يقول أحدهم : «الرحالة العرب وهم من أعظم الرحالة جميعاً يذهبون إلى بلاد بعيدة ، ليكتشفوا ما تقوم به الشعوب الأخرى وما تفكر به ، وليدرسوا ويفهموا فلسفاتها وعلومها وأساليب حياتها»<sup>(٢)</sup>. ومن أولئك الرحالة أبو الريحان البيروني<sup>(٣)</sup> الذي زار الهند وألف كتابا عنها يعد من أنفس ما كتب عن بلاد الهند ، وكان من جملة أسباب وضعه كما ذكر في مقدمته « ليكون نصرة لمن أراد مناقضتهم ، وذخيرة لمن رام مخالطتهم»<sup>(٤)</sup> ، وضمّن البيروني كتابه السمات البارزة لساكني بلاد الهند في ذلك العصر من اللغة والدين والرسوم والعادات ،

(١) محمد رشيد رضا ، تفسير القرآن الحكيم ( المنار ) ، جـ ٤ ، ص ٣٩ ، ٤١ ( بتصرف ) .

(٢) جواهر لال نهرو ، اكتشاف الهند ، ترجمة فاضل جتكر ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٩م ، جـ ١ ، ص ٣٦٠ .

(٣) هو محمد بن أحمد البيروني ، توفي عام ٤٤٠ هـ ، له عدة مؤلفات منها : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، وكتابه عن الهند تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ، انظر ترجمته في نفس الكتاب .

(٤) البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ ، ص ١٥ .

وذكر أن من طبائعهم وأخلاقهم : الغطرسة ، والحمق ، والعجب ، وتبلد الإحساس ، واعتقادهم أنه لا بلد مثل بلدهم ، ولا أمة مثل أمتهم ، ولا ملوك مثل ملوكهم ، ولا علوم مثل علومهم<sup>(١)</sup> ويعلق على هذا الوصف صاحب كتاب اكتشاف الهند<sup>(٢)</sup> - وهو هندي الأصل - بقوله : « ربما كان هذا وصفا صحيحا لمزاج الشعب »<sup>(٣)</sup> ، كما رثى صاحب كتاب اكتشاف الهند ، حال الهند وانغلاقها على نفسها في ذلك الوقت وهو وقت ازدهار العلوم الإسلامية ويعبر عن ذلك بقوله : « ظل الهنود متحفظين منغلقيين على أوامهم المغرورة الخاصة .. وقد كان ذلك بانسا يدعو للأسف لأن خميرة بغداد الثقافية ، وحركة النهضة العربية كانتا مؤهلتين لتحريك العقل الهندي »<sup>(٤)</sup> .

كما أن البيروني وهو يعرض لتلك السمات لمجتمع الهند يبين أثرها في دعوتهم ، ويذكر أيضا أن من أسباب رفضهم للإسلام النظام الطبقي في بلادهم ، فيقول : « إن مخالفتنا إياهم وتسويتنا بين الكافة إلا بالتقوى أعظم الحوائل بينهم وبين الإسلام »<sup>(٥)</sup> ، ولم تكن بلاد الغرب أقل حظا من بلاد الشرق في التدوين والكتابة عند علماء المسلمين ، فعندما بعث ملك الصقالبة رسالة إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله<sup>(٦)</sup> سنة ٣٠٩ هـ يسأله فيها أن يعث له من يفقهه في الدين ويعرفه شرائع الإسلام ، بعث الخليفة إليه أحمد ابن

(١) انظر : البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة ، ص ١٧-٢٠ .

(٢) جواهر لال نهرو ، كان أول رئيس وزراء في الهند ، له دور في تأسيس حركة عدم الانحياز ، عمل رئيساً للوزراء حتى وفاته عام ١٩٦٤ م ، انظر : الموسوعة العربية العالمية ، ج٥ ، ص ٤٣٦ .

(٣) جواهر لال نهرو ، اكتشاف الهند ، ج١ ، ص ٣٦٦ .

(٤) المرجع السابق ، ج١ ، ص ٣٦١ ، « بتصرف » .

(٥) البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة ، ص ٧١ .

(٦) المقتدر بالله هو : جعفر بن الخليفة المعتضد بالله ، بويع بالخلافة للدولة العباسية ، عام ٢٩٥ هـ ، توفي عام ٣٢٠ هـ ، انظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص ٤٣ ، وابن العماد ، شذرات الذهب ، ج٢ ، ص ٢٨٤ .

فضلان<sup>(١)</sup> فأدى مهمته وكتب كتابه عن تلك الرحلة وأودع فيه ما شاهده في بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة وغيرهم ، من اختلاف مذاهبهم ، وأخبار ملوكهم ، وأحوالهم في كثير من أمورهم<sup>(٢)</sup> .

ومعرفة المسلمين التامة بأحوال الأمم والشعوب أمر ظاهر لكل أحد ، يقول أحد المستشرقين : « ترك لنا العرب وصفا مفصلا لجميع البلدان من أسبانيا غربا إلى تركستان ومصب السند شرقاً ، مع وصف دقيق لجميع النقاط المأهولة وللمناطق المزروعة والصحاري ، وبينوا مدى انتشار النباتات المزروعة ، وأماكن وجود المعادن ، ولم يجتذب اهتمامهم الجغرافيا الطبيعية أو الظروف المناخية فحسب بل أيضاً الحياة الاجتماعية والصناعة والزراعة واللغة ، والتعاليم الدينية ، كما لم تقتصر معرفتهم على بلاد الإسلام وحدها بل تجاوزت بصورة ملحوظة حدود العالم الإسلامي ، فتراثهم اليوم يمدنا بمعلومات من الدرجة الأولى عن جميع البلاد التي بلغها العرب أو التي تجمعت لديهم معلومات عنها وذلك بنفس الصورة المتنوعة التي وصفوا بها بلاد الإسلام<sup>(٣)</sup> ، وليس مقصود الباحث عرض ما دونه العلماء ، عن السمات الثقافية والاجتماعية لغير المسلمين في ذلك الوقت ، وإنما المقصود بيان أهمية الوقوف على السمات من قبل الدعاة ، وأن المسلمين لم يغفلوا هذا الجانب في دعوتهم بل كانوا هم الرواد لمن بعدهم ، فالتصاري عندما جاب رحالتهم القارة الافريقية مثلا إنما تبعوا في ذلك منهج المسلمين من قبل ، فإن « أول مرة يظفر فيها وسط أفريقيا بوصف مفصل كان في مؤلفات المسلمين وقد استمرت معلوماتهم تمثل

(١) هو أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد ، لم أجد له ترجمة ، انظر : رسالته في وصف الرحلة تحقيق د. سامي الدهان ، مكتب الثقافة العالمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٧ م .

(٢) انظر : د. سامي الدهان ، رسالة ابن فضلان ، «تحقيق» ، ص ٦٧ .

(٣) اغناطيوس كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين هاشم ، لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٧ م ، ج ١ ، ص ١٧ ، ٢٢ ، «بتصرف» .



القول الفصل حتى ظهر المستكشفون الأوروبيون في القرن التاسع عشر»<sup>(١)</sup>.

ولذلك يرى الباحث أن الداعية مطالب بمعرفة السمات الاجتماعية والثقافية للمدعوين، ومن ثم يستطيع إشباع الاحتياجات الإنسانية لهم، « وهذه الاحتياجات... لا تقتصر على الطعام واللباس، وإنما تتضمن كذلك إشباع بعض المتطلبات النفسية والثقافية»<sup>(٢)</sup>.

إن اهتمام الداعي بالمدعو وسؤاله عنه وعن أولاده وأسرته وإظهار الاهتمام به، جزء أساسي في الدعوة كما أن ترك المدعو بيدي حاجاته ومشكلاته أمر بالغ الأهمية.

وكما أن للمعرفة الجغرافية الصحيحة أثرها في الدعوة، فإن الخدمة الاجتماعية يمكن أن يكون لها دور واضح في مجال الدعوة الإسلامية، «ذلك بأن تساعد الداعية في دراسته المجتمع دراسة علمية لمعرفة ظروفه ومشكلاته، وتيسر له اكتساب بعض المهارات التي تفيده في التعامل مع المجتمع بطريقة صحيحة لتحقيق أهداف الدعوة»<sup>(٣)</sup>.

ويمكن للاختصاصي الاجتماعي أن يقدم خدماته المهنية بشكل مباشر للجهاز القائم بعملية الدعوة الإسلامية أو للداعية، وذلك بحكم تخصصه المهني في مجال الخدمة الاجتماعية، والتي تقوم على الدراسة العلمية للظواهر والمشكلات الاجتماعية بغرض المساعدة في حلها، كما يمكنه تزويد الداعية ببعض الأسس العلمية التي تفيده في فهم سلوك ودوافع الأفراد واتجاهاتهم وميولهم وكيفية التأثير عليهم<sup>(٤)</sup>.

(١) اغناطيوس كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج١، ص ٢٣.

(٢) اليكس انكلر، مقدمة في علم الاجتماع، ترجمة د. محمد الجوهري وآخرون، دار المعارف، مصر، ط ٦، ١٩٨٣م ص ١٢٧.

(٣) د. محمد عبد الهادي، الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية، بحث مقدم إلى ندوة التاصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية، القاهرة، ١/٣٠ - ١٤١٢/٢/٣ هـ الموافق ١٠ - ١٣ / ٧/ ١٩٩١، ص ٦.

(٤) المرجع السابق، ص ١٤، ص ٢٣، وبتصرف.

ولذلك فإن الخدمة الاجتماعية مصدر مهم لإمداد الدعاة بما ييسر أمر دعوتهم ويساعد على قبولها ونجاحها .

كما أن معرفة شبكة العلاقات الاجتماعية للمدعو ، لها أهميتها في العمل مع غير المسلمين ، فالإنسان كائن اجتماعي بطبعه ، « والطبيعة البشرية تنطوي على الألفة وحب التجمع ، والميل للارتباط بالآخرين والحاجة للشعور بالانتماء والولاء لهم ، وبحكم هذه الطبيعة التي فطر الله الإنسان عليها لا يمكن تصور وجود الإنسان الفرد المنعزل في هذا الكون»<sup>(١)</sup> ، فعلى الدعاة في دول الخليج خاصة<sup>(٢)</sup> ، أن لا يهملوا هذا الأمر ، بل عليهم أن يولوه اهتمامهم ، لا سيما أن معظم غير المسلمين اليوم يفدون بمفردهم دون أهليهم ، وربما يمكثون فترة تصل إلى سنتين أو أكثر دون أن يعودوا إلى بلادهم ، ولذلك فإن الإحاطة بظروف معيشتهم ، ومحاولة فهم الأسلوب الذي يحكم حياتهم أمر يخدم الدعوة كثيراً، فيكون التعامل معهم على ضوء معرفة صحيحة تامة ، وتكون دعوتهم قائمة على بينة وبصيرة .

ويرى الباحث أن معرفة السمات الثقافية والاجتماعية يتطلب جهوداً كبيرة من أهل الاختصاص ، في الدخول مع غير المسلمين ومعرفتهم عن قرب ، والذهاب إلى بلدانهم ومعرفة طبائعهم « وعاداتهم وتقاليدهم وديانتهم ، ومواطن الضعف فيهم ، والوسائل التي تجذبهم»<sup>(٣)</sup> ، وإفادة الدعاة بعد ذلك منها ، وليس هذا الأمر ثانوياً في مجال الدعوة ، بل هو أساس فيها ، فإن من صميم احتياجات الداعية في كل عصر معرفة الواقع الذي يحيط به ومعرفة أحوال المدعوين .

(١) د. قادية عمر الجولاني ، مبادئ علم الاجتماع ، الدار الوطنية للنشر ، الهفوف ، ط١ ، ١٩٨٣ م ، ص٤٦٧ .

(٢) وثيقة الدول عامة .

(٣) الغزالي ، مع الله ، دراسات في الدعوة والدعاة ، ص٧٤ .

المطلب الثاني  
أبرز سمات غير المسلمين  
الاجتماعية والثقافية

الفرع الأول  
الدين

الفرع الثاني  
السمات الاجتماعية

الفرع الثالث  
السمات الثقافية

## الفرع الأول الدين

الدين سمة بارزة في حياة كل مجتمع ، قديما وحديثا ، وهو عامل مؤثر في كل جوانب الحياة ، سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية أو غير ذلك .

ويرى الباحث أن الدين ليس مما يدخل في السمات الثقافية أو الاجتماعية بل هو سمة مستقلة بذاتها ، وهو مرتبط بالإنسان منذ أن خلقه الله تعالى ، وقضى بحكمته أن يكون آدم (عليه السلام) خليفة في هذه الأرض قال تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى ، فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾<sup>(١)</sup> .

فالدين مرتبط بالإنسان منذ أن هبط آدم (عليه السلام) إلى الأرض ، وتوالى الأنبياء من بعده يبلغون الناس الوحي من الله ، ويخاطبونهم بما فطروهم الله عليه من توحيده والإيمان به ، وتعاقبت على البشرية عصور أوضاع فيها الناس نور الله وهدايته ، فتردت أوضاعهم ، وحارت عقولهم ، فابتدعوا ديانات من عند أنفسهم .

ومن هنا فإن الدين « ضرورة حياة للإنسان تفتدي منه روحه ، وترتوي منه مشاعره ، وهيئات أن يحيا إنسان بغير دين ... إن لم يجد الدين الحق ، اضطر إلى التدين بأي دين فاسد ، مما يلتقطه من أفواه الملحدين ، والماديين ، والدهريين ، وغيرهم ، من ذوي النحل الضالة ، والمذاهب الشيطانية »<sup>(٢)</sup> .

والدين يطغى على حياة المجتمع كلها ، ولا يحد بكونه سمة اجتماعية أو ثقافية ، ويمكن إيضاح ذلك أكثر ببيان الحد اللغوي والاصطلاحي للدين .

(١) سورة البقرة : الآيات ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) عبد الكريم الخطيب ، الدين ضرورة حياة الإنسان ، دار الأمانة ، الرياض ، ١٤٠١هـ ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

ففي اللغة تأتي كلمة الدين بمعان عديدة منها ، الجزاء ، والحساب ، والطاعة ، يقال : دنته ودنت له أي أطعته ، ودانته دينا أي أذله واستعبده ، ويطلق الدين أيضا على الإسلام ، والعادة ، والذل ، والورع ، والسلطان ، والقهر<sup>(١)</sup> .

وقد جمع هذه المعاني كلها صاحب معجم مقاييس اللغة ، حيث يقول : « الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها ، وهو جنس من الانقياد والذل »<sup>(٢)</sup> .

ومثل لذلك بقوله تعالى : « مالك يوم الدين » أي يوم الحكم وقال قوم : الحساب والجزاء قال : وأي ذلك كان فهو أمر ينقاد له<sup>(٣)</sup> ، فعلى هذا المعنى تحمل جميع المعاني السابقة للدين .

وحاصل ذلك كله أن كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين ، يعظم أحدهما الآخر ، فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعا وانقيادا ، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمرا وسلطانا ، وحكما والزاما ، وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة<sup>(٤)</sup> .

ولذلك فإن الدين يعرف اصطلاحاً بأنه « جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم اعتقاداً وعملاً »<sup>(٥)</sup> .

ويعرفه بعض الباحثين بأنه « الولاء والخضوع لمن يعطيه المرء حق الدينونة له ، ومطالبته بهذا الحق ، واقتضائه منه »<sup>(٦)</sup> .

(١) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١٣ ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٢) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، جـ ٢ ، ص ٣١٩ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٢٠ ، والآية من سورة الفاتحة : الآية ٣ .

(٤) انظر : د. محمد عبد الله دراز ، الدين «بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان» ، دار القلم ، الكويت ، بدون تاريخ ، ص ٣١ ، وقد ذكر صاحب هذا الكتاب جملة من التعريفات للدين ، انظر : ص ٣٣ - ٣٦ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٦) عبد الكريم الخطيب ، الدين ضرورة حياة الإنسان ، ص ٧٩ .

قال الراغب « الدين اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصلوا إلى جوار الله »<sup>(١)</sup>.

وهذا التعريف يختص بالرسالات السماوية التي ختمها الله برسالة محمد ﷺ ، ويقابل ذلك الدين الذي هو من وضع البشر ، ولذلك يمكن أن يعرف الدين بشكل عام بأنه : جملة الاعتقادات النظرية التي تحدد صفات المعبود ، وجملة القواعد العملية التي تحدد طريق العبادة له<sup>(٢)</sup>.

وبعد أن حددنا معنى الدين ، يتبين لنا أن الدين سمة بارزة في حياة كل أمة ، وبواعثه تنشأ مع ولادة الإنسان ، كما في الحديث الصحيح « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » الحديث<sup>(٣)</sup>.

فباعث الإنسان على التدين هو الفطرة التي أودعها الله في الإنسان وليس العقل ، أو الغريزة الاجتماعية كما يزعم علماء الاجتماع وغيرهم<sup>(٤)</sup>.

ولذلك فإن الناس كلما ضلوا الطريق ، وانحرفوا عن دين الله جاءتهم رسل الله يردونهم إلى الفطرة ، ويدعونهم إلى توحيد الله وعبادته ، حتى ختم الله الرسالات ببعثة محمد ﷺ ، فانقسم الناس إلى مسلمين وغير مسلمين من عهد النبوة إلى عصرنا الحاضر . ولا بد من تقرير السمة العامة لغير المسلمين عامة وهي عدم الإيمان بالله وحده أو عدم الإسلام له في أي شأن من شؤون الحياة ، ويتبع هذه السمة ويتولد عنها أمور منها :

١ - اتباع الهوى ، فكل معرض عن الإسلام متبع لهواه قال تعالى : ﴿ فإن لم يستجيبوا

(١) الراغب الأصفهاني ، مفردات القرآن ، ص ١٧٧ .

(٢) انظر : د. محمد عبد الله دراز ، الدين ، ص ٥٢ ، « بتصرف » .

(٣) رواه مسلم ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، ج ٨ ، ص ٤٤٦ ، رقم الحديث ٢٦٥٨ .

(٤) انظر : د. عمارة نجيب ، الإنسان في ظل الأديان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٠ هـ ، ص ١٥ .

لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ﴿<sup>(١)</sup>﴾ .

٢ - عبادة الطاغوت ، فحين ينحرف الناس عن عبادة الله يتوجهون إلى عبادة مخلوقات أخرى بمفردها ، أو بالإشراك مع الله .

٣ - الانجراف في تيار الشهوات ، فالشهوة أمر محبب للإنسان قال تعالى : ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقدر من هذه الأمور ضروري للحياة البشرية ولكنها حين تزيد عن قدرها المعقول وتصبح شهوة مسيطرة على كيان الإنسان فعندئذ لا تؤدي مهمتها الفطرية التي أوجدها الله من أجلها وإنما تصبح مدمرة لكيان الإنسان مبددة لطاقاته هابطة به من مستوى التكريم إلى مستوى البهائم <sup>(٣)</sup> .

تلك هي السمة العامة لغير المسلمين قديماً وحديثاً ، قررها القرآن الكريم في مواضع كثيرة وهي توجد في كل أمة تنحرف عن منهج الله .  
وغير المسلمين في مدينة الرياض ينقسمون إلى قسمين رئيسيين : الكتابيين ، وغير الكتابيين .

ويعرض الباحث في هذا الموضوع لسمات هذين القسمين والمذاهب التي يعتقدونها كما يشير إلى واقع حالهم ومدى تمسكهم بدينهم .

(١) سورة القصص الآية : ٥٠ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٤ .

(٣) انظر : محمد قطب ، جاهلية القرن العشرين ، دار الشروق ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ ، ص ٥٤ ، والسمات المذكورة مقتبسة من الكتاب نفسه ، بتصرف ، ص ٥٣ - ٥٥ .

## أولاً : أهل الكتاب :

يعد النصارى من أكثر الطوائف الموجودة من غير المسلمين في مدينة الرياض ، يليهم الهندوس ، ويؤكد ذلك ما جاء في الدراسة الميدانية في هذا البحث ، حيث جاء النصارى في المرتبة الأولى بنسبة ٦٨,٨ ٪ ، ثم الهندوس في المرتبة الثانية بنسبة ١٧,٤ ٪ .  
والنصرانية التي يعتنقها هؤلاء تنتشر اليوم في معظم بقاع العالم فهي الديانة الرسمية لأوروبا وأمريكا ، ودخلت في النصرانية أعداد كبيرة من أفريقيا وشرق آسيا وجنوبها في عهد الاستعمار ، فأصبح غالبية سكانها من النصارى كالفلبين مثلاً ، وتتفاوت نسبهم وأعدادهم في دول شرق آسيا وجنوبها وفي وسط وجنوب أفريقيا .

وتنقسم النصرانية إلى ثلاثة مذاهب هي :

- ١ - الكاثوليكي<sup>(١)</sup> ، وينتشر في إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال .
- ٢ - والأرثوذكسي<sup>(٢)</sup> ، وينتشر في روسيا والبلقان واليونان .
- ٣ - البروتستانت<sup>(٣)</sup> وينتشر في ألمانيا وإنجلترا والدانمرك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية .

وبين هذه المذاهب النصرانية نزاعات وصراع طويل ، كما بين الكروات الكاثوليك

(١) وكنيسة المذهب الكاثوليكي تسمى الكنيسة الكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية ، ومعنى الكاثوليكية : العامة ؛ لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها ؛ ولأنها وحدها التي تنشر المسيحية في العالم ، وسميت غربية ولاتينية ؛ لامتدادها في الغرب اللاتيني خاصة ، وسميت البطرسية الرسولية ؛ لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها بطرس الرسول كبير الخواريين ورئيسهم ، انظر : د. أحمد شلبي ، المسيحية ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٧ ، ١٩٨٢ ص ٢٣٨ .

(٢) وتسمى كنيسهم الكنيسة الشرقية أو اليونانية ، وهي تتبع نظام الإكليروس ، ويبدأ من البطريرك يليه المطارنة ثم الأساقفة ثم القس ، انظر : د. أحمد شلبي ، المسيحية ، ص ٢٤٠ .

(٣) وتسمى كنيسهم الانجيلية لأن أتباعها يتبعون الانجيل دون غيره ، ويفهمونه بأنفسهم ولا يخضعون لفهم سواهم له ، وتتبع نظاماً تعاونياً ، أي يتعاون أعضاؤها على القيادة والوعظ ، انظر : د. أحمد شلبي ، المسيحية ، ص ٢٤٠ .



والصرب الأرثوذكس حتى هذا اليوم<sup>(١)</sup>.

كما لا يخفى علينا ما بين المذاهب النصرانية المذكورة من خلافات عقديّة جوهريّة ،  
تتلخص فيما يلي :

فالكنيسة الكاثوليكية تعتقد أن روح القدس نشأ عن الله الأب ، وعن الله الابن معاً ،  
كما تعتقد المساواة بين الله الأب ، وبين الله الابن ... وفي مجال تفسير الكتاب المقدس تقرر  
احتكار تفسيره للباباوات فقط .

أما الكنيسة الأرثوذكسية فتعتقد أن روح القدس نشأ عن الله الأب فقط ، ولم ينشأ  
عن الله الابن ، كما تعتقد أن الله الأب أفضل من الله الابن .. وليس لهذه الكنيسة رئيس  
عام .

وأما الكنيسة البروتستانتية ، فتتلخص معتقداتها في النقاط التالية :

أ - رفض احتكار تفسير الكتاب المقدس للباباوات ، وضرورة فتح هذا التفسير لكل  
مثقف ذي فهم .

ب - إنكار ورفض امتلاك رجل الدين الكنسي حق الغفران للعصاة .

ج - إنكار الرهبنة وإباحة الزواج لرجل الدين الكنسي .

د - منع اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس وكذا السجود لها .

هـ - رفض وجود رئاسة عامة للكنائس<sup>(٢)</sup> .

إن الحديث عن أهل الكتاب يتطلب من الباحث معرفة واقع مجتمعاتهم اليوم ومدى  
التزامهم بدينهم ، فالأفراد لا ينفكون عن مجتمعاتهم ولا يمكن فصلهم عن واقع دولهم  
التي قدموا منها .

فهل يدين الغربيون المنتسبون إلى النصرانية في وقتنا المعاصر بالنصرانية فعلاً ؟

(١) انظر : باوندر كنجبري ، أطلس أوروبا ، ترجمة محمد عقيل ، دار المعارف ، الإسكندرية ، ط ٢ ، بدون تاريخ ، ص ٤٥ .

(٢) انظر : محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، دار الفكر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ١٨٥ - ١٨٨ .

إن الواقع يشهد بغير ذلك وهذا ما ذكره كثير ممن وقف على حقيقة هؤلاء من المسلمين ومن غيرهم .

يقول أبو الحسن الندوي<sup>(١)</sup> عن أوروبا : « ديانة أوروبا اليوم المادية لا النصرانية ، فمما لا شك فيه أن دين أوروبا اليوم الذي يملك عليها القلب والمشاعر ويحكم على الروح هو المادية لا النصرانية ، كما يعلم ذلك كل من عرف النفسية الأوروبية عن كتب لا عن كتب ، بل وعن كتب أيضاً ، ولم ينخدع بالمظاهر الدينية التي تزيد في أبهة الدولة ، والتي يجد فيها الشعب ترويحاً للنفس وتنوعاً ، ولم ينخدع بزيارتهم للكنائس وحضورهم في تقالدها<sup>(٢)</sup> .

كما أن سيد قطب<sup>(٣)</sup> تحدث عن واقع أمريكا بعد زيارتها فصور حال شعبها وتدينهم ووضع الكنيسة فيها بقوله « إن كثيراً ممن لم يعيشوا بعض الوقت في أوروبا وأمريكا أو ممن عاشوا هناك ولكنهم لم يتعمقوا وراء الظواهر ، كثيراً ما تخدعهم كثرة الكنائس وانتشارها وبخاصة في الولايات المتحدة ، حيث تقوم في البلد الصغير الذي لا يتجاوز تعداده عشرة آلاف نسمة أكثر من عشرين كنيسة أحياناً ، وكثيراً ما تخدعهم كثرة الأحزاب التي تحمل أسماء المسيحية ، ثم كثيراً ما يخدعهم ما يكتبه ويذيعه رجال الدين من كتب ومقالات وبحوث ، وإذاعات في موضوعات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية البحتة أحياناً ... كثيراً ما يخدعهم هذا كله فيحسبون أن للدين شأناً في أوروبا وأمريكا وأن لرجال الدين أثراً في الحياة الاجتماعية هناك ، وهذه نظرة سطحية لا تدرك حقيقة ما هو واقع هناك .

(١) أبو الحسن علي الحسيني الندوي ، ولد عام ١٣٣٣ هـ ، من أكبر الدعاة في العصر الحديث ، حائز على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام ، عام ١٤٠٠ هـ ، انظر : الموسوعة العربية العالمية ، ج٥ ، ص ٢٥٤ ، ص ١٨٤ .

(٢) أبو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، دار القلم ، بيروت ، ط ١٣ ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١٩٧ .

(٣) سيد قطب إبراهيم ، أديب ومفكر إسلامي ، ولد عام ١٣٢٤ هـ ، له عدة مؤلفات بلغت ٢٦ كتاباً ، منها : في ظلال القرآن ، توفي عام ١٣٨٥ هـ ، انظر : الموسوعة العربية العالمية ، ج٣ ، ص ٣٥٥ .

إن الكنيسة بعد أن ذاقت مرارة الإهمال ووحشة البعد عن الحياة الاجتماعية ، بعد شروء الناس منها منذ عصر النهضة - وخاصة منذ عصر التنوير ، ثم عصر الفلسفة الوضعية المادية - قد عادت تلهث وراء المجتمع وتعلق بأهداب الناس لا لتقود المجتمع ، ولا لتنقل الناس إلى الدين ولكن لتجري وراء المجتمع ولتتملق شهوات الناس «<sup>(١)</sup> .

هذا هو واقع الكنيسة في الغرب اليوم « ومعظم قصاها إنما يعدونها تقليداً اجتماعياً ضرورياً ومكاناً للقاء والأنس ولتمضية وقت طيب ، وليس هذا شعور الجمهور وحده ولكن شعور سدنة الكنيسة ورعاتها »<sup>(٢)</sup> .

وهذا ما قرره أيضاً النمساوي محمد أسد<sup>(٣)</sup> - وكان يهودياً قبل أن يسلم - حيث يقول في كتابه الإسلام على مفترق الطرق: « إن للنصرانية اليوم في نظر السواد الأعظم معنى شكلياً فقط كما كانت حال آلهة روما ، تلك الآلهة التي لم يكن يسمح لها ولا ينتظر منها أن يكون لها نفوذ حقيقي ما على المجتمع »<sup>(٤)</sup> ، ثم يستثني من ذلك بعض أفراد المجتمع فيقول : « ولا ريب في أنه لا يزال في الغرب أفراد عديدون يشعرون ويفكرون على أسلوب ديني ، ويبذلون جهود القانط حتى يوافقوا بين معتقداتهم وبين روح حضارتهم ، ولكن هؤلاء شواذ فقط »<sup>(٥)</sup> .

إن إفلاس الغرب في الجانب الديني وانتكاسته في عالم القيم لا يغني عنه أبداً التقدم العلمي الهائل في المجالات المادية الدنيوية .

بل إن التكنولوجيا الغربية اليوم استخدمت من بين ما استخدمت له آلة لتدمير

(١) سيد قطب ، الإسلام ومشكلات الحضارة ، دار الشروق ، بيروت ، ط٧ ، ١٤٠٢هـ ، ص ٨٠ .

(٢) سيد قطب ، الإسلام ومشكلات الحضارة ، ص ٨٥ .

(٣) محمد أسد ، نمساوي الأصل ، كان اسمه ليو بولد فايس ، اعتنق الإسلام وانصرف إلى ترجمة معاني القرآن وصحيح البخاري إلى اللغة الإنجليزية ، وفي ترجمته لمعاني القرآن أخطاء كثيرة ، انظر : د. عبد الله الندوي ، ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة ، ١٤١٧هـ ، ص ١٢٤ .

(٤) محمد أسد ، الإسلام على مفترق الطرق ، ترجمة عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١٩٨٤م ، ص ٤٧ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٧ .

## الإنسان وإيقاع الشر والأذى بمخلوقات الله<sup>(١)</sup>.

كما صاحب هذا التقدم في مجال الآلة العديد من النظريات « التي توجه الناس إلى الانحراف في الاجتماع والاقتصاد وعلم النفس ... وكل مجالات الحياة »<sup>(٢)</sup> ، وأدى ذلك كله إلى إفساد فطرة الناس التي فطروا عليها قال تعالى: ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾<sup>(٣)</sup> . فصرفت الفطرة البشرية من توجهها لعبادة الله إلى عبادة غيره ، « ثم أفسدت فطرة الرجل والمرأة بقضية المساواة ، ونفرت المرأة من وظيفتها الفطرية في البيت والأسرة ، ونفرت من قوامة الرجل التي لا تستقيم الأسرة بدونها ، فتفككت الأسرة ، وتشرذم الأطفال ، وجنح الأحداث ، وانتشر الشذوذ ، وذلك كله إلى جانب الخمر والمخدرات ، والجريمة والانتحار ، والجنون والأمراض النفسية والعصية »<sup>(٤)</sup>.

وقد شهد الغربيون أنفسهم على ذلك وقرروه وحذروا قومهم من عواقبه يقول مؤلف تاريخ الفكر الأوروبي الحديث : « علينا التسليم بالانحطاط المشهود في أوروبا المعاصرة فالعالم الأوروبي قد استنزف تراثه الصالح للاستعمال »<sup>(٥)</sup>.

والحديث عن النصارى في آسيا وأفريقيا وأستراليا وأمريكا الجنوبية هو نفسه الحديث عن النصارى في أوروبا ؛ لأن الغرب يهيمن على تلك الدول ومع الهيمنة « تتسرب

(١) انظر : أبو الأعلى المودودي ، نحن والحضارة الغربية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ ، ص ٤٠ ، وانظر :

محمد قطب ، رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ، دار الوطن ، الرياض ، ١٤١١هـ ، ص ٣٠ .

(٢) محمد قطب ، جاهلية القرن العشرين ، ص ٥٩ .

(٣) سورة الروم : الآية ٣٠ .

(٤) محمد قطب ، رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ، ص ٥٢ « بتصرف » .

(٥) رونالد سترومبرج ، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ترجمة أحمد الشيباني القارئ العربي للنشر القاهرة ، ط ٣ ،

١٤١٥هـ ، ص ٦٥٩ . ومن الكتب التي تحدثت عن تدهور الحضارة الغربية كتاب شيلنجر « تدهور الحضارة الغربية »

ويقع في مجلدين وقد ترجمه أحمد الشيباني ، كما تحدث عن هذا الموضوع الفرنسي رينيه دوبو في كتابه إنسانية

الإنسان ترجمة نبيل الطويل ، وسيأتي مزيد بيان لذلك عند الحديث عن السمات الاجتماعية .

مجموعة من الأفكار والمذاهب والمعتقدات ، بل واخرافات كذلك كخرافة الطبيعة الخالقة ،  
والمادة الأزلية الأبدية المتطورة ، فتنصب في أذهان الشعوب التي غلبت عليها أوروبا، إما عن  
طريق التسرب التلقائي الذي ينشأ من تقليد المغلوب للغالب ، وإما عن طريق الغزو الفكري  
المتعمد الذي ييئه الغرب في فكر المغلوب ليضمن تبعيته له وعدم خروجه عن طاعته «<sup>(١)</sup> .  
ومن ذلك كله نرى مدى حاجة العالم الماسية إلى الدعوة إلى الإسلام ، وإلى فهم  
الدعاة لحقيقة غير المسلمين من النصارى والبيثة التي قدموا منها ، ومن ثم تقديم الإسلام  
بالصورة التي تجذب هؤلاء وتلمس احتياجاتهم .

(١) محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، دار الشروق ، بيروت ، ط ٧ ، ١٤١٣ هـ ، ص ٥ .

## ثانياً : غير الكتابيين ( الوثنيون ) :

وهم من يقوم دينهم على الوثنية وعبادة المخلوقات ، كالبراهمة والبوذيين والجنيين والكنفوشيوسيين<sup>(١)</sup> وغيرهم .

وفي مدينة الرياض فإن غير المسلمين الوثنيين معظمهم من الهندوس (البراهمة) ، أو من البوذيين ، ويعرض الباحث لأبرز ملامح هاتين النحلتيين ومن يعتقها في الوقت الحاضر .

### ١ - الهندوسية ( البرهمية )

تعد بلاد الهند موطن الهندوسية الوحيد في العالم ففيها نشأت وترعرعت ، والهند من المراكز القديمة التي استوطنها الإنسان ، وتكثر فيها الخرافات والأساطير ، كما يكثر فيها السكان وتتعدد فيها الديانات واللغات .

والهندوسية هي الدين العام الذي يحوي غالبية الهنود ، فالهندوس يشكلون ٨٢,٦٤٪ من سكان الهند يليهم المسلمون ويشكلون ١١,٣٤٪ ثم النصارى ٢,٤٣٪ ثم السيخ ١,٩٦٪ ثم البوذيين ٠,٧١٪ ثم الجينيون ٠,٤٨٪<sup>(٢)</sup> .

وليس في بلاد العالم بلد تنمو فيه الخرافة وتعدد الآلهة كما تنمو في الهند ، وهيئات أن تجده هندوسياً لا يعبد عدداً من الآلهة<sup>(٣)</sup>؛ ويرجع تعدد الآلهة عندهم إلى « عقيدة

(١) الكنفوشيوسية هي المذهب السائد في بلاد الصين ، وهو مذهب أخلاقي دعا إليه كونفوشيوس وهو يعتقد عقيدة الصينيين القدماء بتعدد الآلهة ، ولكنه دعا إلى تهذيب الأخلاق وإلى الفضائل ، وعبادة الكنفوشيوسيين تقوم على الغناء والرقص والموسيقى ، وهم ينكرون البعث ، ويرون أن أرواح الموتى تبقى مع أسرهم ولذلك يقدسون أرواح آبائهم ويعبدونها ، انظر : محمد أبو زهرة ، الديانات القديمة ، دار الفكر العربي ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٨٠ وما بعدها ، أما الجينية فسيأتي تعريفها عند الحديث عن الهندوسية .

(٢) انظر : أبو ذر كمال الدين ، طبيعة وحجم المشكلات الاقتصادية للمسلمين الهنود وكيفية حلها ، أبحاث ووقائع المؤتمر السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ، ١٤٠٦ هـ ، ج ٢ ، ص ٧٨٦ .

(٣) انظر : د. أحمد شلي ، أديان الهند الكبرى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٧ ، ١٩٨٤ م ، ص ٣٠ .

الحلول التي يؤمنون بها ، فكل قوي عندهم لا بد أن يكون قد حل فيه الإله والا لما صار قوياً<sup>(١)</sup> ، كما أن الهندوس - كما يقول عنهم صاحب كتاب اكتشاف الهند وهو هندي الأصل - « ميالون بشكل خاص إلى قبول التقاليد والاساطير واعتبارها تاريخاً بصورة لا نقدية وبدون قدر كاف من التمعين والتمحيص »<sup>(٢)</sup> .

ولذلك يعبد في الهند كل شيء من الأحجار والأنهار والجبال وغير ذلك من الجمادات والمخلوقات الحية .

ومن بين المعبودات حظيت البقرة عند الهندوس بأسمى مكانة ، وهي من المعبودات التي لم تضعف قداستها مع مرور السنين<sup>(٣)</sup> ، والهندوسية التي يعتنقها معظم الهندوس ليست ديناً بالمعنى الصحيح بل هي خليط يشمل الأمور المقدسة عندهم والأمور الدنيوية جميعاً ، فهي تشمل « التدين ، والحضارة ، والعادات والتقاليد ، والسلوكيات الخاصة بشعب الهندوس »<sup>(٤)</sup> .

ولا يوجد للهندوسية مؤسس معين ، ولا يعرف لكتبها مؤلفون معينون ، وهي لا تسعى لجذب المريدين<sup>(٥)</sup> .

وللهندوسية عدد كبير من الكتب عسيرة الفهم غريبة اللغة ، ألف لشرحها العديد من الكتب ، وكلها مقدسة عند الهندوس ، ومن أشهرها الويدا<sup>(٦)</sup> وهو من أقدم كتب

(١) د. عبد المنعم النمر ، تاريخ الإسلام في الهند ، المؤسسة الجامعية للنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ ، ص ٧٤ .

(٢) جواهر لال نهرو ، اكتشاف الهند ، ص ١٥٩ .

(٣) انظر : د. أحمد شلبي ، أديان الهند الكبرى ، ص ٣٣ .

(٤) د. رؤوف شلبي ، الأديان القديمة في الشرق ، دار الشروق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ ، ص ٧٩ .

(٥) انظر : الهند ديمقراطية فعالة ، منشورات الشؤون الخارجية بالهند ، قسم الدعاية الخارجية ، ص ٥ ، وانظر : جواهر لال نهرو ، اكتشاف الهند ، ص ٤١٣ .

(٦) معنى الويدا أو الفيدا يختلف باختلاف المقصود منها ، فهي قبل أن تكتب وتخط بالأصابع والأقلام معناها التأمل .. وبعد أن صارت مكتوبة معناها : المعرفة ، أو مجموعة الكلمات التي تنظم حياة أتباعها للوصول إلى المعرفة المنشودة ، انظر : د. رؤوف شلبي ، الأديان القديمة في الشرق ، ص ٨١ ، وانظر : جواهر لال نهرو ، اكتشاف الهند ، ص ١١٧ .

الهندوس وهو مجموعة من الأشعار في أربع مجموعات لكل واحدة منها نهج خاص في القراءة والتلحين<sup>(١)</sup>.

وينقسم مجتمع الهندوس على الأساس الذي وضعته الكتب الدينية ، وهي فكرة الطبقات ، والتي تقسم المجتمع إلى أربع طبقات :

١ - البراهمة وهم رجال الدين .

٢ - الجنند .

٣ - الزراع والتجار .

٤ - الخدم والعبيد .

ولكل طبقة من هذه الطبقات آداب خاصة تتحلى بها ، وأعلى هذه الطبقات عندهم البراهمة ، وأحطها الخدم والعبيد وتسمى : الشودر ، وينضم إليهم المنبوذون في المجتمع وهم أبناء الزنا والذين يتناولون الأعمال القذرة في المدن<sup>(٢)</sup>.

وكل طبقة من هذه الطبقات تؤمن إيمانا تاما بموقفها من غيرها ، فأهل الطبقة المنبوذة لا يحاولون أن يرتفعوا عن وضعهم « فاستقر في طبعهم الذل واعتقدوا في أنفسهم النجاسة بمرور السنين »<sup>(٣)</sup> ، ويتغلغل هذا النظام داخل المجتمع الهندي بشكل كبير ويؤثر على غير الهندوس في المجتمع الهندي ، فقد تسرب إلى المسلمين أنفسهم في الهند ، فتوجد فيهم طبقة الأشراف ذوي المكانة الاجتماعية السامية ، كما أن الذين يعتنقون الإسلام من ذوي الطبقات الدنيا من الهندوس يقون على ما هم عليه بعد إسلامهم<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر : محمد أبو زهرة ، مقارنات الأديان « الديانات القديمة » ، ص ٥١ ، ٥٢ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ « بتصرف » .

(٣) د. عبد المنعم النمر ، تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٥٥ .

(٤) انظر : مشهود أحمد ، قضية مسلمي الهند ، أبحاث المؤتمر السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ،

١٤٠٦ هـ ، ج٢ ، ص ٦٥٨ .



والهندوس ينكرون البعث ، ويرون أن الجزاء والحساب يكون في الدنيا ، كما أنهم يعتقدون بتناسخ الأرواح ، وقد ألجأهم إلى ذلك رؤيتهم أن الجزاء قد لا يقع في الدنيا .  
ويلاحظ أن القانون الهندي ألغى بعضاً من النظم الاجتماعية التي جاءت بها الكتب المقدسة عند الهنود سواء في الزواج أو النظام الطبقي وكانت أسباب ذلك دينية بحتة .  
فعندما انتشر التعليم بين المنبوذين بدأوا يهددون بترك الهندوسية مما دفع رجال الدين عندهم بتدارك الوضع وكان على رأس هؤلاء الزعيم الهندي غاندي<sup>(١)</sup> الذي سعى إلى اتخاذ قرار بإلغاء فكرة النبذ ، ولكنه أخفق أمام هجمات الهندوس عليه « وكان غاندي أكثر الناس شعوراً بخطر انفصال المنبوذين عن الهندوس ، فكان جهاده لدرء ذلك دينياً وسياسياً قبل أن يكون إنسانياً »<sup>(٢)</sup> .

وقد أثمر هذا الاتجاه من قبل رجال الدين عن سعي الحكومة إلى تقريب المنبوذين واعطائهم بعض الحقوق لئلا يكونوا عرضة للدخول في دين آخر غير دينهم ، ولكن رغم ذلك فقد أوكلت إليهم المهن الحقيرة في المجتمع<sup>(٣)</sup> .

« إن الألواف المؤلفة من الهندوسيين والبوذيين وأمثالهم من عباد الأوثان ليس من الصعب تبصيرهم بحقائق الإسلام »<sup>(٤)</sup> ، فهم يعيشون فراغاً دينياً وخلقياً لا يملؤه إلا الإسلام ، وربما دخل المنبوذون سراعاً في دين الله واستراحوا إلى عقيدة تصحح تفكيرهم وتحترم وجودهم<sup>(٥)</sup> .

(١) غاندي ، هو : موهنداس كرمشند ، ١٨٦٩-١٩٤٨ م ، أحد أكبر القادة السياسيين في الهند ، ساعد على تحرير الهند من الحكم البريطاني ، يعتبره الهنود أباً لأمتهم ، دعا إلى التسامح بين الأديان ، كان معارضاً لتقسيم الهند ، انظر : الموسوعة العربية العالمية ، ج-١٧ ، ص ٥٦ .

(٢) د. عبد المنعم النمر ، تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٦١ « بتصرف » .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٤) محمد الغزالي ، الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٢٨ .

(٥) انظر : المرجع السابق ، ص ٢٨ ، وانظر : رئاسة المحاكم الشرعية ، قطر ، كتاب الأمة ، فقه الدعوة ملامح وآفاق ، عدد ١٨ ، ١٤٠٨ هـ ، لقاء مع أبي الحسن الندوي ، ص ٣٥ .

وان الاضطراب الذي يعيشه هؤلاء ، والعزلة التي يحيطون أنفسهم بها تتطلب من الدعاة فهما دقيقاً لطبائعهم ونفسياتهم ، كي تسهل دعوتهم وتؤتي ثمارها المطلوبة .  
كما يتطلب الأمر من الدعاة بيان حقيقة الهندوسية لمعتنقيها وأنها تعني الشرك وعبادة الأوثان ، وقد يجهل بعضهم ذلك ، وقد ذكر بعض أفراد العينة أثناء البحث الميداني أنهم لا يجدون ذكراً للهندوسية في القرآن الكريم ، ويغيب عن هؤلاء أن دينهم هو عبادة الأصنام والأوثان من دون الله ، وقد جاء الإسلام لهدمها وإفراد العبادة لله وحده .

## ٢ - البوذية :

البوذية والجينية كلاهما خروج على الديانة الهندوسية وتفرّع عنها ، وكان غوتاما : مؤسس البوذية ، وما هويرا: مؤسس الجينية ، يعيشان في عصر واحد ، وقد جاء من طبقة واحدة هي طبقة الجند المقاتلين<sup>(١)</sup> .

وقد ظهرت هاتان الديانتان في القرن السادس قبل الميلاد ، في وقت كانت فيه الهند تترزح تحت مظاهر الشقاء والبؤس وتفاوت الطبقات .

وقد دعا غوتاما : مؤسس البوذية الذي أطلق عليه فيما بعد : بوذا - وتعني : العارف المستير - دعا إلى المساواة بين الناس والعطف والرحمة وتزكية النفس ، ولقيت دعوته قبولا كبيرا حتى انتشرت واكتسحت في طريقها الديانة الهندوسية القديمة ، وظلت واسعة الانتشار في الهند أكثر من ألف سنة ، وكانت البوذية أول أمرها مذهبا خلقيا ، يرمي إلى تزكية النفس ويدعو إلى التسامح والرحمة ثم أخذت تتشكل وتتعدد حسب أفكار معتنقيها حتى صارت أفكاراً منظمة ومدارس فلسفية تتعدد حسب وجهات نظر الباحثين<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر : جواهر لال نهرو ، اكتشاف الهند ، ص ١٨٣ .

(٢) انظر : د. عبد المنعم النمر ، تاريخ الإسلام في الهند، ص ٨١ ، ٨٢ ، وانظر : جواهر لال نهرو ، اكتشاف الهند ، ص ١٢٣ ، ٢٧٢

والبوذية لم تبحث في أمر الإله فهي مذهب خلقي ، ولم تعترف بالنظام الطبقي في الهند ، مما جعلها تنحسر وتضعف شيئاً فشيئاً فيما كانت الهندوسية تسترد مكانتها الضائعة شيئاً فشيئاً ، حتى خرجت البوذية من موطنها الأصلي واسترجعت الهندوسية سيطرتها على بلاد الهند<sup>(١)</sup> .

واليوم لا يشكل البوذيون في الهند سوى ٠,٧١ ٪ من جملة السكان ، ولكنهم ينتشرون في تايلند وبورما وأندونيسيا والصين واليابان وكوريا .  
وتنقسم البوذية إلى مذهبين رئيسيين :

#### أ - الشمالي :

ويسود في الصين واليابان والتبت ونيبال وسومطره ، ويقوم على تأليه بودا ، ولهم كتب تشتمل على أوهام كثيرة تتعلق ببوذا .

#### ب - الجنوبي :

ويسود في بورما وسيلان وتايلند ، وكتبهم أبعد قليلاً عن الخرافات من مذهب الشمال وهم أقل غلواً في بودا من مذهب الشمال<sup>(٢)</sup> . وهناك تشابه كبير بين عقيدة هؤلاء البوذيين في بودا وبين عقيدة النصارى في عيسى (عليه السلام)<sup>(٣)</sup> .

وليست البوذية في واقعها اليوم إلا عبادة الأصنام التي تباع وتشتري في الأسواق والمتاجر ولها معابدها الخاصة وكهنتها<sup>(٤)</sup> والبوذيون كالهندوس في إنكار البعث والقول بتناسخ الأرواح ، لكنهم لا يؤمنون بنظام الطبقات الهندوسي ، ويرون تساوي الناس في

(١) د. عبد المنعم النمر ، تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٨٤ ، د بتصرف ، .

(٢) انظر : أبو زهرة ، الأديان القديمة ، ص ٥٤ ، وانظر : صالح البليهي ، عقيدة المسلمين والرد على الملحدين ، المطابع الأهلية للأوفست ، الرياض ، ط٢ ، ١٤٠٤هـ ، ج٢ ، ص ٥٥٠ ، وانظر : د. أحمد شلبي ، أديان الهند الكبرى ، ص ١٨٦ .

(٣) انظر أوجه التناظر في كتاب أبي زهرة ، الديانات القديمة ، ص ٥٥ - ٦٨ .

(٤) انظر : درزوف شلبي ، الأديان القديمة في الشرق ، ص ٢٣٧ .

الحقوق والواجبات .

وللبوذية كتب على ثلاثة أنواع :

أولها : مجموعة من القوانين البوذية .

ثانيها : مجموعة من الخطب التي ألقاها بوذا ووصاياه .

ثالثها : الكتاب الذي يحوي بيان أصل المذهب والفكرة التي نبع منها .

أما الجينية التي ظهرت مع البوذية فقد تسامحت تجاه نظام الطبقات «وكيفت نفسها بما ينسجم مع هذا النظام ولهذا بقيت واستمرت في الهند وكأنها فرع من فروع الهندوسية»<sup>(١)</sup>.

و أهم معتقدات هذه الديانة الدعوة إلى تجرد الإنسان من شرور الحياة وشهواتها والوصول إلى سمو الروح وتخلصها من الآلام ، والرغبة في العري والجوع واعتبارهما مثلاً أعلى للناسكين .

وأتباع هذه الديانة لا يشكلون سوى ٤٨ر٪ من سكان الهند وهي كالهندوسية لا تتعدى الهند ، ورغم قلة معتنقيها في الهند إلا أن معظمهم من الأغنياء والتجار وبعدون من الطبقة العليا اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً .

وغير المسلمين في مدينة الرياض من الوثنيين معظمهم يدين بأحد هاتين النحلتين: الهندوسية و البوذية ، بل أن الهندوسية تأتي في المرتبة الثانية بعد النصرانية ضمن ديانات غير المسلمين في مدينة الرياض كما يتضح ذلك من عينة الدراسة في البحث الميداني، كما اتضح من الدراسة الميدانية وجود بعض معتنقي الكنفوشية والسيخ<sup>(٢)</sup>.

(١) جواهر لال نهرو ، اكتشاف الهند ، ص ١٨٥ ، بتصرف .

(٢) السيخ مجموعة دينية من الهنود الذين ظهروا في نهاية القرن ١٥ م ، داعين إلى دين جديد يجمع بين الإسلام والهندوسية تحت شعار لاهندوس ولا مسلمين ، انظر : محمد الشيباني ، السيخ ، دار المنار ، الخرج ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ ، ص ١٦ ، وانظر : الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الموسوعة الميسرة ، ص ٢٨٣ .

## الفرع الثاني السمات الاجتماعية لغير المسلمين في مدينة الرياض

تعدد السمات الاجتماعية لغير المسلمين وتختلف من بلد لآخر ، وهذا الاختلاف سنة من سنن الله بين عباده ، وآية من آيات الله تعالى في خلقه ، قال تعالى : ﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾<sup>(١)</sup> . وهذا الاختلاف لا ينبى عن تمييز لأحد عن أحد ، وإنما يفضل الناس بعضهم بعضا بالتقوى، كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير ﴾<sup>(٢)</sup> .

وسأعرض - إن شاء الله - لأبرز العناصر المتعلقة بالسمات الاجتماعية لغير المسلمين في مدينة الرياض من خلال النقاط الآتية :

### ١ - العمر والجنس :

يعد العمر والجنس من أبرز الملامح الشخصية لغير المسلمين ، وهي تتحدد تبعاً للحاجة التي تظهر في البلد المستفيد ، وحيث تشهد منطقة الخليج عموماً ومدينة الرياض خصوصاً تطوراً عمرانياً ملحوظاً ونهضة صناعية ، ولقلة اليد العاملة فيها فإن العمال يشكلون نسبة عالية من بين الوافدين وبالتالي فإن أعمار هؤلاء تتراوح بين ٢٠-٤٠ سنة حيث هو المتوسط العمري للعمالة المنتجة ، ويدل على ذلك أن ٧٠,٨٪ من عينة الدراسة

(١) سورة الروم : الآية ٢٢ .

(٢) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

ميدانية من غير المسلمين هم من هذا السن“ .

ويغلب على العمالة في مدينة الرياض ارتفاع نسبة الذكور ، وهذا الأمر ليس خاصا بمدينة الرياض بل بمنطقة الخليج بشكل عام ، ولعل من أسباب ذلك « الحاجة والقانون الذي يشدد على هؤلاء في اصطحاب أسرهم »<sup>(١)</sup> ، ولاشك أن قدومهم مع أسرهم يشكل عبئا ماليا عليهم ، كما أن له أثره على المجتمع ، ومن الأسباب - أيضا - أنهم عمالة مؤقتة وليست مستقرة .

ومن الملاحظ أن وجود فئات كثيرة من العزاب يخل بتجانس السكان النوعي ، خاصة أنه يقابل كثرة الوافدين من العمال ، وجود أعداد كبيرة من العاملات اللاتي قدمن للعمل دون أزواجهن ، وهذا بدوره يوجد انحرافات سلوكية وأخلاقية لم تكن موجودة من قبل كالكحول والمخدرات والجرائم الخلقية .

وإذا كانت الضرورة والحاجة في الوقت الحاضر قد أدت إلى وجود هذه العمالة من غير المسلمين ، فإن خطرهم إنما يزداد إذا كانوا أكثر من السكان الأصليين أو قريبا منهم ، وهو الأمر الذي يسعى المسؤولون عن الاستقدام إلى درئه عن طريق تنويع الجنسيات وعدم التركيز على بلد معين في الاستقدام .

كما أن سياسة المملكة العربية السعودية تجاه العمالة الوافدة تسير في خطين

رئيسيين :

الأول : السعي الدؤوب لإحلال المواطن السعودي محل العمالة الوافدة وهذا الأمر هدف أساسي في خطط التنمية في المملكة وقد نصت عليه خطة التنمية السادسة ١٤١٥ - ١٤٢٠هـ فإن من أولويات خطة التنمية السادسة ومحاورها الرئيسة : اتخاذ

(١) انظر : الفصل الرابع ، الجدول رقم ٥١ .

(٢) نادر فرجاني ، العمالة في أقطار الخليج العربي ، ص ٢٤ ، وانظر : الكتاب الإحصائي لوزارة الداخلية ، لعام ١٤١٢هـ ، ص ٢٤٨ .

الوسائل الكفيلة بمعالجة المعوقات التي تواجه تنمية القوى البشرية وتوظيفها ، وقد نصت الخطة على : وضع السياسات اللازمة والكفيلة بإحلال القوى العاملة السعودية محل غير السعودية ، وعلى وضع السياسات اللازمة والكفيلة بتشجيع القطاع الخاص على إتاحة فرص العمل للمواطنين<sup>(١)</sup> . فإحلال المواطن السعودي محل العمالة الوافدة هدف استراتيجي للدولة وتسعى وتخطط وتعمل لأجله .

أما الخط الثاني فهو : توعية هؤلاء الوافدين وإطلاعهم على ثقافة هذا البلد وعقيدته الصحيحة التي أسس عليها ، وإطلاعهم كذلك على محاسن تطبيق الشريعة في هذا البلد . ثم إن التركيب العمري لغير المسلمين في مدينة الرياض والذي يتراوح بين ٢٠ - ٤٠ سنة يشكل مؤشراً إيجابياً في دعوتهم إلى الإسلام فإن الغالب أن من هم في هذا السن أقل تعصبا لموروثاتهم الدينية ، وأقل تمسكا بأرائهم من كبار السن ، مما يسهل أمر دعوتهم ويسر دخولهم في الإسلام ، فإن النبي ﷺ عندما دعا الناس إلى الإسلام كان معظم السابقين إليه تتراوح أعمارهم بين ٢٠ - ٤٠ سنة أما الشيوخ كأبي جهل وأصحابه فقد قعد بهم الكبر والجحود عن الدخول في دين الله تعالى<sup>(٢)</sup> .

(١) وزارة التخطيط، خطة التنمية السادسة، ١٤١٥ - ١٤٢٠هـ، ص ٤٦٨، ٤٧٦ .

(٢) انظر : د. عماد الدين خليل ، دراسة في السيرة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١٠، ١٤٠٦هـ، ص ٦٢ .

## ٢ - العلاقات الاجتماعية :

إن من أبرز سمات غير المسلمين في مدينة الرياض انفصالهم اجتماعياً وثقافياً عن المسلمين ، فهم يستقلون بثقافتهم ولغتهم ، وعاداتهم وتقاليدهم .  
 وإذا كان غير المسلمين في المجتمع الإسلامي قديماً ينصهرون في المجتمع ويمتزجون به حتى كان منهم الشعراء والأدباء ، ويرتبطون بالمسلمين بالمصاهرة والحوار فإن ذلك شبه مفقود في العصر الحاضر وتبرز مظاهر ذلك فيما يلي :

أ - العلاقات الشخصية وعلاقات العمل :

يستقل غير المسلمين غالباً في مساكنهم وتجمعاتهم وعلاقاتهم ، فعلاقاتهم تكون أولاً مع بني جنسهم ، « فالهنود يقيمون علاقاتهم أولاً مع أقرانهم من الهنود وإن اتسع نطاق هذه العلاقة فإنه يشمل البنغاليين والسرلانكيين وبعض الباكستانيين ، ولعامل الدين المشترك أثره في ذلك ، كما للقرب الجغرافي والعادات والتقاليد أيضاً أثرها»<sup>(١)</sup>.  
 كما أن اللغة عامل مهم في تكوين العلاقات الشخصية ، إذ هي وسيلة التفاهم والتخاطب، وكذلك للمهنة أثرها في العلاقة الشخصية ، فغالباً كل يميل إلى من يشاركه في المهنة.

وغير المسلمين في مدينة الرياض بشكل عام ، والآسيويون منهم بشكل خاص تختلف دياناتهم « إذ ينتمون إلى النصرانية ، والهندوسية ، والبوذية ، وغيرها ، ويتكلمون لغات مختلفة ، وينتمون إلى ثقافات متباينة ، كما تختلف عاداتهم وسلوكهم الاجتماعي»<sup>(٢)</sup> وكل ذلك يجعل من تعاملهم مع المسلمين محصوراً في نطاق العمل ومن ثم يعزلون أنفسهم في أوقات الفراغ في مجتمعاتهم الصغيرة<sup>(٣)</sup>.

(١) نادر فرجاني ، العمالة في أقطار الخليج العربي ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٣٤ ، بتصرف .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص ٦٢ ، ٦٣ .



إن غير المسلمين لعزلتهم داخل نطاق العمل والسكن قد لا يطلعون على محاسن هذا الدين وشعائره الظاهرة التي تقام في هذه البلاد ، كما أنهم لا يعرفون كثيراً عن هذه البلاد وعن ثقافتها وأخلاق أهلها وسلوكهم ، وقد اتضح من خلال الدراسة الميدانية أن نسبة كبيرة من غير المسلمين عينة الدراسة لا يجدون ما يعبرون به عن ثقافتهم ومعلوماتهم تجاه المملكة<sup>(١)</sup> ، وهذا بدوره يشكل عبئاً على الدعاة ويتطلب منهم جهداً كبيراً في دعوتهم وإخراجهم من عزلتهم ، لاسيما أنهم قد يحكمون على سلوك أهلها من خلال تصرف فرد لا يحمل هم المسؤولية، أو قد تلتبس عليهم أمور فيردونها إلى تفسيرات خاطئة .

#### ب- العلاقات الأسرية :

تختلف العلاقات الأسرية من بلد إلى آخر ، والعمالة في مدينة الرياض تختلف كذلك في علاقاتها بالأسرة ، فالآسيويون أقوى في الارتباط العائلي من الغربيين بشكل عام ، فالأسرة عند الآسيويين تتعدى الزوجين والأولاد ، إلى الأعمام والعمات ، والأخوال والخالات ، وغيرهم ، أما الأسرة عند الغربيين فقد بدأ يضيق نطاقها مع التقدم الصناعي والنظرة المادية للحياة ، حتى استقرت إلى الأسرة إلى ما هي عليه الآن « فوصلت الأسرة إلى أضيق نطاقها فأصبحت لا تشمل إلا الزوج وزوجته وأولادهما ماداموا في كنف الأسرة »<sup>(٢)</sup> ، وهذه هي السمة الغالبة في مجتمعات الغرب ولعل سبب ذلك الانكباب التام على الدنيا والمادة حتى « أصبح الرقم سلطاناً في المجتمع الصناعي ، وصار الإحصاء لا معقب لحكمه ، فليس للفطرة الإنسانية ولا

(١) انظر : الفصل الرابع ، الجدول رقم ٩٧ ، والجدول رقم ٩٨ .

(٢) د.علي عبد الواحد وافي ، الأسرة والمجتمع ، نهضة مصر ، القاهرة ، ط ٨ ، بدون تاريخ ، ص ١٣ ، وانظر : محمود شاكر ، المسلمون في الفلين ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٢٨ .

الضمير أثر في الحياة الجديدة شأنه في ذلك شأن مالا يدخل في عداد الأرقام ولا يقاس بالكميات ، فالحاجات الإنسانية العامة وخاصة حاجات الأرملة واليتيم والشيخ والمرضى والتكافل الاجتماعي والإحسان إلى الأقارب كل ذلك ليس مربحا في النظرة المادية لأن الآلة لا تعرف الحساب الأخلاقي»<sup>(١)</sup>.

والغرب أنفسهم يشعرون بهذا الأمر ، ويدركون معاناة مجتمعهم من ذلك يقول أحدهم: «اليوم وعلى ضوء الواقع الحالي في تفكك الأسرة في مجتمعنا الغربي، وارتفاع معدلات الجرائم وحالات الطلاق ، والزيادة المستمرة في الانحرافات الجنسية لم يتبق لنا إلا القليل الذي نفخر به»<sup>(٢)</sup>.

إن العقوق للآباء والأمهات سمة بارزة في المجتمعات غير المسلمة ورغم أن الشرق قد يكون أقل من الغرب في ذلك، إلا أن أداء هؤلاء لحقوق الوالدين يرتبط كثيراً بالمصالح المادية ، وأفضل ما يصور ذلك ويؤيده ما ذكره الزعيم الهندي غاندي عندما قارن بين أمه وبين معبوده البقرة ، حيث قال : «أمي البقرة تفضل أمي الحقيقية من عدة وجوه ، فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين وتتطلب منا خدمات طول العمر نظير هذا ، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائما ، ولا تتطلب منا شيئا مقابل ذلك سوى الطعام العادي . وعندما تمرض الأم الحقيقية تكلفنا نفقات باهظة ، ولكن أمنا البقرة فلا نخسر لها شيئا ذا بال ، وعندما تموت الأم الحقيقية تتكلف جنازتها مبالغ طائلة ، وعندما تموت أمنا البقرة تعود علينا بالنفع كما كانت تعمل وهي حية ، لأننا ننتفع بكل جزء من جسمها حتى العظم والجلد والقرون»<sup>(٣)</sup>.

هذا وضع الأسرة -غالبا- في الشرق والغرب وهذا مقام الآباء والأمهات عند تلك

(١) مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٢ هـ ، ص ١١٨ ، ١١٩ ، «بتصرف» .

(٢) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ، أبحاث مؤتمر كلورادو ، ١٩٧٨ م ، ص ٨٦٧ .

(٣) نقلا عن د. أحمد شلبي ، أديان الهند الكبرى ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ٧ ، ١٩٨٤ م ، ص ٣٦ .

الأم أما الشيوعية فقد حاولت أن تقضي على الأسرة « بحجة أنها تنمي أحاسيس الأثرة الذاتية، وحب التملك »<sup>(١)</sup> ، ولكنها فشلت فشلاً ذريعاً لأنها خالفت فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله .

والباحث إذ يشير إلى معنى الأسرة عند غير المسلمين ، وما آلت إليه في العصر الحاضر، يشير أيضاً إلى أن الروابط الأسرية في المجتمع الإسلامي بشكل عام وفي المملكة بشكل خاص هي مما يلفت نظر غير المسلمين ، ويشد انتباههم ويستوجب إعجابهم ، وهي وسيلة من وسائل دعوتهم ، حيث يشاهد غير المسلمين في مدينة الرياض من مظاهر الترابط الأسري والتراحم والتعاطف ما يكون سبباً في هدايتهم إلى الإسلام .

وغير المسلمين في مدينة الرياض لهم نصيب من التأثير بمجتمعاتهم التي قدموا منها ، فالروابط الاجتماعية بينهم ضعيفة ، حيث يغلب على علاقاتهم طابع العمل والمصالح المادية ، كما أن معظم الذين يصطحبون أسرهم يعيشون في المجمعات السكنية التي تجعل الأسر ترتبط ببعضها بعلاقات مؤقتة تنتهي بانتهاء مدة إقامتهم .

### ج- العلاقات الزوجية

تتميز المرأة في المجتمع المسلم بأنها حرة مصونة مكرمة ، فقد كرمها الإسلام ومنحها حق العمل والكسب ، وأعطها الحقوق التي تكفل لها الحياة السعيدة الآمنة . ويقابل ذلك صورة المرأة في كثير من المجتمعات المعاصرة في الغرب والشرق فهي بين خوف وشقاء ، ومرد ذلك أن المرأة رضية وطلبت مساواتها بالرجل في كل شيء فقدمت نفسها للرق مرة أخرى .

(١) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، دار الشروق ، ط ٨ ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٥٤ .

لقد كان وضع المرأة قبل الإسلام في غاية المهانة والذل ، فقد كانت سلعة تباع وتشتري ، يصور ذلك حديث عائشة (رضي الله عنها) عن ضروب النكاح في الجاهلية، حيث قالت : « إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء : فنكاح منها نكاح الناس اليوم : يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها ، ونكاح آخر : كان الرجل يقول لامراته إذا طهرت من طمثها: أرسلني إلى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد ، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ، ونكاح آخر : يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها ، فإذا حملت ووضعت ، ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم ، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها ولا يستطيع أن يمتنع به الرجل ، ونكاح الرابع : يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها وهن البغايا ، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما ، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها ، جمعوا لها ودعوا لهم القافة ، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالشاط به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك ، فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم»<sup>(١)</sup>.

وإذا بدا أن هذه الأنكحة في الجاهلية تعبر عن استخفاف بقيمة المرأة من جانب الرجل ومن سوء وضعها في المجتمع آنذاك ، فإن صورا في علاقة الرجل بالمرأة ، في المجتمع الحضاري الصناعي المعاصر ليست أقل دلالة على امتهان القيم الإنسانية في الإنسان رجلاً أو امرأة عما كان عليه وضع الجاهلية ، فهناك سمات مشتركة في

(١) رواه البخاري . كتاب النكاح ، باب من قال : لا نكاح إلا بولي ، ج ٥ ، ص ١٩٧٠ ، رقم الحديث ٥١٢٧ .

علاقة الرجل بالمرأة بين ظواهر المجتمع المادي الحضاري المعاصر ، وظواهر المجتمع المادي في الجاهلية قبل الإسلام<sup>(١)</sup> .

بل إن المجتمع المادي المعاصر بلغ شأوا بعيداً في امتهان المرأة ، وجعلها سلعة رخيصة في كل شأن من شؤون الحياة ، وأضحى لهذا العمل - وهو امتهان المرأة - نظم وقوانين تشرع للزوج والزوجة ممارسة الفاحشة والرديلة دونما حساب ، حتى أصبحت علاقة الزوج بزوجته علاقة اسمية لا معنى لها في حياة المجتمع .

إن الظواهر السلوكية في علاقة الرجل بالمرأة في المجتمعات الصناعية اليوم تنم عن استخفاف الطبيعة البشرية بالحدود التي ارتضاها المجتمع يوماً ما ، وتنم - أيضاً - عن انقطاع الصلة بين التقدم الصناعي العلمي من جانب والتقدم الإنساني السلوكي من جانب آخر<sup>(٢)</sup> .

إن مما لاشك فيه أن غير المسلمين في مدينة الرياض قد تأثروا بمجتمعاتهم التي قدموا منها ، وكما أن لذلك أثره على المجتمع ، فإن لإقامتهم في المملكة أثره عليهم من خلال ما يرونه من التزام المسلمين بأداب الإسلام وتشريعاته في علاقاتهم ببعضهم البعض ومن خلال ما يرونه - أيضاً - من مكانة المرأة في المجتمع ، وصيانتها من التبذل والانحراف ، فيرونها مكرمة ، محفوظة من الدنس ، الذي تلوث به المرأة في مجتمعاتهم ، وهذا واقع عملي ، يهز مشاعرهم ويحرك عواطفهم ، ويوقظ فطرتهم .

ولأن معظم غير المسلمين في مدينة الرياض من المتزوجين ، حيث يؤكد ذلك الدراسة الميدانية التي اتضح منها أن نسبة المتزوجين أكثر من ٧٥٪ من أفراد العينة<sup>(٣)</sup> ، فإن هذا يؤكد أن على الدعاة أن يبينوا طبيعة العلاقة الزوجية في الإسلام وأن يقفوا عند قضية

(١) انظر د. محمد البهي ، الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٤١ .

(٢) انظر د. محمد البهي ، الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر ، ص ١٦٦ .

(٣) انظر : الفصل الرابع ، الجدول رقم ٥٤ .

المرأة ويولوها حقها من الرعاية والاهتمام، فيبينوا منهج الإسلام في المحافظة على المرأة وعلى دورها في المجتمع ، ويقضوا على الشبهات التي يرددتها خصوم الإسلام عن حرية المرأة وعن تعدد الزوجات وغيرها من قضايا المرأة ، ويبينوا الحق في ذلك ويظهروا العقول من الشبهات الفاسدة والتفسيرات الخاطئة ، ويبينوا حكمة الإسلام في نظمه وتشريعاته .

### ٣ - الالتزام السلوكي الظاهر في المجتمع :

تعد هذه السمة من السمات المهمة لغير المسلمين في مدينة الرياض ، فغير المسلمين بموجب أنظمة هذا البلد التي تستند إلى الشريعة الإسلامية ، ملزمون بامتثال أوامر الشرع وآدابه خلال إقامتهم في المملكة<sup>(١)</sup> ، كما أنهم يوجبون على أنفسهم ذلك ، حيث أنهم يلتزمون بالأنظمة والتعليمات ويراعون العادات والتقاليد السائدة في المملكة ويرون وجوب احترامها ، ويؤكد ذلك ما جاء في الدراسة الميدانية من أن أكثر من ٨٠٪ من عينة الدراسة يرون وجوب إحترام عادات وتقاليد البلد الذي يعملون فيه<sup>(٢)</sup> .

ومعظم غير المسلمين ألفوا في بلادهم مظاهر البطر والفرح والهن وكثرة الأعياد ، ومظاهر التفسخ والعري والانحلال الخلقي ، وهم يفتقدون ذلك في المملكة العربية السعودية التي حباها الله بنعمة تطبيق الشريعة الإسلامية - والله الحمد- ولذلك تختفي كثير من مخالفاتهم الظاهرة ، وتنكسر شهواتهم ، وينفطمون عن كثير منها حال وجودهم داخل هذه البلاد ، كما أنهم لا يظهرون شعائر دينهم فيها ، ولا يرتكبون المحرمات التي ألفوها في بلادهم ، وهذه سمة بارزة في حياة غير المسلمين الاجتماعية تختص بها هذه البلاد دون غيرها ، وهي سمة إيجابية في غير المسلمين تمكن الدعاة من الأخذ بأيديهم إلى الإسلام وبيان محاسنه لهم كما أن هذه السمة من شأنها أن تهين نفوس المدعوين لقبول الدعوة الإسلامية .

(١) انظر تفصيل ذلك في واجبات غير المسلمين في البحث الثاني من هذا الفصل .

(٢) انظر : الفصل الرابع ، الجدول رقم ٦٥ .

#### ٤ - أسباب القدوم إلى المملكة :

يعد الفقر والحاجة سمتين بارزتين لمعظم غير المسلمين في مدينة الرياض وهاتان السمتان تمثلان السبب الرئيس في هجرة هؤلاء إلى هذه البلاد طلباً للرزق وفرص العمل ، ولذلك فإن الأيدي العاملة « تعاني رغم اختلافاتها الثقافية والعرقية من تشابه كبير في الظروف والمشكلات »<sup>(١)</sup>.

ولأن معظم هؤلاء الوافدين جاءوا من بلاد فقيرة - غالباً - فقد ترتب على ذلك قبولهم العمل بأجور رخيصة ، كما أن « حاجتهم الماسة للعمل في ظل ظروفهم التي يعيشونها في مجتمعاتهم ، جعلتهم يتسمون بالطاعة التامة لصاحب العمل »<sup>(٢)</sup>.

ولا يعني ذلك أن جميع الوافدين في مدينة الرياض من غير المسلمين يتسمون بالحاجة والفقر ، حيث يوجد طبقة من العمالة الماهرة ومن الخبراء ، إلا أنهم لا يشكلون نسبة عالية ، حيث يتضح من الدراسة الميدانية أن حوالي ٧٠٪ من غير المسلمين دخلهم أقل من ٢٠٠٠ ريال ، بل إن ٤٤٪ دخلهم أقل من ١٢٠٠ ريال<sup>(٣)</sup>.

إن حاجة وفقر غير المسلمين تشكل جانبا إيجابيا في دعوتهم ، فهي تهيء الفرصة لتأليف قلوبهم على الإسلام بالمال وغيره ، لاسيما أنهم محتاجون إلى العمل ، ويبقون مدة تكفي لدعوتهم وبيان محاسن الإسلام لهم وتكفي أيضا لمتابعتهم وتكليف الوسائل لدعوتهم . ثم إن هذه البلاد - والله الحمد - لا يدعى فيها إلا إلى الإسلام وحده ، بل إلى التوحيد الخالص وعقيدة السلف ، فلا يوجد في هذه البلاد أحزاب أو مؤسسات تدعو إلى غير الإسلام ، مما يستوجب على الدعاة بذل الجهد في دعوتهم وتأليفهم على الإسلام .

(١) نادر فرجاني ، العمالة في أقطار الخليج ، ص ٨٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

(٣) انظر : الفصل الرابع ، الجدول رقم ٥٣ .



وإذا كانت البعثات التنصيرية تجوب أنحاء العالم ، وتستغل فقر الفقراء وحاجة المعوزين ، وتقدم المعونات للفقراء مقرونة بالنصرانية فإن هؤلاء الوافدين من غير المسلمين أحوج الناس إلى من يقدم لهم الإسلام ، ويتلمس حاجاتهم ، ويقدم لهم المساعدة على ضوء الحقوق التي أقرها الإسلام لهم وحفظها لهم على نحو ما سيعرض له الباحث في المبحث الثاني من هذا الفصل إن شاء الله .

وان قدوم كثير من غير المسلمين تاركين أوطانهم وأهليهم يجعلهم يعيشون فراغاً نفسياً كبيراً ، مما يتطلب من الدعاة أن يستثمروا هذا الفراغ ، وذلك بمشاركتهم شعورهم في الغربة وهجر الأهل والوطن ، والتخفيف من آثار ذلك ، وبيان تصور الإسلام للعلاقة بين أفرادها التي لا تربط المسلم بوطن معين ، وبيان حرص الإسلام على إبراز أخوة الإسلام التي يتميز بها عن سائر الأديان .

واستثمار هذا الفراغ يجب أن يتم بطرق مدروسة لاسيما أن قسماً كبيراً من غير المسلمين لديهم أوقات فراغ ، حيث إن أكثر من ٥٠٪ من عينة الدراسة الميدانية يعملون ٨ ساعات فأقل<sup>(١)</sup> ، وهم يشغلون هذا الفراغ في الترفيه ، وليس في تثقيف أنفسهم ، ويتطلب ذلك من الدعاة بيان المنهج الصحيح في أولويات الحياة وتوجيه غير المسلمين إلى الطرق المثلى للاستفادة من أوقاتهم .

(١) انظر : الفصل الرابع ، الجدول رقم ٥٧ ، ٦٩ ، ٧٢ .

## الفرع الثالث

### السمات الثقافية لغير المسلمين

### في مدينة الرياض

يصطبغ الواقع الفكري لغير المسلمين بثقافة بلدانهم التي قدموا منها ، وتبدو هيمنة الفكر الغربي المادي واضحة على غير المسلمين ، لاسيما النصارى منهم ، فقد فتنوا بهذه الحياة الدنيا ، وجعلوا للدين نصيباً هامشياً في حياتهم ، وارتكز تفكيرهم على المادية والعقلانية والتقليد الأعمى ، فالدنيا في قلوبهم عظيمة ، وهم لا ينفكون عما صورهم القرآن في آيات عديدة تبين سماتهم كما في قوله تعالى : ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾<sup>(١)</sup> .

فقد ذكر الله لهم في هذه الآية وصفين لا ينفكان عنهم ، العلم بظاهر الحياة الدنيا ، والغفلة عن الآخرة ، فعلمهم « يتعلق بظواهر الحياة ولا يتعمق في سننها الثابتة وقوانينها الأصلية ولا يدرك نوااميسها الكبرى ، وظاهر الحياة محدود صغير مهما بدا للناس واسعاً شاملاً ، والغفلة عن الآخرة تجعل كل مقاييس الغافلين تختل ، وتورجح في أكفهم ميزان القيم ، فلا يملكون تصور الحياة وأحداثها وقيمها تصوراً صحيحاً ، ويظل علمهم بها ظاهراً سطحياً ناقصاً ، لأن حساب الآخرة في ضمير الإنسان يغير نظراته لكل ما يقع في هذه الأرض »<sup>(٢)</sup> .

قال السعدي (رحمه الله) عند تفسير هذه الآية : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، فينظرون إلى الأسباب ويجزمون بوقوع الأمر الذي في رأيهم انعقدت أسباب وجوده ، ويتيقنون عدم الأمر الذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية لوجوده شيئاً ، فهم واقفون مع الأسباب غير ناظرين إلى مسببها المتصرف فيها ، وهم عن الآخرة هم غافلون ، قد

(١) سورة الروم : الآية ٧ .

(٢) سيد قطب في ظلال القرآن ، ج ٥ ، ص ٢٧٥٨ ، ص ٢٧٥٩ ، بتصرف .

توجهت قلوبهم وأهواؤهم وإرادتهم إلى الدنيا وشهواتها وحطامها ، فعملت لها وسعت ، وأقبلت بها وأدبرت ، وغفلت عن الآخرة ، فلا الجنة تشتاق إليها ، ولا النار تخافها وتخشاها ، ولا المقام بين يدي الله ولقائه يروعها ويزعجها ، وهذا علامة الشقاء ، وعنوان الغفلة في الآخرة ، ومن العجب أن هذا القسم من الناس ، قد بلغت بكثير منهم الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا إلى أمر يثير العقول ، ويدهش الألباب ، وأظهروا من العجائب الذرية والكهربائية ، والمراكب البرية والبحرية والهوائية ما فاقوا به وبرزوا ، وأعجبوا بعقولهم ، ورأوا غيرهم عاجزاً عما أقدرهم الله عليه ، فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء ، وهم مع ذلك أبلد الناس في أمر دينهم ، وأشدهم غفلة عن آخرتهم ، وأقلهم معرفة بالعواقب ، قد رأهم أهل البصائر النافذة في جهلهم يتخبطون ، وفي ضلالهم يعمهون ، وفي باطلهم يترددون ، نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ، ولو نظروا إلى ما أعطاهم الله ، وأقدرهم عليه من الأفكار الدقيقة في الدنيا وظاهرها ، وما حرّموا من العقل العالي ، لعرفوا أن الأمر لله والحكم له في عباده ، وإن هو إلا توفيقه أو خذلانه ، وخافوا ربهم وسألوه أن يتم لهم ما وهبهم من نور العقول والإيمان حتى يصلوا إليه ويحلوا بساحته ، وهذه الأمور لو قارنها الإيمان ، وبنيت عليه لأثمرت الرقي والمعالي ، والحياة الطيبة ، ولكنها لما بني كثير منها على الإلحاد لم تثمر إلا هبوط الأخلاق وأسباب الفناء والتدمير<sup>(١)</sup> .

إن هذه الآية تبين نمط التفكير عند الماديين الذين لا يعيشون إلا لهذه الحياة الدنيا وعطلوا التفكير في الآخرة وغفلوا عنها ، ولم يدركوا المعنى الحقيقي لهذه الدنيا ، وعبدوا أهواءهم ، فأصبحوا كالأنعام السائمة بل هم أضل منها كما وصفهم القرآن في قوله تعالى ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها . ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ أفأريت من اتخذ إلهه

(١) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ج٦ ، ص ٥٦ .

(٢) الاعراف : الآية ١٧٩ .

هواه أفانت تكون عليه وكيفا ، أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا»<sup>(١)</sup>.

هذا ويعرض الباحث لأبرز السمات الثقافية لغير المسلمين في مدينة الرياض من خلال النقاط التالية :

### أ - التعليم

تتفاوت مصادر التلقي للمعارف عند غير المسلمين في مدينة الرياض بحسب المستوى التعليمي وطبيعة العمل ، فأصحاب المستوى التعليمي العالي يختلفون عن غيرهم في مصادر التلقي ، كما أن طبيعة العمل وساعات العمل تفرض على العامل نوعا من أنواع مصادر التلقي المتعددة من القراءة والسماع ومتابعة وسائل الإعلام المختلفة .

وغير المسلمين في مدينة الرياض بل في دول الخليج - بشكل عام - يوجد منهم نسبة من ذوي المستويات التعليمية المتدنية حيث القراءة والكتابة فقط ، وهذه الظاهرة «ليست ظاهرة عفوية بل هي تتمشى مع الاحتياجات الفعلية للبلدان المستوردة لها»<sup>(٢)</sup>.

كما أن ذوي التعليم المتوسط والثانوي أيضاً يشكلون نسبة عالية ، حيث اتضح من الدراسة الميدانية وجود ٦,٤٧٪ من ذوي التعليم الثانوي فأقل<sup>(٣)</sup>.

والأمية الثقافية التي يتسم بها هؤلاء لها أثرها على المجتمع بشكل عام وعلى دعوتهم بشكل خاص ، فهي تزيد نسبة الأمية في المجتمع وهو الأمر الذي تسعى كل دولة إلى مكافحته ، ووجود هؤلاء الأميين يعارض ذلك ، وقد نصت خطة التنمية السادسة للمملكة

(١) الفرقان : الآيات ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) نادر فرجاني ، العمالة في أقطار الخليج العربي ، ص ٤٤ .

(٣) انظر : الفصل الرابع ، الجدول رقم ٥٢ .

(١٤١٥-١٤١٢هـ) على ضرورة تركيز الاستقدام على العمالة المؤهلة<sup>(١)</sup>.

كما أن الأمية مدعاة إلى الممارسات الخاطئة ، والعادات السيئة ، وسبب رئيسي في انتشار الخرافات والأساطير . وإذا كان المجتمع يستفيد فكرياً من وجود الطبقة المثقفة وأصحاب المستوى التعليمي العالي وأهل الخبرة العلمية ، فإنه بالمقابل يتضرر كثيراً من وجود أصحاب المستوى التعليمي المتدني « الذين لا ينقلون إلا ما هو هامشي في مجتمعهم »<sup>(٢)</sup> ، ولذلك تكثر الخرافات والأباطيل عند الأميين أكثر من غيرهم ، على أن غير المسلمين يلقون اهتماماً في بلدانهم أكثر من المسلمين ، فهم أحسن حظاً في التعليم من المسلمين الذين يشكلون أقلية في تلك البلدان كما هو الحال في الهند والفلبين مثلاً .

وليس غرض الباحث هنا تتبع الآثار العامة التي تنجم عن تدني المستوى التعليمي لغير المسلمين ، فإن البحث في ذلك يطول ، وإنما الغرض تتبع أثر أمية غير المسلمين في مجال الدعوة الإسلامية . ويتمثل ذلك في أن الأميين هم ألصق الناس بالتقليد الأعمى الذي ذكر في القرآن في آيات عديدة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ، ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ، صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾<sup>(٣)</sup> .

إن كثيراً من غير المسلمين من ذوي التعليم المتدني يحكمون على الإسلام من خلال واقع المسلمين المعاصر ، وأنه لواقع يتعد أحياناً كثيرة عن منهج الإسلام ومبادئه ، وهم لا يبحثون ولا يقرأون أصلاً في مصادر الإسلام ومنابعه الصافية ، ولذلك فهم لا يتصورون حقيقة الإسلام أو يعلمون عنه شيئاً يذكر ، وربما كان غالب تصورهم عنه اليوم من خلال

(١) انظر : وزارة التخطيط ، خطة التنمية السادسة ، ص ٤٧٧ .

(٢) نادر فرجاني ، العمالة في أقطار الخليج العربي ، ص ١٧٨ .

(٣) سورة البقرة : الآيتان ١٧٠ ، ١٧١ .

ما يروونه من تلبس بعض المسلمين في بلدانهم باخرافات العديدة التي يمارسها الصوفية والقبورية ، حيث المقامات والمزارات والخرافات ، وهذه لاشك لها أثرها السيء على الدعوة .  
ولذلك فإن من صميم احتياجات الدعوة في العصر الحاضر أن يدرك الدعاة أن مخاطبة هؤلاء تختلف عن غيرهم ، فهم وإن كانوا ظاهراً أكثر تمسكا بعقيدتهم ونفوراً من غيرها ، وأكثر عناداً وتعصبا لما ورثوه من آباؤهم - ككفار قريش في عهد النبوة - إلا أنهم يعيشون خواءً في العقيدة ، ولاسيما من دخل منهم في النصرانية فلم يجد فيها ما يروي غليله ، فعاد إلى دينه وهو أقل اقتناعاً به من ذي قبل ، وهذا كله مما يسهل قبول هؤلاء دعوة الإسلام .

ويقابل ذوي المستويات التعليمية المتدنية آخرون من ذوي التعليم العالي ، وهؤلاء عندهم شيء من المعارف الفاسدة والحجج الباطلة ، وبعضهم قرأ عن الإسلام كثيراً وتشبع بآراء كثير من خصومه من المستشرقين وغيرهم الذين كتبوا عن الإسلام ونفشوا حقدهم وبغضهم المقيت في ثنايا كتاباتهم ، مما يحتاج من الداعية إلى توظيف إمكاناته العلمية والعقلية ، واستثمار الوسائل المناسبة في إقناع هؤلاء بالجدل والمناظرة ، ولكن يجب أن يكون الجادل « على علم بالإسلام وعلى علم بالدين الذي عليه الخصم ؛ ليتمكن من إفحام خصمه ، لأن الجادل يحتاج إلى أمرين : أحدهما : إثبات دليل قوله ، والثاني : إبطال دليل خصمه ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة ما هو عليه وما عليه خصمه ، ليتمكن من دحض حجته »<sup>(١)</sup> ، قال ابن القيم (رحمه الله) في سياق عرض الفوائد من قدوم وفد نجران على النبي ﷺ : « فيه جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم ، بل استحباب ذلك ، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم ، وإقامة الحجة عليهم ، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة فليول ذلك إلى أهله ، وليخل بين المطي

(١) ابن عثيمين ، الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات ، دار المجد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ ، ص ١٩٠ .

وحاديها والقوس وباريها «<sup>(١)</sup> .

وحجج هؤلاء - مهما كانت - داحضة ، وباطلهم زاهق ، كما أخبر بذلك القرآن قال تعالى : «والذين يحتاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد»<sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى : «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون»<sup>(٣)</sup> ، وإن تفاوت غير المسلمين وتباينهم في تعليمهم وتفكيرهم ، وفي أمزجتهم ومشاعرهم ، وفي اختلاف مورثتهم الثقافية والاجتماعية ، كل ذلك يوجب على الداعية حين يدعوهم اختيار الوسائل المناسبة والأساليب الملائمة لعقولهم ، وليس هناك منهج أسلم في دعوتهم ، ولا أنسب في قبوله لديهم ، ولا أضمن في نتائجه معهم من منهج القرآن والسنة الذي تقدم عرضه في الفصل الأول من هذا البحث .

#### ب - اختلاف اللغة .

ومن السمات الثقافية لغير المسلمين اختلاف لغاتهم وتنوعها ، وهذا له أثره على الدعوة من جهة ، وله أثره على اللغة العربية من جهة أخرى ، فغير المسلمين في مدينة الرياض يتكلمون بلغات شتى ، خاصة الآسيويون منهم ، حيث لكل أهل بلد لغتهم المستقلة ، بل ربما اختلفت لغات الوافدين من البلد الواحد ، وبنظرة إلى أكبر عمالتين من غير المسلمين في مدينة الرياض وهما العمالة الفلبينية والعمالة الهندية نجد أن « في الهند

(١) ابن القيم ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١٣ ، ١٤٠٦ هـ ، ج ٣ ، ص ٦٣٩ ، وانظر قصة مناظرته لأحد علماء أهل الكتاب ، ج ٣ ، ص ٦٣٩ - ٦٤٢ .

(٢) سورة الشورى : الآية ١٦ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ١٨ .

حوالي ٢٤٠ لغة ونحو ٣٠٠ لهجة<sup>(١)</sup> ، وربما كان ذلك من الأسباب التي أعاققت دخول كثير منهم إلى الإسلام ، حيث يصعب التخاطب معهم ، وإن كانت اللغة الإنجليزية لغة عامة في الهند لا سيما عند الطبقة المثقفة منهم ، حيث إن تعدد لغاتهم « سهل على الإنجليز فرض لغتهم أثناء فترة الاستعمار حتى أصبحت اللغة العامة في بلاد الهند<sup>(٢)</sup> .

أما الفلبينيون فهم أقل من الهنود في مجال تعدد اللغات وكثرة اللهجات فمعظمهم يتحدثون الإنجليزية وهي لغة الحكومة في بلادهم وإن كانت تسعى لإحلال اللغة الوطنية ( التاجالوج ) بدلا منها<sup>(٣)</sup> .

إن اختلاف اللغة من بلد لآخر يجعل الدعوة بحاجة إلى مزيد من الجهد في الوصول إلى أصحاب هذه اللغات ، وإيصال الدعوة إليهم بلغتهم عن طريق الدعاة ، والترجمة لبعض الكتب بأكثر من لغة ، وهذا وإن كان موجودا إلا أنه لا يغطي جميع العمالة في مدينة الرياض فضلا عن أن يغطي جميع اللغات .

ولذلك يرى الباحث أن يكون هناك سعي في تعليم هؤلاء الوافدين اللغة العربية وتشجيعهم على ذلك بمختلف الوسائل المشروعة ، فإن في ذلك تذليلاً لعقبة اللغة التي تقف حائلا دون دعوتهم ، وفيه محافظة على هذه اللغة من جهة أخرى ، وفيه من جهة ثالثة تيسير لهم وتقريب لفهم دعوة الإسلام ، ومن ثم قبولها ، فنشر اللغة العربية من أكبر الوسائل في الدعوة إلى الإسلام فهي لغة القرآن والسنة ووعاء الرسالة الخالدة ، والعناية بها جزء حقيقي من عمل أهل الإسلام .

إن فهم الإسلام فهما تاماً لا يكون إلا بالإلمام التام باللغة العربية ، وإن إنشاء مدارس للغة العربية بين غير المسلمين « يوسع القاعدة الثقافية للغة القرآن وسيكون يوماً رافداً من

(١) د. عبد المنعم النمر ، تاريخ الإسلام في الهند ، ص ٤٢ ، ومن اللغات السائدة في الهند ، الهندية ، والمليبارية ، والتاميلية ، والأوردو ، والتلغو ، وغيرها وكل ولاية لها لغة مستقلة .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥ ، « بتصرف » .

(٣) انظر : محمود شاكر ، المسلمون في الفلبين ، ص ٢٨ .



روافد الإيمان»<sup>(١)</sup> .

ومما يؤيد ذلك أن المجتمع الياباني بدأ الاهتمام بدراسة اللغة العربية بعدما بدأت الدول العربية تأخذ وضعاً متميزاً في المجتمع الدولي ، وتبعاً لذلك فتحت بعض الشركات اليابانية ذات العلاقة بالدول العربية فصولاً لتدريس اللغة ليتمكن موظفوها من استخدام اللغة العربية في التجارة والتعامل مع العالم العربي ، وكان الهدف في البداية اقتصادياً ، ولكن بمرور الوقت تعددت أوجه الاهتمام ، وبدأ بعض المسلمين اليابانيين يتعلمون اللغة لفهم القرآن وأداء الشعائر الإسلامية ، وأسهمت اللغة إسهاماً فعالاً في دخول كثير من اليابانيين في الإسلام<sup>(٢)</sup> ، فكانت معرفة اللغة مفتاحاً لهؤلاء للاطلاع على تعاليم الإسلام وآدابه ، وإن سماع غير المسلمين بعض الألفاظ الإسلامية مثل « إن شاء الله ، والحمد لله » يدعوهم إلى السؤال عن هذا الدين وآدابه وأخلاقه .

كما أن اللغة العربية وسيلة من وسائل حفظ المسلمين الجدد لا سيما إن عادوا إلى بلادهم ، فهم بحاجة إلى تشكيل تام لهويتهم أثناء وجودهم في هذه البلاد ، وهذا يتطلب إعداد الكتب الميسرة لتعليم اللغة ، والاستفادة من وسائل الإعلام في ذلك عن طريق تنظيم وإعداد برامج لتعليم اللغة العربية ، كما أن ذلك يتطلب من الدعاة توعية الناس بأهمية تعلم هؤلاء اللغة العربية وضرورة إسهامهم في ذلك . لا سيما أن المسلمين الوافدين يقنون مدة تكفي لتعلمهم اللغة ، ويخالطون المسلمين كثيراً خصوصاً في أوقات الصلوات .

ومما يبين أهمية تعليم اللغة العربية أن معاني القرآن الكريم لا تتضح لكثير من الذين لا يتكلمون اللغة العربية فيجدون صعوبة في فهم معاني القرآن يقول أحد المسلمين الجدد أنه أعطى كتباً عن الإسلام وكان له أصدقاء يقرأون عليه معاني بعض سور من القرآن

(١) الغزالي ، الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ ، ص ١٥٩ .

(٢) انظر : عبد العزيز تركستاني ، وضع اللغة العربية في الأقليات الإسلامية ، أبحاث مؤتمر الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ، ١٤٠٦ هـ ، ج ٢ ، ص ٥٩٥ ، ٥٩٦ .

مترجمة إلى الإنجليزية ، يقول : « ولكنني لم أستطع حينها أن أستوعب المعاني بسرعة »<sup>(١)</sup> .  
 كما أن اطلاعهم على ترجمة معاني القرآن لا يعني إسلامهم ، وإن كان طريقاً إلى  
 تقريب الإسلام لهم ، ويؤكد ذلك أن أكثر من ٢٥٪ من غير المسلمين عينة الدراسة الميدانية  
 قد اطلعوا على ترجمة لمعاني القرآن الكريم ومع ذلك بقوا على دينهم<sup>(٢)</sup> .

إن الترجمة مهما كانت قوية وعلمية إلا أنها لن تكون قريبة من القرآن الكريم ؛ لأن  
 القرآن معجزة نبينا ﷺ تحدى الله به أهل الفصاحة والبيان . ثم إن الترجمة قد لا تفي  
 بالغرض لأنها قد لا تعطي المدلول الصحيح للمعنى المراد ، كما أنها تتطلب رجلاً أميناً  
 صادقاً سليماً في عقيدته وسلوكه .

ولا يعني ذلك عدم جدوى الترجمة بأي حال من الأحوال ، حيث ظهر للباحث من  
 خلال الدراسة الميدانية أن للكتب الإسلامية المترجمة أثراً كبيراً في دعوتهم للإسلام ، رغم  
 أن بعض أفراد العينة من غير المسلمين أشاروا إلى وجود نقص في مجال الترجمة ، كما  
 وكيفاً .

ولذلك يرى الباحث أن الدعوة لهم في هذا المجال يجب أن تسير في خطين متوازيين  
 الأول : تعليم اللغة العربية ، والثاني : ترجمة الكتب الجيدة أما التوسع في الترجمة خاصة  
 للمسلمين الجدد فإنه يؤدي إلى الاستغناء عن تعليم اللغة العربية ، وإن الأجدد والأولى بكل  
 مسلم أن يتعلم أولاً لغة دينه ؛ ليزداد يقينه وإيمانه بفهمه لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأن  
 يسارع ثانياً إلى تعليمه الآخرين لهذه اللغة العربية ، التي عسى أن تكون عاملاً - بعد  
 توفيق الله تعالى - في هداية غير المسلمين إلى الإسلام .

(١) د. محمد الحسن ، كيف ولماذا اعتنقنا الإسلام ، مكتبة الخريجي ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ ، ص ١١٨ .

(٢) انظر : الفصل الرابع ، الجدول رقم ٧٨ .

المبحث الثاني  
حقوق غير المسلمين وواجباتهم

وفيه مطلبان :

المطلب الأول  
حقوق غير المسلمين في مدينة الرياض

المطلب الثاني  
واجبات غير المسلمين في مدينة الرياض

المطلب الأول  
حقوق غير المسلمين  
في مدينة الرياض

وفيه تمهيد وثلاثة فروع :

التمهيد  
مفهوم حقوق غير المسلمين  
وواجباتهم ومصدرها

الفرع الأول  
حق الحماية

الفرع الثاني  
حق الرعاية

الفرع الثالث  
حق الإحسان

تمهيد

مفهوم حقوق غير المسلمين

وواجباتهم ومصدرها

قبل الدخول في بيان حقوق غير المسلمين وواجباتهم ، أرى من الواجب عليّ أن أعرف بمدلول ومفهوم كل من الحق والواجب وأن أعرف أيضاً بمصدرهما ومنبعهما ، وذلك على نحو ما يلي :

أولاً : مفهوم الحق والواجب :

بالرجوع إلى معاجم اللغة نجد أن الحق له عدة معان ، فمن معانيه : أنه اسم من أسماء الله تعالى ، ويراد به أيضاً بالقرآن ؛ وضد الباطل ؛ والعدل ؛ والإسلام ؛ والصدق ؛ وأحق الشيء : أوجه<sup>(١)</sup> .

أما الواجب فيقول فيه صاحب القاموس المحيط : وجب يجب وجوباً أي : لزم ، فالواجب يدل على الثبوت واللزوم ، واستوجب الشيء : استحقه<sup>(٢)</sup> .

قال الراغب : « الواجب هو الذي إذا لم يفعل يستحق به اللوم وهو على ضربين : واجب من جهة العقل كوجوب معرفة وحدانية الله ومعرفة النبوة ، وواجب من جهة الشرع كوجوب العبادات »<sup>(٣)</sup> .

وبين الحق والواجب تلازم بين ، فالواجبات الدينية كالصلاة والزكاة حق لله على عباده ، وهذا التلازم ظاهر في المدلول الشرعي ، فالله تبارك وتعالى حينما يعطي الإنسان حقاً يفرض في الوقت نفسه واجباً على طرف آخر ، فحق الملكية لفرد ما ، يقابله واجب

(١) انظر : الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، دار المريخ ، ط ٢ ، بدون تاريخ ، ج ١ ، ص ٧٦٩ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٥٧٤ .

(٣) الراغب الأصفهاني ، مفردات القرآن ، ص ٥٤٩ «بتصرف» .

على الناس يتمثل في عدم الاعتداء على هذه الملكية ، وحق الحياة للفرد ، يوجب على الناس أن لا يعتدوا عليه بالقتل والإيذاء وهكذا” .

بل علينا أن نعلم أن كل حق في الشريعة يستلزم واجبين ، فحق الحياة مثلاً يستلزم واجبين :

الأول : على صاحب الحق أن لا يعرض نفسه للهلاك ، والثاني : على غيره من الناس أن لا يعتدوا عليه” .

ثانياً : مصدر الحقوق والواجبات :

الحقوق والواجبات في الإسلام مصدرها الأساسي هو الوحي الإلهي بمصدره المعصومين الكتاب والسنة ، فلا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله ، ولا حق إلا ما جعله الله ورسوله حقاً .

وعندما أقر الإسلام غير المسلمين على البقاء في دار الإسلام شرع لهم من الحقوق والواجبات ما يبعث على بقائهم في داره وتحبيبهم ، بل إدخالهم في دينه، وما قرره الشريعة الإسلامية من حقوق وواجبات لغير المسلمين باق إلى قيام الساعة ، وإن غاب تطبيقه في معظم بلاد المسلمين اليوم .

وفي المملكة العربية السعودية التي شرفها الله برعاية الحرمين الشريفين وأكرمها بتطبيق شرع الله وتنفيذ أحكامه وحدوده ، تستمد حقوق غير المسلمين وواجباتهم من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وهدى السلف الصالح واجتهادات علماء هذه البلاد فيما يجد من قضايا تتعلق بمعاملة غير المسلمين ، ومن ثم ينعم المقيمون في مدن المملكة من غير المسلمين بحقوقهم الكاملة .

(١) انظر : د. محمد رأفت عثمان ، الحقوق والواجبات في الإسلام ، دار إقرأ ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٣ هـ ، ص ١٥ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ١٧ .

وإذا كانت الدول تسعى في معاملتها للرعايا الأجانب إلى تطبيق المبادئ التي تنادي بها منظمة حقوق الإنسان والقوانين الدولية ، فإن الحقوق التي كفلتها المملكة للأجانب المقيمين فيها من المسلمين أو غير المسلمين لا تهبط إلى مستوى التوصيات التي لا ضمان لها، بل تستمد قوتها من الشريعة الإسلامية التي كفلت لغير المسلمين حقوقهم في المحافظة على أموالهم ودمانهم وأعراضهم<sup>(١)</sup> .

هذا .. ولنا أن نذكر - في هذا المقام - بأن المملكة العربية السعودية « أخذت بجميع المبادئ الدولية التي وضعت لصالح العمل والعمال ، خاصة في حق الأجر العادل ، وحق العطل المأجورة ، وتحديد ساعات العمل ، والإجازة السنوية المأجورة ، والشروط الصحية ، والوقائية ، والتأمين الصحي وتعويض الإصابة ، مما جعل المملكة في ميدان حقوق العمل في مقدمة دول العالم<sup>(٢)</sup> » .

ولذلك كانت المملكة مصدر استقطاب للعمال حيث تتعدد جنسيات العمالة المستقدمة في المملكة بصورة يندر أن توجد في دولة من دول العالم الثالث ، وقد حافظت المملكة على علاقات تجارية مع معظم دول العالم ، وتسعى إلى تشجيع التبادل التجاري ، وجلب التقنية ، والاستفادة من الخبرات والمهارات البشرية عن طريق التدريب والاحتكاك بالعمال والخبراء من الدول التي تستقدم منها<sup>(٣)</sup> .

وجدير بالذكر أن غير المسلمين في مدينة الرياض هم من المستأمنين « والإسلام يكفل للمستأمن حقوقه دون الحاجة إلى قيام عقد ، فله حق الحفاظ على نفسه وماله وعرضه<sup>(٤)</sup> » .

(١) انظر : وزارة الإعلام ، ندوة علمية حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام ، الرياض ، ط ١ ، ١٣٩٢ هـ ، ص ١٤ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٣) انظر : د. محمد مصلح الثمالي ، استخدام العمال في القطاع الخاص بالمملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، سلسلة بحوث العلوم الاجتماعية ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٤٣ .

(٤) د. محمد عفيفي ، الإسلام والعلاقات الدولية ، دار الرائد ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ ، ص ٣٣٢ .

وجدير بالذكر أيضاً أن نذكر بأن الإسلام لم يفرق بين الذمي والمستأمن في الحقوق فإن « للمستأمن في دار الإسلام من الحقوق ما يقرب من حقوق الذمي »<sup>(١)</sup> ، لأن المستأمن بمنزلة أهل الذمة في دار الإسلام<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فالقاعدة العامة أن للمستأمن حقوقاً وواجبات كالذمي إلا في استثناءات قليلة اقتضتها طبيعة كون المستأمن أجنبياً عن دار الإسلام ، فالجزية مثلاً لا تجب على المستأمن لأنه أجنبي عن دار الإسلام وتجب على الذمي وإن كان الاثنان من غير المسلمين<sup>(٣)</sup>.

ولأشعر الآن - بتوفيق الله تعالى - في عرض لأبرز الحقوق المقررة لغير المسلمين في مدينة الرياض على نحو ما تتضمنه الفروع الآتية :

(١) د. عبد الكريم زيدان ، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٧٣ .

(٢) انظر : الشيباني ، شرح السير الكبير ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، بدون تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ ، وما يلفت النظر أن لغير المسلمين في الإسلام حقوقاً عديدة وهي مبسطة في كتب الحديث والفقه ، وقد أفرد ابن القيم (رحمه الله) لها كتاباً مستقلاً سماه : (أحكام أهل الذمة) ، كما وضع الخلال كتاباً في ذلك أسماه أحكام أهل الملل ، وهذه الحقوق والواجبات تدل على واقعية الإسلام وشموله وصلاحيته لكل زمان ومكان كما تدل على سماحة الإسلام ويسره .

(٣) انظر : د. عبد الكريم زيدان ، أحكام الذميين والمستأمنين ، ص ٧٣ ، ٧٤ .



## الفرع الأول حق الحماية لغير المسلمين في مدينة الرياض

تقدم أن حقوق غير المسلمين في المملكة العربية السعودية مستمدة من نصوص الشريعة الإسلامية ، ومن المبادئ والأنظمة الحديثة التي تتفق معها ، وعندما يقوم المسلم في المملكة بأداء حقوق غير المسلمين ، يقوم بذلك امتثالاً لأمر الله ورسوله وطاعة لأولي الأمر ، لا لأن منظمة حقوق الإنسان قررت ذلك ودعت إليه ، فحفظ المعاهد في نفسه وماله وعرضه أمر كفله الإسلام قبل ظهور منظمة حقوق الإنسان وغيرها من المنظمات .

كما أن الفرد المسلم في المملكة لا يقوم بأداء هذه الحقوق مكافأة أو معاملة بالمثل ، وإنما يقوم بها لأنها من دين الإسلام بل إن المسلم « لا يرتبط في معاملته لغير المسلمين برد الفعل ، بل هو مرتبط بالنص ، وإن ما يحدث في بلد ما من غير المسلمين من إيذاء المسلمين لا يخول أي مسلم أن يكافئ بني جنسهم بإيذاء مماثل ، قال تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ وقد نهينا عن ذلك بنصوص كثيرة »<sup>(١)</sup> .

كما أن المحافظة على دماء المستأمنين وأموالهم وأعراضهم من مقتضيات الأمان يقول الدكتور عبد الكريم زيدان : « والوفاء بالأمان توجه الشريعة الإسلامية ولا يمكن التفريط فيه لأنه غدر وخيانة ، والخيانة منهي عنها في الإسلام »<sup>(٢)</sup> .

ويمكن أن نتبين صور حماية غير المسلمين في مدينة الرياض من خلال العناصر

التالية:

(١) د. بدران أبو العينين ، العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين في الشريعة الإسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٤ م ، ص ٣٣٢ ، « بتصرف » ، والآية من سورة فاطر : الآية ١٨ .

(٢) د. عبد الكريم زيدان ، أحكام الذميين والمستأمنين ، ص ٧٤ .

أ - حرمة دمائهم وأعراضهم :

لما أذن الشارع لغير المسلمين بالبقاء في دار الإسلام وشرع عقد الذمة والأمان فإن ذلك يقتضي مسؤولية الدولة عن هؤلاء المستأمنين وحمايتهم ، فلهم على الدولة حق الحماية ، والحفاظ على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، فيحرم قتالهم وأخذ مالهم وانتهاك أعراضهم ، وقد قرر الفقهاء أنه : « يجب على الإمام حفظهم ومنع من يؤذيهم »<sup>(١)</sup> .

وأصل تحريم قتالهم مقتضى العهد معهم وقد جاء الوعيد الشديد لمن اعتدى على معاهد ، ففي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال : « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً »<sup>(٢)</sup> .

والمعاهد : من له عهد مع المسلمين سواء كان بعقد جزية أو هدنه من سلطان أو أمان من مسلم<sup>(٣)</sup> .

ففي هذا الحديث تحريم قتل المعاهد وحرمة دمه ، قال سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز مفتي الديار السعودية<sup>(٤)</sup> : « لا يجوز قتل الكافر المستأمن الذي أدخلته الدولة آمناً »<sup>(٥)</sup> .

(١) ابن ضويان ، منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الإمام أحمد ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ١٣٩٩ هـ ، ج ١ ، ص ٣٠١ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجزية والموادعة ، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم ، ج ٣ ، ص ١١٥٥ ، رقم الحديث ٣١٦٦ ، وفي كتاب الديات ، باب إثم من قتل ذمياً ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ ، رقم الحديث ٦٩١٤ .

(٣) انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ج ١٢ ، ص ٢٥٩ .

(٤) عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ولد عام ١٣٣٠ هـ تولى أعمالاً كثيرة منها القضاء في المخرج لمدة ١٤ عاماً ، ورئيساً للجامعة الإسلامية ، ثم رئيساً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، وفي عام ١٤١٤ هـ صدر أمر ملكي بتعيينه مفتياً عاماً للمملكة ورئيس هيئة كبار العلماء ورئيس اللجنة الدائمة للإفتاء ، له العديد من الكتب والفتاوى ، حاز على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤٠٢ هـ ، انظر : عبد العزيز بن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، جمع د. محمد الشويمر ، شركة العبيكان ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ ، ج ١ ، ص ٩ ، وانظر : الموسوعة العربية العالمية ، ج ٨ ، ص ٩٢ .

(٥) د. عبد الله الرفاعي ، مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري على ضوء الكتاب والسنة ، دار المعراج ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ ، ص ٢٩ ، نقلاً عن الشيخ عبد العزيز بن باز .

فالاعتداء على غير المسلمين المستأمنين في أي مدينة إسلامية لا يجوز ؛ لأنهم دخلوا بأمان ، ولا يعني كفرهم جواز قتلهم أو إيذائهم ، قال الشيخ صالح السدلان : « والاعتداء على الكفار المستأمنين لا يجوز .... ولو فعلوا بعض الأشياء التي تخالف الشرع فإن علينا أن نطالبهم أن يخفوا هذه الأشياء »<sup>(١)</sup> .

### ب - حرمة أموالهم :

كما لا يحل شيء من أموال المسلمين إلا بطيب أنفسهم فكذلك لا يحل شيء من أموال غير المسلمين المستأمنين إلا ما صولحوا عليه ؛ لأن في الأخذ بغير طيب أنفسهم معنى الغدر ، وترك الوفاء بالعهد ، وكلا الأمرين مرفوض في الإسلام ، ولذلك « فملكيتهم مصونة شأنها شأن ما يملكه المسلمون »<sup>(٢)</sup> ، ولهم حق التصرف في أموالهم<sup>(٣)</sup> .

وفي سبيل المحافظة على الحقوق المالية لغير المسلمين - في مدينة الرياض وفي غيرها- فقد جاءت التعليمات والأنظمة التي تساعد على حفظ أموال الوافد إلى المملكة من المسلمين وغير المسلمين ، خلال إقامتهم في المملكة ، بل حال دخوله لها فقد تضمن نظام الإقامة أن على الأجنبي أن يوضح المال الذي يحمله ساعة دخوله إلى المملكة نقداً أو شيكات<sup>(٤)</sup> ، وفي ذلك لاشك حماية لماله وحفظ لحقه .

(١) د. عبد الله الرفاعي ، مراجعات في فقه الواقع ، ص ٩٤ ، نقلاً عن د. صالح السدلان ، ود. السدلان هو : صالح بن غانم السدلان ، ولد عام ١٣٦٢ هـ ، حاصل على الدكتوراه في الفقه المقارن عام ١٤٠٣ هـ ، له أكثر من عشرين كتاباً مطبوعاً ، أستاذ بقسم الفقه بكلية الشريعة ، انظر : ص ٩٦ من الكتاب نفسه .

(٢) د. عبد المنعم بركة ، المساواة بين المسلمين وغير المسلمين ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، ص ٢١٥ .

(٣) انظر : د. أحمد عبد الحميد عشعوش ، أحكام الجنسية ومركز الأجانب في دول مجلس التعاون الخليجي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، ص ٤٨٧ ، وانظر : وزارة الإعلام ، ندوة علمية حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان ، ص ٢٩ .

(٤) انظر : د. أحمد عشعوش ، أحكام الجنسية ومركز الأجانب ، ص ٥٣٥ .

ومن المحافظة على حقوقهم المالية من قبل صاحب العمل ، أوجب نظام العمل والعمال على صاحب العمل عدم تأخير حقوق عماله المالية<sup>(١)</sup> .

ج - عدم إكراههم على ترك دينهم :

ويتعدى الأمر في حفظ غير المسلمين - المقيمين في مدينة الرياض وغيرها - في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم إلى حفظهم في دينهم ، فيتركون وما يدينون ، ولا يكرهون على الدخول في الإسلام ، ولا يعني ذلك الرضا بما هم عليه من الكفر والشرك ، فإن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقد بين القرآن الكريم أن الإسلام هو الدين الذي رضيه الله لعباده ، وأن الله تعالى لا يقبل من أحد ديناً سواه ، قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾<sup>(٤)</sup> .

ومع ذلك لم يجبر الإسلام غير المسلمين على الإسلام ، بل ولا يثبت لهم حكم الإسلام لو أسلموا بالإكراه قال ابن قدامة في المغني : « وإذا أكره على الإسلام من لا يجوز إكراهه كالذمي والمستأمن فأسلم لم يثبت له حكم الإسلام حتى يوجد منه ما يدل على إسلامه طوعاً ، مثل أن يثبت على الإسلام بعد زوال الإكراه »<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر : يوسف عبد المجيد ، شرح نصوص نظام العمل والعمال في المملكة العربية السعودية ، الدار السعودية ، جدة ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ ، المادة / ٨ ، ص ١٧ ، والمادة / ١٥ ، ص ٢٣ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٧ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٣ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ٨٥ .

(٥) ابن قدامة ، المغني ، ج ٨ ، ص ١٤٤ .

وقد تقدم في الفصل الأول بيان أن قوله تعالى : « لا إكراه في الدين » آية محكمة وليست منسوخة .

إن واقع غير المسلمين منذ ظهور الإسلام وإلى يومنا هذا يشهد بأنهم لم يكرهوا على الدخول في الإسلام ، بل إن المسلم إذا تزوج من كتابية فليس له أن يلزمها بشيء من دينه، ولها الحق في البقاء على دينها وحقوقها محفوظة<sup>(١)</sup> .

وفي مدينة الرياض وسائر مدن المملكة العربية السعودية حيث تطبق الشريعة الإسلامية لا يكره غير المسلمين على ترك دينهم ، فيتركون وما يدينون ، ولا يجوز إكراههم على ترك دينهم ولا يتعرض لهم بأذى ما داموا لم يظهروا شعائر دينهم في بلاد الإسلام<sup>(٢)</sup> .

وإذا كان لغير المسلمين أن يقفوا على دينهم ويتعبدوا في كنائسهم فإن ذلك يختلف من بلد لآخر ، قال الشيخ صالح السدلان : « أما أمكنة عباداتهم فهذه المسألة تختلف من بلد لآخر ، فالبلاد التي يوجد بها نصارى أو يهود ، وليسوا من أهل البلد فإنه لا يسمح لهم بإقامة محل عبادات لهم ، وإن أقاموها في بيوتهم ولم تظهر لها علامات على الطريق فإنه لا يجوز التجسس عليهم في بيوتهم واجتماعهم في يوم عيدهم وتركهم ، ولكن لا نسمح لهم أن يظهروا هذا ، وهذا ينطبق على المملكة العربية السعودية حيث لا يوجد فيها كنائس، ولا ديانة أخرى غير الإسلام<sup>(٣)</sup> .

إن اختصاص جزيرة العربية بتحريم وجود معابد لغير المسلمين يعزز فرصة نجاح دعوتهم، وفي المملكة العربية السعودية ، حيث يوجد الحرمين الشريفان ، وتقام شعائر

(١) انظر : تفصيل أحكام المرأة الكتابية المتزوجة من مسلم في : أحكام أهل الذمة لابن القيم ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠١ هـ ، ج١ ، ص ٤٣٦ .

(٢) انظر : د. عبد الكريم زيدان ، أحكام الذميين والمستأمنين ، ص ٦٩ ، وانظر : وزارة الإعلام ، ندوة علمية حول الشريعة الإسلامية ، ص ٩ .

(٣) د. عبد الله الرفاعي ، مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري ، ص ٩٥ ، نقلاً عن الشيخ صالح السدلان .

الإسلام ، وتطبق حدوده ، فإن ذلك يهين مناخاً يساعد غير المسلمين على قبول الإسلام والله الحمد والمنة .

#### د - عدم إيدائهم :

ومن أبرز حقوق غير المسلمين في مدينة الرياض عدم إيدائهم ، وهذا الحق من مقتضى الأمان للمستأمنين ؛ لأن الإسلام الذي يحكم مدينة الرياض وسائر المدن السعودية لم يشرع لهم أن يبقوا في ديار الإسلام لإيدائهم .

إن الذين يلجأون إلى التضييق على غير المسلمين المستأمنين ، إنما مرد فعلهم ذلك راجع إلى ضيق فهمهم للنصوص الواردة في الكتاب والسنة ، التي تأمر بالإغلاظ على الكفار والتضييق عليهم والزامهم الصغار .... صحيح أن نصوص هذه الأمور ثابتة وواردة، لكن علينا في الوقت نفسه أن نتذكر نصوصاً أخرى توجهنا إلى البر بغير المسلمين والإحسان إليهم .

ثم إن علينا - أيضاً - أن نفقه مدلول الصغار الذي أمرنا بالزامهم إياه في قوله تعالى : « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون »<sup>(١)</sup> ، قال ابن القيم ( رحمه الله ) : « اختلف الناس في تفسير الصغار الذي يكونون عليه وقت أداء الجزية ، ف قيل : يدفعها وهو قائم ويكون الآخر جالساً ، وقيل : أن يأتي بها بنفسه ماشياً لا راكباً ، ويطال وقوفه عند إتيانه بها ، ويجر إلى الموضع الذي يؤخذ منه بالصف ثم تجر يده ، ويمتن ، وهذا كله مما لا دليل عليه ولا هو مقتضى الآية ، ولا نقل عن رسول الله ﷺ ، ولا عن الصحابة (رضي الله عنهم ) أنهم فعلوا ذلك ، والصواب في الآية أن الصغار هو التزامهم لجريان أحكام الملة عليهم واعطاء الجزية ، فإن التزام ذلك هو الصغار »<sup>(٢)</sup> ، وهذا القول هو الذي عليه عامة العلماء ، قال النووي ( رحمه الله ) : « الصغار التزام أحكام الإسلام وجريانها عليهم ، وأشد

(١) سورة التوبة : الآية ٢٩ .

(٢) ابن القيم ، أحكام أهل الذمة ، ج١ ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

الصغار على المرء أن يحكم عليه بما لا يعتقد ، ويضطر إلى احتمال «<sup>(١)</sup>» .  
 كما قد يشكل على البعض في معاملة غير المسلمين اليوم قول النبي ﷺ : « وإذا  
 لقيتم أحدهم - يعني اليهود والنصارى - في طريق فاضطروه إلى أضيقه »<sup>(٢)</sup> ، ففهم منه  
 البعض بأنه أمر لنا بأن نضايقهم في الطرقات ، ولا نترك لهم مجالاً للسير فيها ، والذي  
 قاله العلماء خلاف ذلك فالمعنى : لا تتركوا لهم صدر الطريق إكراماً واحتراماً ، وهذا في  
 صورة الازدحام ، أما إذا خلت الطريق فلا حرج<sup>(٣)</sup> .

قال الشيخ صالح السدلان : « مضايقة الكفار في الطرقات ليس معناه أن نضايقهم  
 بعمل شيء يضرهم .... إن المعنى : عدم إفساح الطريق تقديراً لهم واحتراماً ، وهو ما قد  
 يكون احتراماً لدينهم وتقوية ظهره ، وهذا لا يجوز »<sup>(٤)</sup> .

ومن المعلوم أن النبي ﷺ لم يكن من هديه إذا رأى الكفار ذهب ليضيق عليهم  
 الطريق ، فما كان الرسول ﷺ يفعل هذا مع اليهود في المدينة ولا أصحابه يفعلونه بعدفتوح  
 الأمصار<sup>(٥)</sup> .

وبهذا يتبين لنا خطورة الوقوف على بعض النصوص في معاملة غير المسلمين ، كما  
 يتبين لنا ضرورة الأخذ بكل نصوص القرآن والسنة ، وبذل الجهد في فقه نصوصهما  
 المتعلقة بغير المسلمين ، ومن ثم لا يؤخذ النص على إطلاقه من غير فكر ولا روية ، ولا  
 يفهم بعيداً عن النصوص الأخرى الواردة في الكتاب والسنة .

- (١) النووي ، روضة الطالبين ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ ، ج ١٠ ، ص ٢٨٩ .  
 (٢) رواه مسلم ، كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم ، ج ٧ ، ص ٣٩٥ ، رقم  
 الحديث ٢١٦٧ .  
 (٣) انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ج ١١ ، ص ٤ ، وانظر : الهندي ، عون المعبود ، شرح سنن أبي داود ، دار الكتب  
 العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ ، ج ٧ ، ص ٧٦ .  
 (٤) د. عبد الله الرفاعي ، مراجعات في فقه الواقع ، ص ٩٥ ، نقلاً عن : د. صالح السدلان .  
 (٥) انظر : ابن عثيمين ، الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات ، ص ١٨٨ ، وانظر : د. عبد الله الرفاعي ، مراجعات في فقه  
 الواقع ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

## الفرع الثاني

### حق الرعاية

أولاً : الرعاية المتعلقة بالعمل :

منذ صدر الإسلام فتح المجتمع الإسلامي أبواب العمل لغير المسلمين كما شجع الإبداع والابتكار أمام الناس دون النظر إلى عقائدهم ، فعدم إسلام غير المسلمين لا يعني عدم الاستفادة منهم أو عدم الثقة بهم والتعامل معهم .

ولما كان العمل مجالاً لبخس الحقوق وانتقاص الأجر فقد جاءت النصوص في الكتاب والسنة تأمر بالعدل والوفاء بالعهود حتى مع المخالفين لنا في الدين قال تعالى : «يأبها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى .... الآية»<sup>(١)</sup> ، وقال ﷺ : « ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس ، فأنا حجيجه يوم القيامة »<sup>(٢)</sup> .

فنحن مأمورون بالعدل ، ومنهون عن الظلم ولا فرق في ذلك بين المسلم أو الكافر: قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز : « إن واجب المسلم بالنسبة إلى غير المسلم أمور متعددة منها .... أن لا يظلمه في نفس ولا في مال ولا في عرض إذا كان ذمياً أو مستأمناً أو معاهداً ، فإنه يؤدي إليه حقه ، فلا يظلمه في ماله لا بالسرقه ولا بالخيانة ولا بالغش ولا يظلمه في البدن بالضرب ولا بالقتل ؛ لأن كونه معاهداً أو ذمياً في البلد أو مستأمناً يعصمه»<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة المائدة : الآية ٨ .

(٢) رواه أبو داود ، كتاب الخراج والإمارة ، باب تعشير أهل الذمة ، ج٣ ، ص ١٧١ ، رقم الحديث ٣٠٥٢ ، وتقدم تخريجه ص ١٦٠ ، وقوله معاهداً ، أي : ذمياً أو مستأمناً ، انظر : الهندي ، عون المعبود ، ج٤ ، ص ٢١١ .

(٣) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، ج٤ ، ص ٢٦٦ .



والعدل كما وصى به القرآن والسنة ، امتثله الصحابة (رضي الله عنهم ) ومن بعدهم قولاً وعملاً مع المسلمين وغير المسلمين على السواء ، وقد مر بنا في الفصل الأول شواهد على ذلك<sup>(١)</sup> .

وفي المملكة العربية السعودية وضعت اللوائح والأنظمة التي تكفل للعاملين حقوقهم ولا فرق في ذلك بين المسلم وغيره ويمكن إيضاح ذلك فيما جاء في نظام العمل والعمال السعودي من تعليمات ولوائح منها :

١ - أوجب النظام على صاحب العمل معرفة أحكام نظام العمل بجميع محتوياته ، من تصنيف العمال ، وتحديد فترات وساعات العمل ، والعطلات الرسمية ، وتنظيم ساعات العمل ، واعتبار يوم الجمعة يوم راحة بأجر كامل ، وتحديد الإجازات وأيام الراحة، ويخضع صاحب المؤسسة لنظام الرقابة من قبل الجهات المختصة<sup>(٢)</sup> .

٢ - تخضع المؤسسات لنظام التفتيش للتأكد من التزامها بحقوق العمال ، ويتم مساءلة صاحب العمل في حال وجود مخالفات أو شكاوى ، ويتم الرفع للجهات الإدارية المختصة عند الحاجة .

٣ - وتمتد حماية العامل - أيضاً - إلى عدم فصله إلا بسبب مشروع ، وله الحق في العودة إلى عمله إذا كان الفصل تم بسبب غير مشروع ، ويلزم صاحب العمل بدفع أجوره من تاريخ فصله حتى إعادته للعمل<sup>(٣)</sup> .

٤ - نص نظام العمل والعمال في المادة ٧٨/ على عدم نقل العامل من مكان عمله

(١) انظر : ص ١٦٣ - ١٦٦ من هذه الرسالة .

(٢) انظر : د. يوسف عبد المجيد ، شرح نصوص نظام العمل والعمال السعودي ، المادة ٩/ ، ص ١٧ ، والمادة ١٤٩/ ، ص ١٦٥ ، والمادة ١٥٣/ ص ١٧٠ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، المادة ٧٥/ ، ص ٦٧ .

الأصلي إلى مكان آخر ، إذا كان النقل يلحق بالعامل ضرراً جسيماً ، ولم يكن له سبب مشروع تقتضيه طبيعة العمل<sup>(١)</sup> .

والأصل أنه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام ، وعليه فلا يجوز نقله من مكان لآخر ، ما لم يكن هناك ظروف قاهرة ، حيث إن مكان العمل من الأمور الجوهرية التي أخذت في الاعتبار بالنسبة للعامل عند استقدامه<sup>(٢)</sup> .

٥ - كما نص النظام على أن لا يكلف العامل بعمل يختلف اختلافاً جوهرياً عن العمل المتفق عليه إلا في حالات الضرورة ، وبما تقتضيه طبيعة العمل ، وعلى أن يكون ذلك بصفة مؤقتة<sup>(٣)</sup> .

٦ - ومن الواجبات على صاحب العمل أن يعامل عماله بالاحترام اللائق ، وأن يتمتع عن كل قول أو فعل يمس كرامتهم أو دينهم<sup>(٤)</sup> .

٧ - كما يلتزم صاحب العمل أن يدفع للعامل أجرته في الزمان والمكان الذين يحددهما العقد أو العرف ، مع مراعاة ما تقتضيه الأنظمة الخاصة بذلك ، وحكمة ذلك أن لا يتكبد العامل أية مشقة في الحصول على أجره المستحق له لقاء عمل أداه ، فلا يتحمل العامل نفقات في الانتقال ، وضياع الوقت ، ليتقاضى أجره المستحق ، ولا يتحمل مشقة الحضور في أيام العطلات الرسمية أو أوقات الراحة<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر : د . يوسف عبد المجيد ، شرح نصوص نظام العمل والعمال ، المادة / ٧٨ ، ص ٧٤ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، المادة / ٧٩ ، ص ٧٥ .

(٤) انظر : المرجع السابق ، المادة / ٩١ ، ص ١٠٤ .

(٥) انظر : المرجع السابق ، المادة / ٩٢ ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

٨ - نص نظام العمل والعمال على أن لا تزيد ساعات العمل عن ثماني ساعات في اليوم الواحد ، ويجوز الزيادة إلى تسع ساعات لبعض العمال أو الأعمال التي لا يشتغل بها العامل باستمرار كالفنادق والمطاعم وغيرها ، كما نص النظام على أن للعامل الحق في إجازة يوم في الأسبوع بأجر كامل<sup>(١)</sup> .

تلك أبرز حقوق العمل التي كفلتها المملكة العربية السعودية لرعاية حقوق العاملين فيها من المسلمين وغيرهم سواء كان عملهم في مدينة الرياض أو في غيرها من مدن المملكة، ومن ثم فلا يجوز إضاعة حقوقهم ، أو المماثلة في تأديتها إليهم ، كما لا يجوز غشهم أو سرقتهم ، ثم لا بد من التنبه إلى شيء هام ألا وهو أثر الالتزام بتوفية العاملين من غير المسلمين حقوقهم ، وعدم هضمها أو أضعافها .... وهنا يطيب للباحث أن يقرر : أن إضاعة حقوق العاملين من غير المسلمين تنفير لهم عن الإسلام من جهة ، وعقبة تعوق طريق الدعوة من جهة أخرى ، كما أن توفية هؤلاء العاملين حقوقهم وتأديتها في وقتها عامل فعال في نجاح دعوتهم إلى الإسلام ، وعنصر يساعد الدعوة في مهمتهم ، كي تؤدي دعوتهم أكلها كل حين بإذن ربها ، الأمر الذي يجعلني أخلص في النهاية إلى القول بأن غير المسلم يرى في الوقت الحاضر من سلوك كفيله ما يرغبه في الإسلام أو ينفره منه .

(١) انظر : يوسف عبد المجيد ، شرح نصوص نظام العمل والعمال ، المادة / ١٤٧ ، ١٤٩ ، ص ١٦٣ ، ١٦٥ .

ثانياً : الرعاية الصحية والوقائية :

ومن جوانب الرعاية المكفولة لغير المسلمين - في مدينة الرياض وبقية المدن السعودية المسموح بدخول وإقامة غير المسلمين فيها - الرعاية الصحية والوقائية لهم ؛ حفاظاً على أرواحهم من جهة ، وحفاظاً على المجتمع من جهة أخرى .  
وفي المملكة العربية السعودية تُلزم الأنظمة والتعليمات صاحب العمل أن يحافظ على العاملين لديه ، من خلال الآتي :

١ - مسؤولية صاحب العمل عن عماله ، حيث نصت المادة / ٢٤ من نظام العمل والعمال على مساءلة صاحب العمل عن حماية العمال أثناء العمل وسلامتهم<sup>(١)</sup> .

فعلى كل صاحب عمل أن يتخذ من الاحتياطات اللازمة لحماية العمال من الأخطار والأمراض الناجمة عن العمل والآلات المستعملة ، ووقاية العامل وسلامته ، ولا يجوز لصاحب العمل أن يحمل العمال أو يقتطع من أجورهم أي مبلغ لقاء توفير هذه الحماية<sup>(٢)</sup> .

وهناك رقابة إدارية يجريها مفتشوا العمل للوقوف على وسائل السلامة ، وفرض العقوبات والجزاءات على من يخالف ذلك .

٢ - كفالة العامل عند عجزه ، حيث لا يقف النظام موقفاً سلبياً من العامل عند نهاية خدمته بعجزه أو مرض ، فقد نصت المادة / ٨٢ أن للعامل حقاً في مكافأة نهاية الخدمة عند عجزه عن العمل<sup>(٣)</sup> .

٣ - الرعاية الطبية ، حيث إن « لكل إنسان في المملكة حق التمتع بأعلى ما يمكن من مستوى صحي لنفسه ولأسرته مجاناً ، ولهذا فقد أنشأت الدولة المستشفيات

(١) انظر : يوسف عبد المجيد ، شرح نصوص نظام العمل والعمال ، ص ٢٩ ، وانظر : المادة / ٢٧ ، ص ٣١ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، المادة / ١٢٨ ، ص ١٤٥ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص ٨٠ .

والمستوصفات في جميع نواحي الدولة ، وجعلت أبوابها مفتوحة للجميع مجاناً ، من دون قيد أو شرط ، ومن دون تمييز بين إنسان وإنسان ، مواطناً كان أو غير مواطناً<sup>(١)</sup> .

وفي سبيل الرعاية الصحية للعاملين تُلزم الشركات والمؤسسات بتعيين مستشفيات لعلاج العاملين فيها<sup>(٢)</sup> .

٤ - كما أن من وسائل الحماية والوقاية للعمال إلزام صاحب العمل بتوفير وسائل الانتقال لعماله<sup>(٣)</sup> .

تلك أبرز حقوق غير المسلمين المكفولة لهم في مجال الحماية والرعاية ، وقد تبين للباحث أثناء الدراسة الميدانية أن بعض أفراد العينة من غير المسلمين المقيمين في مدينة الرياض يعانون من سوء معاملة كفلائهم ، ومن تأخر أجورهم المستحقة لهم ، وعدم تهيئة الأماكن المناسبة لإقامتهم ، وهذه النسبة قليلة ولله الحمد حيث تصل إلى ٢,٣ % ، كما ظهر للباحث أن بعضهم لا يدرك أن للعمال حقوقاً كفلتها الدولة ، من خلال نظام العمل والعمال الذي روعيت فيه أحكام الشريعة الإسلامية على نحو ما تقدم ذكره .

إن هذه الحقوق التي كفلتها الدولة للمقيمين - في مدينة الرياض وفي غيرها - من المسلمين وغير المسلمين ، من حمايتهم ورعايتهم ، لا تقف عند هذا الحد ، بل يتعدى الأمر ذلك إلى الإحسان إليهم ، وهو ما سأعرض له إن شاء الله تعالى في الفرع التالي .

(١) وزارة الإعلام ، ندوة علمية حول الشريعة الإسلامية ، ص ٢٨ .

(٢) انظر : يوسف عبد المجيد ، شرح نصوص نظام العمل والعمال ، المادة / ١٣٥ ، ص ١٥١ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، المادة / ١٤٢ ، ص ١٥٥ .

## الفرع الثالث حق الإحسان إليهم

شرع الإسلام لغير المسلمين من الذميين والمستأمنين المعاملة الحسنة ؛ لقوله تعالى :  
﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم  
وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾<sup>(١)</sup> .

قال ابن كثير : أن تبروهم أي : تحسنوا إليهم ، وتقسطوا أي : تعدلوا<sup>(٢)</sup> .

هذه الآية أصل في معاملة غير المسلمين المعاهدين ، وحكم هذه الآية باق غير  
منسوخ ، قال ابن جرير : « ولا معنى لقول من قال إن الآية منسوخة »<sup>(٣)</sup> ، وقال القرطبي :  
« وأكثر أهل التأويل على أنها محكمة »<sup>(٤)</sup> .

قال مفتي الديار السعودية سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز : « معنى الآية : الرخصة  
في الإحسان إلى الكفار والصدقة عليهم إذا كانوا مسلمين بموجب عهد أو أمان أو ذمة »<sup>(٥)</sup> .  
كما جاء في القرآن الكريم نصوص كثيرة تبين ضرورة الإحسان إلى الناس في القول  
والعمل ، وتوجب العدل معهم ، قال تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي  
القربى ﴾<sup>(٦)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾<sup>(٧)</sup> ، إلى غير ذلك من الآيات القرآنية

(١) سورة الممتحنة : الآية ٨ .

(٢) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٤ ، ص ٣٦٩ .

(٣) ابن جرير ، جامع البيان ، ج٢٧ ، ص ٦٦ .

(٤) القرطبي ، أحكام القرآن ، ج١٨ ، ص ٥٩ .

(٥) ابن باز ، نقد القومية العربية ، رئاسة البحوث العلمية ، الرياض ، ط ٥ ، ١٤٠٣ هـ ، ص ٣٦ .

(٦) سورة النحل : الآية ٩٠ .

(٧) سورة البقرة : الآية ٨٣ .

الكريمة ، أما السنة فقد كان هدي النبي ﷺ وأصحابه قولاً وعملاً غاية في العدل والإحسان وشواهد ذلك لا تحصر .

والإحسان إلى غير المسلمين المستأمنين طريق من طرق الإسلام في الدعوة «يعالج بها القلوب الصلدة القاسية ، فبعض الكفار يسلم إذا رأى عزة الإسلام وأهله ، وآخرون تبهرهم حجج الإسلام وبراهينه وأنواره ، وآخرون يأسرهم الإحسان فينقادون إلى هذا الدين عن طواعية لما نالهم من البر والخير»<sup>(١)</sup> .

والإحسان إلى غير المسلمين يظهر جلياً واضحاً في المملكة العربية السعودية والله الحمد ، حيث يسعى أهلها إلى تطبيق منهج الإسلام في معاملة الوافدين عموماً ، وغير المسلمين منهم خصوصاً ، بالإحسان إليهم وعدم أذيتهم .

ومما يؤكد ذلك أن معظم غير المسلمين أفراد العينة في مدينة الرياض قد ذكروا بأن معاملة المواطنين لهم حسنة حيث ذكر ذلك حوالي ٩٤٪ من أفراد العينة<sup>(٢)</sup> ، وهي نسبة عالية والله الحمد ، ولا عبرة بوجود طائفة قليلة ممن لا يحسنون فهم الإسلام وتعليماته فيسيئون إلى أنفسهم وإلى غيرهم بأعمالهم وأقوالهم .

ويؤكد ذلك أيضاً أن نسبة المسلمين الجدد تتزايد عاماً بعد عام<sup>(٣)</sup> ، وهي دليل واضح على ما يلقاه غير المسلمين من رعاية وإحسان في المملكة العربية السعودية والله الحمد . ويمكن أن نتبين صور الإحسان إلى غير المسلمين في مدينة الرياض وغيرها من خلال النقاط الآتية :

(١) د. عمر الأشقر ، تأليف القلوب على الإسلام بأموال الصدقات ، دار النفائس ، الأردن ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ ، ص ١٥ .

(٢) انظر : الفصل الرابع ، الجدول رقم ٩٦ .

(٣) انظر : الفصل الرابع ، الجدول رقم ١٠٠ .

أولاً : الإحسان إليهم بتعريفهم دين الإسلام ودعوتهم إليه .

تقدم في الفصل الأول الحديث عن حكم الدعوة ، وبيان أن كل مسلم مطالب بأن يدعو إلى الله بقدر استطاعته ، وإن من أعظم جوانب الإحسان إلى غير المسلمين : الإحسان إليهم بدعوتهم إلى هذا الدين وتعريفهم به ، ومن حقهم على المسلمين أن يروا الإسلام في واقع المسلمين أفراداً وجماعات في المعاملة والسلوك ، وفي الأقوال والأفعال ، قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز : « إن واجب المسلم بالنسبة إلى غير المسلم أمور متعددة منها : الدعوة إلى الله عز وجل ، وهي أن يدعو إلى الله ويبين له حقيقته الإسلام حيث أمكنه ذلك ، وحيث كانت لديه البصيرة ؛ لأن هذا أكبر إحسان يهديه إلى مواطنه وإلى جميع من اجتمع به من اليهود والنصارى أو غيرهم من المشركين لقول النبي ﷺ : « من دل على خير فله أجر فاعله »<sup>(١)</sup> ، وقوله عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه لما بعثه إلى خيبر وأمره أن يدعو اليهود إلى الإسلام قال : « فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم »<sup>(٢)</sup> ، وقال ﷺ « من دعا إلى هدى كان من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً »<sup>(٣)</sup> ، فدعوته ( أي : دعوة غير المسلم ) إلى الله وتبليغه الإسلام ونصيحته في ذلك من أهم المهمات وأفضل القربات »<sup>(٤)</sup> .

وغير المسلمين يدخلون في عموم قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾<sup>(٥)</sup> ، فلا بد من بذل الجهد في دعوتهم إلى الإسلام ، وبيان محاسنه لهم ، وعدم تفويت هذه الفرصة ، أي : فرصة وجودهم بيننا ،

(١) رواه مسلم ، كتاب الإمامة ، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره ، جـ٧ ، ص ٤٢ ، رقم الحديث : ١٨٩٢ .

(٢) متفق عليه ، وتقدم تخريجه ص ( ج ) .

(٣) رواه مسلم ، كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ، أو دعا إلى هدى أو ضلالة ، جـ٨ ، ص ٤٦٨ ، رقم الحديث : ٢٦٧٤ .

(٤) ابن باز ، مجموع الفتاوى ، جـ٤ ، ص ٢٦٦ ، وانظر : ابن باز ، مجموع الفتاوى ، جـ٦ ، ص ٣٩٣ .

(٥) سورة النحل : الآية ١٢٥ .



لاسيما أن إقامتهم مؤقتة وبالتالي يتطلب الأمر المبادرة في دعوتهم وعدم إهمالهم وإهمال تبليغهم هذا الدين ، فلهم علينا أن نبين لهم محاسن الإسلام ، وندعوهم إلى الدخول فيه ، وهذا من مقتضى الخيرية التي وصف القرآن المؤمنين بها في قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾<sup>(١)</sup> ، ومقتضى الوصية النبوية التي قال فيها عليه الصلاة والسلام : « بلغوا عني ولو آية »<sup>(٢)</sup> .

وإذا كان النبي ﷺ دعا إلى أن لا يبقى دينان في جزيرة العرب<sup>(٣)</sup> ، فإن ذلك لا يكون إلا بإخراج غير المسلمين منها ، أو دخولهم في الإسلام ، قال الشيخ محمد ابن عثيمين : « ومن علاج مشكلة وجود غير المسلمين في جزيرة العرب : دعوتهم إلى الإسلام ، وعدم اليأس من إسلامهم »<sup>(٤)</sup> .

ويتطلب ذلك زيارة غير المسلمين في منازلهم وأماكن عملهم ، وأن لا ينتظر الداعي مجيء هؤلاء إليه بل لابد من غشيانهم في أماكنهم ، وهكذا كان يفعل رسول الله ﷺ ، فكان لا يسمع بقادم إلى مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له ، فدعاه إلى الله وعرض ما عنده ، ولم يكتف ﷺ بأهل مكة ومن يأتيها وإنما ذهب إلى خارجها ، فذهب إلى الطائف يدعو أهلها ، وعندما هاجر إلى المدينة كان يغشى اليهود في أماكن تجمعهم فيدعوهم إلى الله<sup>(٥)</sup> .

وقد جوز العلماء زيارة غير المسلم إذا كان الزائر يرجو بذلك مصلحة دينية

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

(٢) رواه البخاري وتقدم تخريجه ص ( ح ) .

(٣) الحديث في البخاري ، كتاب الجزية ، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب ، جـ ٣ ، ص ١١٥٦ ، رقم الحديث ٢٩٩٧ ، ورواه مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، جـ ٦ ، ص ٣٣٥ ، رقم الحديث ١٧٦٧ .

(٤) ابن عثيمين ، اللقاء الشهري ، دار الوطن ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ ، جـ ٢ ، ص ٣٢ .

(٥) انظر : د. حمود الرحيلي ، أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم ، ص ٦ .

كإسلامه<sup>(١)</sup>، فيزور المسلم غير المسلم لدعوته إلى الإسلام، « فإن قبل فالحمد لله وإن لم يقبل ترك زيارته التي لم يحصل منها فائدة<sup>(٢)</sup> » .

قال العلماء : « ويجوز أن نأذن لهم في زيارتنا في بيوتنا مع الأمن من الفتنة والمحافظة على حرمت الأسرة مادام في ذلك تأليف لقلوبهم والنصح والإرشاد ، عسى أن يجدوا في حسن المعاملة ومراعاة آداب الزيارة سماحة الإسلام فيستجيبوا للنصيحة ويدخلوا في الإسلام<sup>(٣)</sup> » ، وعلى هذا فدعوة غير المسلمين إلى الإسلام « غاية نبيلة ودعوتهم وزيارتهم في محلهم وسيلة لتحقيق هذه الغاية النبيلة ، والوسائل لها حكم الغايات <sup>(٤)</sup> » .

ومن الإحسان إلى غير المسلمين أن تصلهم الدعوة واضحة جلية ، فغير المسلمين قدموا إلينا ولدى معظمهم صورة مشوهة وخاطئة عن الإسلام .

وقد اتضح للباحث من خلال الدراسة الميدانية أن أكثر من ٧١٪ من غير المسلمين أفراد العينة في مدينة الرياض لم يطلعوا على ترجمة لمعاني القرآن الكريم إطلاقاً ، كما أن أكثر من ٤٨٪ منهم ليس لديهم فكرة عن التاريخ الإسلامي<sup>(٥)</sup> .

ولذلك فإن غير المسلمين اليوم في مدينة الرياض يكاد معظمهم لا يعلم شيئاً عن كتاب الله عز وجل الذي هو كتاب الدعوة ، وإن تقرب القرآن إلى المدعوين بعرض دعوته ، وشرح آياته، وبيان معجزاته أمر له أثره في قبول غير المسلمين له ، وقد مر بنا في الفصل الأول كلام شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) عند قوله تعالى ﴿ وإن أحد من

(١) انظر : الشوكاني ، نيل الأوطار ، مطبعة أنصار السنة المحمدية ، باكستان ، بدون تاريخ ، جـ ٨ ، ص ٧٢ .

(٢) ابن باز ، مجموع الفتاوى ، جـ ٤ ، ص ٣٨٧ .

(٣) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، فتاوى اللجنة ، جمع وترتيب أحمد الدويش ، دار العاصمة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١١ هـ ، جـ ٢ ، ص ٦٥ ، رقم الفتوى ٥٨٥٥ .

(٤) المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٦٣ ، رقم الفتوى ٨٠٩٧ .

(٥) انظر : الفصل الرابع ، الجدول رقم ٧٧ ، والجدول رقم ٧٨ .

المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله»<sup>(١)</sup> ، وأن المراد أن يسمعه سمعاً يتمكن معه من فهم معناه ، قال (رحمه الله) : «إذ المقصود لا يقوم بمجرد سمع لفظ لا يتمكن معه من فهم المعنى ، فلو كان غير عربي لوجب أن يترجم له ما تقوم به عليه الحجة»<sup>(٢)</sup> .

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز : « لا يعطى الكافر المصحف خشية أن يهينه ، أو يعبث به ، ولكن يعلم ويقرأ عليه القرآن ، ويوجه ، ويدعى له ، فإذا أسلم ، سلم له المصحف ، ولا مانع من أن يعطي بعض كتب التفسير ، أو بعض كتب الحديث إذا رجي انتفاعه بذلك ، أو بعض تراجم معاني القرآن الكريم»<sup>(٣)</sup> .

وعليه فيجوز إهداء غير المسلمين الكتب الإسلامية لدعوتهم وإن اشتملت على آيات قرآنية»<sup>(٤)</sup> .

والدعاة اليوم مطالبون بتكثيف جهودهم في دعوة غير المسلمين لاسيما إذا علمنا أن أكثر من ٦٠٪ من غير المسلمين عينة الدراسة الميدانية يرغبون في زيادة معلوماتهم عن الإسلام<sup>(٥)</sup> ، كما أن عليهم مراعاة الأمور التالية عند دعوة غير المسلمين في مدينة الرياض :

أ - اختيار أنسب الوسائل والأساليب في دعوتهم إلى الإسلام والتزام منهج القرآن والسنة في ذلك ، « وعلى الدعاة أن يتذكروا دائماً أساليب الدعوة إلى الله تعالى المتمثلة في بيان شرح أصول الدين وفروعه ، وأسلوب المقارنة بين الدعوة الإسلامية والدعوات الأخرى ، وأسلوب الرد على الشبهات والمفتريات ، وأسلوب التربية والإعداد ، وأسلوب التهيب والترغيب

(١) سورة التوبة : الآية ٦ .

(٢) ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج١ ، ص ٦٨ .

(٣) ابن باز ، مجموع الفتاوى ، ج٦ ، ص ٣٧٣ .

(٤) انظر : اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، فتاوى اللجنة ، ج٢ ، ص ٧٥ ، رقم الفتوى ٣٢٦٢ .

(٥) انظر الفصل الرابع ، الجدول رقم ٩٣ .

وغيرها»<sup>(١)</sup> .

ب - الشفقة بالمدعو من غير المسلمين والحرص على هدايته ، وقد كان رسول الله ﷺ شقيقاً بالناس حريصاً على هدايتهم ، ومواقفه التي تبين حرصه على هداية الناس لا تحصر ، فكل حياته كانت دعوة لله وسعياً لإنقاذ الناس من عذاب الله ، والمتأمل لسيرته ﷺ يجده دعا الناس في كل أحواله وشؤون حياته ، فدعا «في جميع الأماكن والأزمان ، والأحوال ، ودعا جميع أصناف الناس ، كما استخدم جميع الأساليب والوسائل المشروعة المتاحة له ... ودعا فوق الجبل وفي المسجد والطريق والسوق ، وفي منازل الناس ، وفي المواسم وحتى في المقبرة ، كما نراه يقوم بالدعوة في الحضر والسفر ، وفي الأمن والقتال ، وفي صحته ومرضه ، وحينما كان يزور أو يزار ، وكان يوجه دعوته إلى من أحبه ومن أبغضوه وآذوه ، ومن استمعوا إلى دعوته ومن أعرضوا عنها ، وبعث عليه الصلاة والسلام الرسائل والرسول إلى الملوك والرؤساء ممن لم يتمكن من الذهاب إليهم بنفسه»<sup>(٢)</sup> ، وظل على ذلك حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى ، وهو ﷺ قدوة للدعاة من بعده .. الدعاة الذين لن تستقيم لهم دعوة أو تؤتي ثمارها إلا بأن يحدوا حذوه ، ويقتفوا أثره ، وإن الكلمات العابرة من الداعية إلى المدعو لا تؤتي ثمارها المطلوبة ما لم تكن مصحوبة بشفقة من الداعي وحرص منه على هداية المدعو .

ج - عدم الاستهانة بأي إنسان مهما كان ، صغيراً كان أو كبيراً ، وجيهاً كان أو ضيعاً ، لا فرق فالكل لابد أن تعرض عليهم دعوة الإسلام ، وهكذا كان ﷺ في دعوته ، فدعا الكبير والصغير ، قال ابن كثير ( رحمه الله ) : « أمر الله

(١) د. حمود الرحيلي ، أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم ، ص ٧ .

(٢) د. فضل إلهي ، الحرص على هداية الناس في ضوء النصوص وسير الصالحين ، إدارة ترجمان الإسلام ، باكستان ، ط ٢ ، ١٤١٢ هـ ، ص ١٨ ، ١٩ ، « بتصرف » .

رسوله ﷺ أن لا يخص بالإنذار أحداً، بل يساوي بين الشريف والضعيف ،  
والفقر والغني ، والسادة والعبيد ، والرجال والنساء ، والصغار والكبار ، ثم الله  
تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وله الحكمة البالغة والحجة  
الدامغة»<sup>(١)</sup> .

إن حق الدعوة لغير المسلمين والتعريف بالإسلام يظهر جلياً في مدينة الرياض والله  
الحمد حيث تقوم بذلك جهات متعددة ، ومؤسسات متخصصة ، مما سيأتي تفصيله في  
الفصل الثالث من هذه الرسالة إن شاء الله .

ويشير الباحث إلى أن مقابل هذا الحق فإن على غير المسلمين أن يستمعوا إلى دعوة  
الإسلام ، وأن يبنذوا التقليد ولا يعطلوا عقولهم ، وأن يفهموا طبيعة هذا الدين وما يدعوا  
إليه ، ثم « ينهضوا بهمة ونشاطٍ وقصدٍ لاتباع الصواب ، وإخلاصٍ لله ، مجتمعين  
ومتباحثين في ذلك ومتناظرين ، وفرادى كل واحد يخاطب نفسه بذلك »<sup>(٢)</sup> ، قال تعالى :  
« قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة ، إن  
هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد »<sup>(٣)</sup> .

فلو قبلوا هذه الموعظة واستعملوا فكرهم ، وتدبروا أحوال الرسول ﷺ وما جاء به ،  
وتجردوا من العصبية والهوى ، لتبين لهم صدقه ولآمنوا بما جاء به .

وغير المسلمين بعد أن يسمعوا الدعوة ويتفكروا فيها إما أن يستجيبوا لها ، أو  
فلينتظروا عذاب الله ومقته، قال رسول الله ﷺ : « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد  
من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٤ ، ص٤٩٧ .

(٢) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، ج٦ ، ص١٤٣ .

(٣) سورة سبأ : الآية ٤٦ .

أصحاب النار<sup>(١)</sup> .

قال الشيخ محمد بن عثيمين : « يجب على كل كافر أن يعتنق دين الإسلام ، ولو كان نصرانياً أو يهودياً ؛ لأن الله تعالى يقول في الكتاب العزيز : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ ، فواجب على جميع الناس أن يؤمنوا برسول الله ﷺ ، إلا أن هذا الدين الإسلامي من رحمة الله عز وجل وحكمته أنه أباح لغير المسلمين أن يبقوا على ديانتهم بشرط أن يخضعوا لأحكام المسلمين<sup>(٢)</sup> .

وإذا كان غير المسلمين اليوم في بلاد الكفر لا تصلهم دعوة الإسلام ، أو تصلهم مشوهة بأقلام وألسنة أعدائها ، فإن غير المسلمين في بلاد المسلمين ، وخاصة في مدن المملكة العربية السعودية تصلهم الدعوة بيضاء نقية ، فلا عذر لهم ولا حجة إن لم يقبلوها ، ومن ثم يجب عليهم أن يستجيبوا لنداء الله لهم إذ يقول سبحانه : ﴿ استجبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ، ونسخ الملل بملته ، ج١ ، ص٥٤٦ ، رقم الحديث ٢٤٠ .

(٢) ابن عثيمين ، مجموع الفتاوى ، جمع أشرف عبد الرحيم ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ط١ ، ١٤١١ هـ ، ج١ ، ص٢٠٤ ، والآية من سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .

(٣) سورة الشورى : الآية ٤٧ .

ثانياً : الإحسان إليهم في معاملتهم :

ومما يشرع للمسلم أن يعامل غير المسلمين المستأمنين معاملة حسنة ؛ لتأليفهم على الإسلام وترغيبهم في دخوله ، فليس الأمر مقصوراً في الدعوة على التبليغ بالقول فقط ، بل بالعمل والسلوك أيضاً ، وعندما شرع الإسلام لغير المسلمين الإقامة بين المسلمين بعقد الذمة أو الأمان فإن من حكمة ذلك أن يروا من أخلاق المسلمين ومعاملتهم ما يدعوهم إلى اعتناق الإسلام ، ولن يتحقق ذلك إلا بالمعاملة الحسنة ، أما المعاملة السيئة فهي كقيلة بتفجيرهم عن الإسلام وصددهم عنه .

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز : « وإذا كان المسلم مأموراً بالبراءة من أهل الشرك وبغضهم في الله ، فإنه مأمور مع ذلك بأن لا يؤذيهم ولا يضرهم ، ولا يعتدي عليهم بغير حق إذا لم يكونوا حرباً لنا ، فيعاملهم معاملة إسلامية بأداء الأمانة ، وعدم الغش والخيانة والكذب ، وإذا جرى بينه وبينهم نزاع وخصومة جادلهم بالتي هي أحسن ، وأنصفهم في الخصومة عملاً بقوله تعالى : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾<sup>(١)</sup> .

والإحسان إلى غير المسلمين لا يستلزم المودة المنهي عنها ، فإن الله تعالى نهى عن مودة الآباء والأبناء إن استحبووا الكفر على الإيمان قال تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾<sup>(٢)</sup> ، مع أنه أوصى بالإحسان إلى الوالدين الكافرين ، قال تعالى : ﴿ وصاحبهما في الدنيا معروفاً ﴾<sup>(٣)</sup> ، فدل على أن الإحسان لا يستلزم المودة في القلب<sup>(٤)</sup> .

قال ابن حجر ( رحمه الله ) : « البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد

(١) ابن باز ، مجموع الفتاوى ، ج٢ ، ص ١٧٣ ، ج٦ ، ص ٣٩٣ ، والآية من سورة العنكبوت : الآية ٤٦ .

(٢) سورة المجادلة : الآية ٢٢ .

(٣) سورة لقمان : الآية ١٥ .

(٤) انظر : د. صالح الفوزان ، الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام ، مكتبة الحرمين ، الرياض ، ط٤ ، ١٤٠١هـ ، ص ١٦ .

المنهي عنه»<sup>(١)</sup> .

إن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام لا تحقق نتائجها الطيبة المرجوة إلا باختلاط بهم ومعاملتهم ، ثم إن معاملتهم تُعين على معرفة طبائعهم وعاداتهم ونفسياتهم ومن ثم الاستفادة منها في دعوتهم .

والصور التي شرعها الإسلام في معاملة غير المسلمين - في مدينة الرياض وفي غيرها من مدن العالم أجمع - كثيرة وهي إنما شرعت لتأليف غير المسلمين على الإسلام ، وسأعرض لأربع صور منها بشكل موجز :

#### ١ - حسن الجوار لهم :

فلغير المسلم حق في حسن الجوار لعموم قول ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره »<sup>(٢)</sup> .

قال القرطبي : « والوصاة بالجار مأمور بها مندوب إليها مسلماً كان أو كافراً وهو الصحيح ، والإحسان قد يكون بمعنى المواساة ، وقد يكون بمعنى حسن العشرة وكف الأذى والمحاماة دونه »<sup>(٣)</sup> .

ومن المشروع للمسلم أن يتصدق على جاره الكافر ويهدي له قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز : « إذا كان جاراً تحسن إليه ولا تؤذيه في جواره وتتصدق عليه إذا كان فقيراً، وتهدي له إن كان غنياً ، وتنصح له فيما ينفعه ؛ لأن هذا مما يسبب رغبته في الإسلام ودخوله

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج ٥ ، ص ٢٣٣ .

(٢) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار والضيف ، ج ١ ، ص ٣٧٧ ، رقم الحديث ٤٨ ، ورواه البخاري بلفظ : فلا يؤذ جاره ، كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ج ٥ ، ص ٢٢٤٠ ، رقم الحديث ٦٠١٨ .

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٥ ، ص ١٨٤ .



فيه»<sup>(١)</sup> .

وعلى هذا فيجوز التعامل مع غير المسلم المجاور والإحسان إليه ومساعدته في الأمور المباحة ، والبر به وزيارته لدعوته إلى الله<sup>(٢)</sup> .

قال العلماء : « ويجوز للمسلم أن يواسي جاره الكافر من لحم الأضحية ويوسع عليه تأليفاً لقلبه ، وأداءً لحق الجوار ، ولعدم وجود ما يمنع ذلك من الأدلة ، وعموم قوله تعالى : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم .... الآية ﴾<sup>(٣)</sup> .

## ٢ - إعانة المحتاج منهم :

وهي من وسائل دعوتهم إلى الإسلام ، وإعانة المحتاجين والرفقة بهم هو مما تظاهرت عليه نصوص الكتاب والسنة ، فضلاً عما في الإحسان إلى غير المسلم من تأثير بالغ في نفسه وتعريف له بمحاسن الإسلام عملياً وقد يدعوه هذا إلى الدخول فيه .

قال الشيخ محمد بن عثيمين : « قضاء حاجة الكافر لأبأس بها إذا كان ليس في معصية»<sup>(٤)</sup> .

كما يدخل في إعانتهم إغاثة الملهوف ، وإسعاف المحتاج منهم كما لو وجد مصاباً أو انقطع به الطريق فلا حرج أن يعينه<sup>(٥)</sup> .

(١) ابن باز ، مجموع الفتاوى ، جـ ٤ ، ص ٢٦٦ .

(٢) انظر : اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء ، فتاوى اللجنة ، جـ ٢ ، ص ٦٧ ، رقم الفتوى ٨٦٩١ .

(٣) هيئة كبار العلماء بالملكة العربية السعودية ، فتاوى الهيئة ، جمع وترتيب : صفوت الشوافي ، دار التقوى ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٧٠ ، رقم الفتوى ٢٨٢١ .

(٤) علي بن حسين ، فتاوى وأحكام إلى الداخلين في الإسلام ، دار المعراج ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ ، ص ٣٩ ، نقلاً عن الشيخ محمد بن عثيمين .

(٥) انظر : محمد بن عثيمين ، مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب فهد السليمان ، دار الوطن ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ، جـ ٣ ، ص ٤٤ .

كما يجوز اعطاؤهم من الصدقة لتأليفهم على الإسلام ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : « يجوز بل يجب الإعطاء لتأليف من يحتاج إلى تأليف قلبه »<sup>(١)</sup> .

وقد لاحظ الباحث أثناء الدراسة الميدانية أن بعض أفراد العينة من غير المسلمين في مدينة الرياض كان لديه الرغبة في الإسلام إن أعطي مبلغاً من المال ، بل قد ذكر أحد أفراد العينة ذلك في إجابته على الأسئلة المعدة في استمارة البحث بقوله : « احتاج إلى الراتب المرتفع والسكن الجيد كي أتحوّل إلى الإسلام » .

إن تأليف غير المسلمين على الإسلام بالمال يبين سماحة الإسلام وبره لمن يعيشون في كنفه ، ولكن لا بد أن يكون الباعث لذلك تأليفهم على الإسلام وترغيبهم في الدخول فيه ، فالمال من الوسائل المهمة في الدعوة وهو مما جبلت النفوس على حبه والتطلع إلى الحصول عليه .

### ٣ - عيادتهم وتعزيتهم :

ومن صور الإحسان إلى غير المسلمين - باعتبار الإحسان حقاً من الحقوق المشروعة لهم - عيادة مريضهم ، وأن يكون لعائدهم قصد مشروع من عيادتهم ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : « وأما عيادته - يعني النصراني - فلا بأس بها ، فإنه قد يكون في ذلك مصلحة لتأليفه على الإسلام »<sup>(٢)</sup> ، وقال النووي (رحمه الله) : « وينبغي لعائد الذمي أن يرغب في الإسلام ويبين له محاسنه ويحثه عليه ، ويحرضه على معاجلته قبل أن يصير إلى حال لا ينفعه فيها توبة ، وإن دعا له دعا بالهداية ونحوها »<sup>(٣)</sup> .

كما يشرع للمسلم الإحسان إليهم بتعزيتهم عند وفاة قريب لهم إذا كان هناك مصلحة

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج ٢٨ ، ص ٢٨٨ .

(٢) المرجع السابق ، ج ٢٤ ، ص ٢٦٥ .

(٣) النووي ، الأذكار ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ، ص ٣٧٢ .

شرعية في ذلك ، قال الشيخ محمد بن عثيمين : « التعزية - يعني لغير المسلمين - جائزة إذا كان هناك مصلحة شرعية»<sup>(١)</sup> .

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز : « لا بأس أن يعزيهم في ميتهم إذا رأى المصلحة الشرعية في ذلك بأن يقول : جبر الله مصيبتك ، أو أحسن الله لك الخلف بخير ، وما أشبهه من الكلام الطيب ، ولا يقول : غفر الله له ، ولا يقول : رحمه الله إذا كان كافراً ، أي لا يدعو للميت وإنما يدعو للحي بالهداية وبالعرض الصالح ونحو ذلك »<sup>(٢)</sup> .

إن كل مسلم يستطيع أن ينتهز فرصة العيادة أو التعزية بإدخال السكينة والهداية إلى قلوب غير المسلمين ، ودعوتهم عملياً بالقدوة والموعظة الحسنة ، فقلب الإنسان يكون رقيقاً عندما يفقد عزيزاً أو يعتره المرض ، وعندما ترق القلوب وتتأثر بالمصائب يكون انقيادها إلى الحق أقرب .

#### ٤ - السلام عليهم :

يعد السلام من المسائل المهمة في معاملة غير المسلمين ؛ حيث يواجه المسلم غير المسلمين في الأسواق والطرقات ، وفي المصانع وشتى أنواع المؤسسات ، فما ضوابط السلام عليهم وما أحكامه ؟

ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه »<sup>(٣)</sup> .

فهذا الحديث أصل في هذا الباب ، وحكم بقية الكفار حكم اليهود والنصارى لعدم

(١) ابن عثيمين ، مجموع الفتاوى ، جمع فهد السليمان ، ج-٢ ، ص ٣٠٤ .

(٢) ابن باز ، مجموع الفتاوى ، ج-٤ ، ص ٢٦٧ .

(٣) رواه مسلم ، وتقدم تخريجه ص ٢٤٧ .

الدليل على الفرق<sup>(١)</sup> .

فلا يبدأ غير المسلم بالسلام مطلقاً هذا هو الذي عليه عامة العلماء سلفاً وخلفاً ، قال النووي (رحمه الله) : «مذهبنا تحريم ابتدائهم به ، ووجوب رده عليهم وبه قال أكثر العلماء وعامة السلف»<sup>(٢)</sup> .

وهل التحريم يقتصر على البدء بالسلام وحده أم يشمل جميع التحية ؟

هذا محل خلاف بين العلماء فهل المقصود بالنهاي تحريم تحيتهم ، أم تحريم السلام عليهم ؟

أما تحيتهم بالسلام المشروع فعامة العلماء على تحريمه ، وأما البدء بغير السلام فكره الإمام أحمد أن يقال لهم كيف أصبحت أو كيف أمسيت<sup>(٣)</sup> ، واختار هذا بعض علمائنا المعاصرين .

قال الشيخ محمد بن عثيمين : « لا يجوز أن يبدأوا بالتحية كأهلاً وسهلاً وما أشبهها لأن في ذلك إكراماً لهم وتعظيماً لهم »<sup>(٤)</sup> .

ومال الإمام النووي (رحمه الله) إلى جواز تحيتهم بغير السلام عند الحاجة<sup>(٥)</sup> ، كما رجح ابن حجر (رحمه الله) أن المراد من منعهم منع ابتدائهم بالسلام المشروع ، أما لو سلم عليهم بلفظ يقتضي خروجهم عنه كأن يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فهو جائز<sup>(٦)</sup> .

(١) انظر : ابن باز ، مجموع الفتاوى ، جـ ٥ ، ص ٤٠٦ .

(٢) النووي ، شرح مسلم ، جـ ٧ ، ص ٣٩٦ ، وانظر : ابن مفلح ، الآداب الشرعية والمنح المرعية ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، بدون تاريخ ، جـ ١ ، ص ٣٦٥ .

(٣) انظر : الخلال ، أحكام أهل الملل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤ هـ ، ص ٣٧٨ ، وابن مفلح ، الآداب الشرعية ، جـ ١ ، ص ٣٦٨ .

(٤) ابن عثيمين ، مجموع الفتاوى ، جمع فهد السليمان ، جـ ٣ ، ص ٣٤ .

(٥) انظر : النووي ، الأذكار ، ص ٣٧١ .

(٦) انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، جـ ١١ ، ص ٤٠ .

وبدؤهم بالتحية عند الحاجة هو ما اختاره بعض علمائنا المعاصرين ففي فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ما نصه : « ولا بأس أن يقول للكافر ابتداءً كيف حالك ، كيف أصبحت ، كيف أمسيت ، ونحو ذلك إذا دعت الحاجة إلى ذلك ، صرح بذلك جمع من أهل العلم منهم أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) »<sup>(١)</sup> ، وهو ما اختاره الإمام ابن القيم (رحمه الله)<sup>(٢)</sup> .

فالأمر يدور مع المصلحة الراجحة ، فتحيتهم لا تحرم عند الحاجة والمصلحة ، ولا بد مع هذا أن يكون الترغيب في الإسلام والدعوة إلى الدخول فيه هو الباعث على تحيتهم والسؤال عنهم .

كما يجوز للمسلم أن يبدأ بالتحية إن اضطر إلى ذلك كما لو خاف من عدم تحيتهم أن يلحقه ضرر في نفسه أو ماله أو دينه ، قال الإمام النووي (رحمه الله) : « فإن اضطر إلى السلام على الظلمة بأن دخل عليهم وخاف ترتب مفسدة في دينه أو دنياه أو غيرها إن لم يسلم ، سلم عليهم »<sup>(٣)</sup> .

أما إذا مر المسلم بأخلاق من المسلمين وغيرهم فالسنة ابتدأؤهم بالسلام ، فقد مر النبي ﷺ على مجلس فيه أخلاق من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود فسلم عليهم<sup>(٤)</sup> . قال النووي (رحمه الله) : « إذا مر على جماعة فيهم مسلمون أو مسلم وكفار فالسنة أن يسلم عليهم ، ويقصد المسلمين أو المسلم »<sup>(٥)</sup> .

(١) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، فتاوى اللجنة ، جـ ٣ ، ص ٣١٢ ، الفتوى رقم ١١١٢٣ .

(٢) انظر : ابن القيم ، أحكام أهل الذمة ، جـ ٢ ، ص ٧٧٠ .

(٣) النووي ، الأذكار ، ص ٢٧٢ ، وانظر : المناوي ، فيض القدير ، شرح الجامع الصغير ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٢٣ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الاستئذان ، باب التسليم على مجلس فيه أخلاق من المسلمين والمشركين جـ ٥ ، ص ٢٣٠٧ ، رقم الحديث ٦٢٥٤ .

(٥) النووي ، الأذكار ، ص ٣٧١ ، وانظر : الخلال ، أحكام أهل الملل ، ص ٣٩٠ .

أما رد السلام على غير المسلمين فهو واجب ؛ لعموم الآية : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها »<sup>(١)</sup>.

وهل يرد عليهم بمثل تحيتهم ؟ أو يقتصر فيها على : « وعليكم » كما جاء في الحديث : « إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم »<sup>(٢)</sup> ؟

يرجع تقدير ذلك عند بعض العلماء إلى المسلم عليه ، قال ابن القيم (رحمه الله) : « إذا تحقق أنه إن قال السلام عليكم أو شك فيما قال يرد به « عليكم »<sup>(٣)</sup> ؟

أما إذا تحقق أنه قال : السلام عليكم ، لاشك فيه فإنه يرد عليه بمثل ذلك ، قال ابن القيم : « فالذي تقتضيه الأدلة الشرعية وقواعد الشريعة ، أن يقال وعليك السلام ، فإن هذا من باب العدل ، والله يأمر بالعدل والإحسان ، فقد قال : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » ، فنذب إلى الفضل وأوجب العدل ، ولا ينافي هذا شيئا من أحاديث الباب بوجه ما ، فإنه ﷺ أمر بالاعتصام على قول الراد وعليكم ، بناء على السبب المذكور الذي كانوا يعتمدونه في تحيتهم ، وإذا زال هذا السبب وقال الكتابي ، سلام عليكم ورحمة الله ، فالعدل في التحية يقتضي أن يرد عليه نظير سلامه »<sup>(٤)</sup>.

وقد مال إلى هذا الرأي ابن حجر (رحمه الله) فقال : « الرد يكون وفق الابتداء إن لم يكن أحسن منه »<sup>(٥)</sup>.

كما اختار ذلك الشيخ محمد بن عثيمين حيث قال : « إذا قالوا بلفظ صريح السلام

(١) سورة النساء : الآية ٨٦ .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الاستئذان ، باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام ، ج٥ ، ص٢٣٠٩ ، رقم الحديث ٦٣٥٦ ، ورواه مسلم ، كتاب السلام ، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم ، ج٧ ، ص٣٩٣ ، رقم الحديث ٢١٦٣ .

(٣) ابن القيم ، أحكام أهل الذمة ، ج١ ، ص١٩٩ .

(٤) المرجع السابق ، ج١ ، ص٢٠٠ ، وانظر : ابن قاسم ، حاشية الروضة المربع ، ج٤ ، ص٤١٢ .

(٥) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١١ ، ص٤٢ .

عليكم جاز أن نقول : عليكم السلام «<sup>(١)</sup> .

وإذا رد المسلم على الكافر التحية فلا مانع من أن يقول له بعد ذلك : كيف حالك؟ وكيف أولادك؟ ولاسيما إذا اقتضت المصلحة الشرعية ذلك ، كترغيبه في الإسلام وإيناسه بذلك ليقبل دعوة الإسلام ويصفى إليها<sup>(٢)</sup> .

وبعد ، فلا يسع الباحث في نهاية عرضه لحقوق غير المسلمين في مدينة الرياض إلا أن يقول : إن هذه الحقوق التي ينعم بها غير المسلمين في جميع مدن المملكة المسموح بدخول غير المسلمين فيها حقوق مستمدة من الكتاب والسنة ، تين سماحة الإسلام التي اتسعت لتشمل غير المسلمين من الذميين والمستأمنين ، وهي تين واقعية الإسلام وتسهم في بيان منهج الإسلام في الدعوة ، فالدعوة ليست مجردة من المخالطة ، ولذلك فإن هذا المنهج فيه تأليف لغير المسلمين على الإسلام ، ولأن دعوة غير المسلمين تتطلب مخالطتهم وغشيان مجالسهم فقد جاء منهج الإسلام واقعياً عملياً ، فيين منهج الاختلاط بهم وصور التعامل معهم .

ثم إن تلك الحقوق التي ينعم بها غير المسلمين كان لها أكبر الأثر عليهم ، فدخل منهم أفواج عديدة في الإسلام ؛ لما رأوه من عدله وسماحته ، وبقي من بقي منهم على دينهم ، ونعموا كذلك بالمعاملة الحسنة ، ويشهد لذلك أن أكثر من ٨٥٪ من أفراد العينة من غير المسلمين المقيمين في مدينة الرياض قد أبدوا سعادتهم بعملهم في المملكة<sup>(٣)</sup> .

وأخيراً فإن أداء هذه الحقوق لغير المسلمين واجب على كل مسلم ، وعبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه وهي جزء من شريعة الله ، ولهذا « يحرض كل مسلم متمسك بدينه على تنفيذ أحكام هذه الشريعة ووصاياها ؛ ليرضي ربه ، وينال ثوابه ، لا يمنعه من ذلك عواطف

(١) ابن عثيمين ، مجموع الفتاوى ، جمع فهد السليمان ، جـ ٣ ، ص ٣٤ .

(٢) انظر : ابن باز ، مجموع الفتاوى ، جـ ٥ ، ص ٤٠٦ .

(٣) انظر : الفصل الرابع ، الجدول رقم ٩٥ .

القراة والمودة ، ولا مشاعر العداوة والشنآن»<sup>(١)</sup> ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون ﴾<sup>(٣)</sup> .

وتلك الحقوق التي قررتها الشريعة لغير المسلمين ، ويعمل بها في مدينة الرياض وسائر مدن المملكة المسموح بدخول غير المسلمين فيها والله الحمد، يقابلها واجبات يلتزمون بأدائها، وهذا ما سأبينه في المطلب التالي إن شاء الله .

(١) د. يوسف القرضاوي ، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٣٥ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٨ .



المطلب الثاني  
واجبات غير المسلمين  
في مدينة الرياض

الفرع الأول  
التزام أحكام الإسلام  
ومراعاة شعور المسلمين

الفرع الثاني  
التزام الأنظمة المتعلقة  
بإقامتهم في المملكة

الفرع الثالث  
التزام حقوق العمل

## واجبات غير المسلمين في مدينة الرياض

كما أن لغير المسلمين حقوقاً قررتها الشريعة ، فإن عليهم واجبات يلتزمون بها عند إقامتهم بين المسلمين ، وبعد أن عرضت في المطلب الأول لحقوق غير المسلمين في مدينة الرياض ، أعرض في هذا المطلب لواجباتهم ، على أنه ينبغي أن لا يغيب عن الأذهان أن تاريخ الإسلام حفل بأروع مظاهر التسامح الذي لا يزال الناس يتطلعون إليه اليوم في معظم بقاع الأرض فلا يجدونه ، « وهذا التسامح مع المخالفين في الدين من قوم قامت حياتهم كلها على الدين ، وتم لهم به النصر والغلبة ، أمر لم يُعهد في تاريخ الأديان كلها »<sup>(١)</sup> .

ويشهد تاريخ الإسلام أن المسلمين لم يُكروهوا أحداً على الدخول في الإسلام ، وأقروا بقاء غير المسلمين على دينهم ، ولكنهم منعوهم من إظهار شعائر دينهم حماية للمسلمين من جهة ، ودرءاً للفتنة من جهة أخرى .

ومما يلفت النظر أن الواجبات المقررة على غير المسلمين أقل بكثير من الحقوق المقررة لهم ، مما يؤكد سماحة دين الإسلام ويسره ، فهو إذ يأذن لغير المسلمين في الإقامة بين المسلمين لم يضع عليهم من الآصار والأغلال التي تنفرهم من البقاء بين المسلمين ، بل فرض عليهم ما يستطيعون القيام به ، وضمن لهم من الحقوق ما يجعلهم يرغبون في البقاء بين المسلمين ، بل ما يجعلهم يرغبون اعتناق دين الإسلام .

وسأعرض لهذه الواجبات من خلال الفروع التالية :

(١) د. يوسف القرضاوي ، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، ص ٢١ ، «بتصرف» ، وانظر : ص ٥١ ، من الكتاب نفسه .

## الفرع الأول التزام أحكام الإسلام ومراعاة شعور المسلمين

عندما أقر الإسلام بقاء غير المسلمين على دينهم في بلاد الإسلام لم يترك لهم الحرية في إظهار عقائدهم وكفرهم ؛ لما في ذلك من الطعن في الإسلام الذي يتفياون ظلال أمنه وسماحته ، كما أنه لم يجبرهم على ترك دينهم إلى غيره من الأديان ، وأوجب الإسلام على غير المسلمين أن يقبلوا عند إقامتهم بين المسلمين جريان أحكام الإسلام عليهم .

فيجب على غير المسلمين الانقياد لحكم الإسلام ، قال النووي : « يلزم أهل الذمة الإنقياد لحكمنا »<sup>(١)</sup> ، وبناء على ذلك تجري عليهم أحكام الإسلام من حقوق الآدميين في العقود والمعاملات ، وأروش الجنايات ، وقيم المتلفات ؛ لقوله تعالى : ﴿ وهم صاغرون ﴾ ، وقد تقدم أن الصغار هو جريان أحكام الإسلام عليهم<sup>(٢)</sup> .

وجريان أحكام الإسلام على غير المسلمين هو ما تعمل به المملكة العربية السعودية ، وتطبقه في مدينة الرياض ، وسائر المدن السعودية المسموح بدخول وإقامة غير المسلمين فيها ، وتتميز بهذا التطبيق من بين دول العالم والله الحمد ، فقد وضعت الدولة العديد من التنظيمات والتعليمات المستمدة من الشريعة الإسلامية ؛ لتنظم علاقة غير المسلمين في أي مدينة يجوز دخولهم وإقامتهم فيها ، وتحدد مسؤولياتهم ، وهي تسهم بشكل كبير في المحافظة على الصبغة الإسلامية التي تتميز بها المملكة ، وتتجلى مظاهر ذلك فيما يلي :

(١) النووي ، روضة الطالبين ، جـ ١٠ ، ص ٣٢٧ .

(٢) انظر : ابن ضويان ، منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الإمام أحمد ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ،

ص ٢٩٨ هـ .

١ - يمنع غير المسلمين من الدعوة إلى دينهم ، فلا يسمح لغير المسلم أياً كان أن يدعو إلى دينه ؛ حيث إن هذه البلاد هي معقل الإسلام ، وفيها قبة المسلمين ، ولا يجتمع بها دينان ، « فيمنع غير المسلمين فيها من نشر عقائدهم أو الدعوة إليها أو إبراز شيء من شعائر دينهم ، كما يمنعون من إظهار الاحتفالات الدينية أو دعوة المسلمين إليها»<sup>(١)</sup> .

ويمنع غير المسلمين عموماً مما فيه غضاظة على المسلمين ، وانتقاص لدينهم ؛ وذلك لأن أظهارهم لهذه الأفعال فيه استخفاف بالمسلمين ، وازدراء لعقيدتهم وطعن في الإسلام الذي قامت عليه الدولة ، ثم إن هذا ليس واجباً على غير المسلمين فقط بل هو واجب على المسلمين أيضاً<sup>(٢)</sup> .

كما يمنع غير المسلمين من أن يقفوا في طريق الدعوة إلى الإسلام ، فلا يصدوا أحداً عن الدخول فيه ، كما لا يجوز لهم أن يفتنوا أحداً من المسلمين عن دينه .

ومن السبل التي اتخذتها المملكة للمحافظة على الإسلام في كافة مدنها أن من شروط الإقامة في المملكة أن لا يكون المقيم غير مرغوب فيه دينياً ، حيث نصت المادة ١٨/ من نظام الإقامة على أنه : « في جميع الحالات التي يصرح فيها بدخول الأجنبي إلى البلاد، أو مروره بها ، أو تنقله داخلها ، أو إقامته فيها ، يشترط أن لا يكون من غير المرغوب فيهم دينياً وأخلاقياً وسياسياً »<sup>(٣)</sup> .

وجدير بالذكر أن المملكة العربية السعودية تتميز بعدم وجود بيوت عبادة لغير المسلمين أياً كانت ديانتهم التزاماً بوصية النبي ﷺ بأن لا يجتمع دينان في جزيرة

(١) د. عبد الله الطريقي ، فقه الاحتساب على غير المسلمين ، دار المسلم ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ ، ص ١١٨ .

(٢) انظر : د. عبد الكريم زيدان ، أحكام الذميين والمستأمنين ، ص ٢٠٨ .

(٣) د. أحمد عشعوش ، أحكام الجنسية ومركز الأجانب في دول مجلس التعاون الخليجي ، ص ٥٣٩ .

العرب<sup>(١)</sup>، وامتداداً لما كان عليه سلف الأمة من إبقاء بلاد الحرمين الشريفين خالية من معابد غير المسلمين .

٢ - يُلزم غير المسلمين بالتزام أحكام الإسلام والسلوك الحسن ، حيث تجري على غير المسلمين في مدينة الرياض وغيرها من مدن المملكة أحكام الإسلام في الحقوق والمعاملات ، كما يُلزمون بالمحافظة على ممتلكات الغير ، وعدم الغش والتزوير ، كما يجب عليهم عدم الاعتداء على حرمة المسلمين وأعراضهم ، وعدم انتهاك حرمة أحد من المسلمين ، وقد وضعت الأنظمة والضوابط الكفيلة بتحقيق ذلك ، بل إن نظام العمل والعمال السعودي نص على جواز فصل العامل عند ارتكابه ما يخل بالآداب والسلوك الحسن فقد جاء في المادة / ٨٣ : « وقد يجوز فسخ عقد العمل عند عدم التزامه بعقد العمل ، أو إذا ثبت اتباعه سلوكاً سيئاً ، أو ارتكابه عملاً مخالفاً بالشرف والأمانة»<sup>(٢)</sup> .

٣ - يُلزم غير المسلمين بمراعاة شعور المسلمين حيث يحتفظ المجتمع في المملكة العربية السعودية بآداب إسلامية وعادات متميزة ينبغي على كل فرد أن يلتزم بها ويحترمها ، مسلماً كان أو غير مسلم .

فمن ذلك أنه مع بداية شهر رمضان من كل سنة : تدعو وزارة الداخلية - عبر وسائل الإعلام المختلفة - جميع المقيمين من غير المسلمين في سائر مدن المملكة العربية السعودية إلى احترام مشاعر المسلمين وعدم المجاهرة بالأكل أو الشرب أو التدخين في المحلات العامة أو الشوارع أو أماكن العمل خلال شهر رمضان المبارك ، ولا يعفيهم من ذلك كونهم غير مسلمين، وذلك تمثيلاً مع شعائر الدين الإسلامي ، ومراعاة

(١) رواه البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب جوائز الوفاء ، هل يستفتح إلى أهل الذمة ومعاملتهم ، ج-٣ ، ص ١١١١ ، رقم الحديث ٣٠٥٣ ، ورواه مسلم ، كتاب الوصية ، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصى فيه ، ج-٦ ، ص ٩٩ ، رقم الحديث ١٦٣٧ .

(٢) يوسف عبد المجيد ، شرح نصوص نظام العمل والعمال ، ص ٨٢ .

لمشاعر المواطنين ، وهو ما توجهه عقود العمل من محافظة على قدسية شعائر الإسلام والتقيد بأنظمة البلاد، وينص البيان على أن من لم يتقيد بذلك فإن السلطات المسؤولة سوف تتخذ الإجراءات الرادعة من إنهاء العمل وإبعاده عن المملكة" ، كما أن غير المسلمين يمنعون أيضاً من العمل والبيع والشراء أثناء أداء المسلمين صلاتهم .

كما يمنعون من إظهار المظاهر الشاذة في المجتمع ، وتمنع نساؤهم من التبرج والسفور وتصدر التعليمات من الجهات ذات العلاقة بالنساء ، كوزارة الصحة ، بمنع العاملات عموماً من التبرج وإبداء الزينة وتلزمهن بالستر والاحتشام ، ويمنعون أيضاً من إظهار شرب الخمر وأكل الخنزير ، كما يمنعون من التعامل بالمخدرات والمسكرات ، وتقام عليهم أحكام الإسلام في حال مخالفتهم لذلك .

أما الجزية فعلى الرغم من أنها من أولى الواجبات على غير المسلمين ، إلا أنها إنما تجب على أهل الذمة الذين لهم حق الإقامة الدائمة في دار الإسلام ، وجزيرة العرب تختص بأنه لا يجوز بقاء غير المسلمين فيها بقاء دائماً ، ولذلك لا تعقد لهم الذمة فيها، فغير المسلمين في مدن المملكة العربية السعودية ليسوا من أهل الذمة ، وإنما من المستأمنين وليس على المستأمن جزية .

وأشير هنا إلى أن التزام غير المسلمين بأحكام الإسلام وآدابه الظاهرة تطلعهم على محاسن هذا الدين وشعائره ، فيرونها ويرون آثارها ، مما يهيء مناخاً مناسباً لقبولهم دعوة الإسلام .

(١) انظر : نص البيان الصادر في ذلك من وزارة الداخلية في الملحق .

## الفرع الثاني التزام الأنظمة المتعلقة بإقامتهم في المملكة

يخضع الأجانب في العصر الحاضر في كل دولة إلى عدد من الإجراءات والأنظمة حال إقامتهم في الدول المضيفة لهم ، « وهذه الإجراءات التي تشترطها الدولة يراد بها وضع الأجنبي تحت مراقبة الدولة وإشرافها ، صيانة لمصالحها وسلامتها »<sup>(١)</sup> .  
والإجراءات التي يلزم بها الأجانب في مدينة الرياض وبقية مدن المملكة ليس فيها تضيق عليهم ، « فهي إجراءات سائغة شرعاً وليس فيها مخالفة للأحكام الشرعية ، ولا لمقتضيات الأمان الممنوح للأجنبي »<sup>(٢)</sup> .  
ومن هذه الإجراءات ما يلي :

### ١ - الإقامة النظامية :

حيث لا يسمح للأجنبي بالعمل إلا بإقامة رسمية ، فيمنع استخدام الأجنبي مالم يحمل تصريحاً بالإقامة أو تأشيرة تصريح بالعمل<sup>(٣)</sup> .  
كما أن رخصة العمل للأجنبي لا تعطى إلا بشروط ثلاثة :  
أ - أن يكون العامل قد دخل البلاد بطريقة مشروعة .

(١) د. عبد الكريم زيدان ، أحكام الذميين والمستأمنين ، ص ١٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(٣) انظر : د. أحمد عشعوش ، أحكام الجنسية ومركز الأجانب في دول مجلس التعاون الخليجي ، ص ٥٤١ ، والمادة ٢٦ ، من نظام الإقامة في المملكة .

ب - أن يكون من ذوي الكفاءات المهنية ، أو المؤهلات الدراسية التي تحتاج إليها البلاد ولا يوجد من أبناء البلاد من يحملها ، أو كان العدد الموجود من أبناء البلاد لا يفي بالحاجة .

ج - أن يكون متعاقداً مع صاحب عمل سعودي ، أو صاحب عمل غير سعودي مصرح له ، أو يكون من أصحاب المهن الحرة ومكفولاً من أحد السعوديين ، أو يكون متعاقداً مع إحدى الشركات وتحت كفالتها<sup>(١)</sup> .

كما أن كل أجنبي تنتهي مدة إقامته في المملكة ولم تتوفر فيه الشروط اللازمة لمنحه إقامة ، يكلف بمغادرة البلاد مختاراً خلال مدة لا تزيد عن أسبوع واحد ، فإذا امتنع تُرحله إدارة الأمن العام على نفقته الشخصية ، أو على حساب كفيله<sup>(٢)</sup> .

فيلزم الأجنبي مغادرة البلاد عند انتهاء مدة إقامته ، ويستحصل على تأشيرة خروج ، ويخرج من الأماكن المعينة براً أو بحراً أو جواً<sup>(٣)</sup> .

وهذه الإجراءات التي تتخذها الدولة يراد بها تنظيم خروج الأجنبي على وجه يحقق المصلحة<sup>(٤)</sup> .

٢ - عدم التنقل من بلد لآخر بدون إذن ، حيث يتم تنظيم تنقل الأجانب في المملكة وذلك بالحصول على إذن من الجهات المختصة، ومع ذلك فإن الذين ينتقلون بين بلدين معينين لمسافة أقل من ١٥٠ كم يصرف لهم رخصة تسمى رخصة تنقل داخل المملكة<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر : يوسف عبد المجيد ، شرح نصوص نظام العمل والعمال ، المادة /٤٩ ، ص ٤٣ .

(٢) انظر : د. أحمد عشعوش ، أحكام الجنسية ومركز الأجانب في دول مجلس التعاون الخليجي ، ص ٥٤١ ، وانظر : المادة /٣٤ من نظام الإقامة في المملكة .

(٣) انظر : المادة /٣ ، المادة /١٤ ، من نظام الإقامة في المملكة .

(٤) انظر : د. عبد الكريم زيدان ، أحكام الذميين والمستأمنين ، ص ١٢٤ .

(٥) انظر : د. أحمد عشعوش ، أحكام الجنسية ومركز الأجانب ، ص ٥٣٥ ، ص ٥٣٨ ، والمادة /٥ ، والمادة /١٠ ، من نظام الإقامة في المملكة .



كما أن غير المسلمين لا يسمح لهم بدخول الحرمين الشريفين وقد وضعت الدولة التدابير اللازمة بعدم دخولهم إليهما .

كما لا يجوز دخول الأجنبي وخروجه من المملكة إلا بإذن من الجهات المختصة ويكون ذلك بالتأشير على جواز السفر أو الوثيقة ، أو بإذن رسمي مكتوب<sup>(١)</sup> .

### ٣ - التعاون مع الجهات المسؤولة :

وهذا الواجب لا يقتصر على غير المسلمين ، وإنما على كل فرد مواطن كان أم غير مواطن ، فيجب عليهم تقديم جميع المعلومات التي يسألون عنها ، عن شخصياتهم ، وهوياتهم ، كما أن عليهم بيان الغرض من دخولهم إلى المملكة<sup>(٢)</sup> .

كما نصت المادة /٢٤ من نظام الإقامة أن على كل أجنبي خلال مدة إقامته في المملكة أن يقدم متى طلب منه جواز سفره ، أو الأوراق المثبتة لهويته ، وجميع ما قد يسأل عنه من بيانات ، كما أن عليه إذا طلب منه أن يذهب إلى مكتب مراقبة الأجانب ، أو من يقوم مقامها من سلطات الأمن في الميعاد المحدد له دون تأخير<sup>(٣)</sup> .

وهذا الواجب هو أهم الواجبات التي يجب التزامها على غير المسلمين -في مدينة الرياض وغيرها - مقابل الحماية والرعاية التي ينعمون بها داخل مدن المملكة والأمن الذي تنعم به أنفسهم وأموالهم مما لا يوجد له مثيل في بلادهم التي قدموا منها ، وقد شهد بذلك كثير من غير المسلمين المقيمين في المملكة ، فقد أبدى أكثر من ٣٠٪ من أفراد العينة من غير المسلمين في مدينة الرياض إعجابهم بالأمن والأنظمة والقوانين المعمول بها

(١) انظر : د. أحمد عشعوش ، أحكام الجنسية ومركز الأجانب في دول مجلس التعاون الخليجي ، ص ٥٣٤ ، والمادة ٣ من نظام الإقامة في المملكة .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ص ٥٣٤ ، والمادة ٣ من نظام الإقامة في المملكة .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص ٥٤١ .

في المملكة<sup>(١)</sup>.

٤ - الإذعان للعقوبات والجزاءات الصادرة عن الجهات المختصة عند ارتكابهم عمداً للمخالفات المنصوص عليها في النظام ، كما أن من واجب غير المسلمين وغيرهم «مراعاة النظام وعدم العمل ضد الأمن ومقومات الحياة»<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: الفصل الرابع ، جدول رقم ٩٨ .

(٢) د. عبد العزيز كامل ، حقوق الإنسان في الإسلام ، مجموعة أبحاث في معاملة غير المسلمين في الإسلام ، المجمع الملكي ، الأردن ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ ، ج ١ ، ص ٩٦ .

## الفرع الثالث التزام حقوق العمل

كما أن للعامل في الإسلام حقوقاً عدة في مجال العمل فعليه في المقابل واجبات ينبغي أن يلتزم بها .

وهذه الواجبات أشار إليها القرآن والسنة ، وذلك من مثل أداء الأمانة ، وإتقان العمل ، وغير ذلك من الصفات الحسنة التي نوه الشارع إلى ضرورة التحلي بها ، ومن مثل الابتعاد عن السرقة والغش والخيانة وغير ذلك من الصفات السيئة والأخلاق الرديئة التي نهى الإسلام عنها ، ويستوي في ذلك العامل المسلم وغير المسلم ، كما يستوي في ذلك العامل المقيم في مدينة الرياض وفي غيرها .

وقد نص نظام العمل والعمال السعودي على واجبات عدة هي من مقتضى الوفاء بالعقود والعهود ، وأداء الأمانات وغيرها من الأخلاق الحسنة التي أمر بها الشارع كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾<sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾<sup>(٣)</sup> .

ومن هذه الواجبات التي نص عليها نظام العمل والعمال في حق العاملين ما يلي :

- ١ - أن ينجزوا العمل المطلوب منهم بموجب عقد عملهم تحت إشراف صاحب العمل وإدارته ووفق تعليماته ، إذا لم يكن في هذه التعليمات ما يخالف العقد ، أو النظام ، أو الآداب العامة ، ولم يكن في طاعته ما يعرض للخطر .
- ٢ - أن يلتزموا بحسن السلوك والأخلاق أثناء العمل .

(١) سورة المائدة : الآية ١ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٣٤ .

(٣) سورة النساء : الآية ٥٨ .

- ٣ - أن يعيدوا إلى صاحب العمل المواد غير المستهلكة وأن يعنوا عناية تامة بالآلات والأدوات الموضوعة تحت تصرفهم وهي أصلاً في عهدة العامل ، فإذا تسبب في فقدانها أو تلفها، وكان ذلك ناشئاً عن خطأ منه فإنه يضمنها<sup>(١)</sup>، بل يجوز فصل العامل إذا تعمد إلحاق خسارة بصاحب العمل<sup>(٢)</sup>.
- ٤ - أن يقدموا كل عون ومساعدة بدون أن يشترطوا لذلك أجراً إضافياً في حالة الكوارث والأخطار التي تهدد سلامة مكان العمل أو الأشخاص أو العاملين فيه<sup>(٣)</sup>.
- ٥ - أن يخضعوا وفقاً لطلب صاحب العمل إلى الفحوص الطبية التي يرغب في إجرائها عليهم ، فقد نص نظام العمل والعمال على : « الخضوع للفحوص الطبية والتأكد من خلوهم من الأمراض المهنية أو السارية والغير قابلة للشفاء »<sup>(٤)</sup>.
- ٦ - أن يحفظوا الأسرار الفنية أو التجارية أو الصناعية للمواد التي ينتجونها أو التي ساهموا في إنتاجها بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، وبصورة عامة جميع الأسرار المهنية المتعلقة بالعمل التي من شأن إفشائها الإضرار بمصلحة صاحب العمل<sup>(٥)</sup>.
- ٧ - أن يحفظوا أماكن العمل عن أي مادة محرمة شرعاً ، فقد نص النظام على ذلك ، ففي المادة / ٩٤ : « على أصحاب العمل أو وكلائهم أو أي شخص له سلطة على العمال تشديد المراقبة بعدم دخول أية مادة محرمة شرعاً إلى أماكن العمل ، فمن وجدت لديه أو تعاطاها تطبق بحقه بالإضافة إلى العقوبات الشرعية العقوبات الإدارية

(١) انظر : يوسف عبد المجيد ، شرح نصوص نظام العمل والعمال ، المادة / ٨٠ ، ص ٧٨ ، والمادة / ٩٦ ، ص ١١٠ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، المادة / ٨٣ ، ص ٨٢ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، المادة / ٩٦ ، ص ١٠٩ .

(٤) المرجع السابق ، المادة / ٩٦ ، ص ١٠٩ .

(٥) انظر : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

الرادعة «<sup>(١)</sup>» .

وبهذا يجب على العامل أن يتحلى بالأخلاق الحميدة فلا يحق له البتة أن يدخل إلى مكان العمل مواد محرمة شرعاً ، وعليه أن يحترم المكان الذي يعمل فيه ، وفي العقد الذي التزمه على نفسه أثناء قدومه إلى المملكة لتلا يعرض نفسه للعقوبة .

تلك أبرز الحقوق التي تجب على العاملين ، ولا فرق في ذلك بين المسلمين وغير المسلمين ، المقيمين منهم في مدينة الرياض أو في غيرها من مدن المملكة فالكل مطالب بأداء هذه الواجبات والتزامها .

ثم لا يفوتني - في هذا المقام - أن ألفت الأنظار إلى أن أداء هذه الواجبات يتعلق كثيراً بصاحب العمل ؛ لأن أداء غير المسلمين لواجباتهم يرتبط كثيراً بالقيام بحقوقهم ، فإذا أخل صاحب العمل بأدائها انعكس ذلك على العاملين ، ولذلك فإن على صاحب العمل مسؤولية كبرى في ملاحظة العمال والاهتمام بهم ، وتقصيره في ذلك فيه تعريض للمجتمع لأخطار شتى لا سيما أن غير المسلمين قدموا من بيئات استمرأوا فيها المنكرات والمحرّمات ، كما أنهم لغريبتهم عن بلادهم فإنهم يحرصون على تقليل آثار هذه الغربة بما قد يجلبونه من محرّمات وممنوعات ألفوها في مجتمعاتهم ، لذلك فإن على صاحب العمل مسؤولية عظيمة أمام الله في أن يقي المجتمع من شرور العاملين لديه ، فلا يدخر وسعاً في توجيههم وإرشادهم ، كما لا يتساهل في الإبلاغ عنهم إن هم ارتكبوا ما يخالف الأنظمة .

وفي نهاية استعراض حقوق غير المسلمين وواجباتهم في مدينة الرياض لا يفوتني -أيضاً - أن أنبه إلى أن معرفة الدعوة لذلك أمر له أثره في الدعوة ، فيجب أن يعلم الدعوة ماذا لغير المسلمين من حقوق ؟ وماذا عليهم من واجبات ؟ فإن تشريع بقائهم بين المسلمين لا يؤتي ثماره المرجوة ما لم تؤدّ لهم حقوقهم ويقومون هم بواجباتهم ، وعن طريق ذلك تحول الكثيرون إلى الإسلام لما رأوه من عدله وانصافه .

(١) يوسف عبد المجيد ، شرح نصوص نظام العمل والعمال ، المادة ٩٤ ، ص ١٠٧ .

والدعاة اليوم مطالبون بأن يبينوا للمسلمين حقوق غير المسلمين وأهمية أدائها لهم في قبولهم الإسلام ، كما أن عليهم أن يبينوا لهم أن أداءهم لواجباتهم يرتبط كثيراً بأداء حقوقهم .

وإذا كان الدعاة يقومون بدعوة غير المسلمين تلقينا وتعلوما ومناظرة ، فإن الأمة كلها تقوم بالدعوة إلى الله بالتزامها بشريعته وتطبيقها لمبادئ الإسلام وتعاليمه ، فالقائم بالدعوة في بلاد المسلمين ليسوا أفراداً محددين بل هم الأمة كلها ، وهذا ما سأبينه في الفصل التالي إن شاء الله تعالى .